السيد حافظ

الصرخة الأخيرة
حكاية لامـــار

تنويعات تقنية على محور واحد

رواية – قصص قصيرة - مسرح

رواية تجريبية

الكتاب: الصرخة الأخيرة "حكاية لامار" تنويعات تقنية على محور واحد
(رواية – قصص قصيرة – مسرح)

الكاتب: السيد حافظ

الناشر: مركز الوطن العربى "رؤيا"

البريد الالكترونى: justhappy_man2000@yahoo.com
hafez66@live.com

الطبعة الأولى: القاهرة ٢٠٢٥

رقم الإيداع: ١٢٤١٠ / ٢٠٢٥

دار الكتب والوثائق القومية

إدارة الإيداع القانوني

الترقيم الدولي: I.S.B.N 200 – 03 – 5710 - 5

الغلاف : خالد شعبان

اعمال التنسيق والإخراج: خالد شعبان

المقدمة

تغدو رواية "الصرخة الأخيرة – حكاية لامار" مغامرة جمالية لا تكتفي بأطر السرد الروائي التقليدي، بل تتخطاه لتتفتّح على فضاء المسرح بجدلياته المشهدية. إننا أمام نصّ لا يُروى بقدر ما يتشظى ويتعدد، نصّ يتجاوز الخط المستقيم إلى مسارات متوازية ومتقاطعة، ليحاكي في معماره ارتباك الوجود وفوضى المجتمع، حيث تختلط الأزمنة وتتمازج الأصوات، وتُستعاد الوقائع بقدر ما تُعاد صياغتها.

بهذا المعنى، لا تقدّم الرواية حكاية جاهزة أو معنى مكتمل، بل تفتح أفقاً للتأويل وتجعل القارئ شريكاً في بناء النص، شريكاً في استعادة صرخته الخاصة من بين شظايا الحكايات. إنها ليست فقط تجربة في التجريب الأدبي، بل محاولة لإعادة تشكيل الوعي بالإنسان والتاريخ والسلطة، عبر لغة تتأرجح بين البوح والتمرد، بين الذاكرة والأسطورة، وبين ما يُحكى وما يُخفى.

إن هذا التنويع الفني يضع المتلقي أمام حكاية مركبة، تتقاطع فيها الأبعاد الفردية والجماعية، وتتمازج فيها الشخصيات الشعبية مع الوجوه التاريخية، في بناء سردي تتجاور فيه الأصوات والطبقات. فالكاتب لا يكتفي برواية قصة لامار بوصفها حكاية شخصية لامرأة جميلة انتهى بها القدر إلى أن تكون جارية في قصر الخليفة، بل يجعل منها مرآة تعكس تاريخاً اجتماعياً وسياسياً مفعماً بالتناقضات،

حيث تتصارع السلطة مع الشعب، والجوع مع الكرامة، والحلم الفردي مع قسوة الواقع.

وتأتي أهمية الرواية في أنها لا تقف عند حدود المحاكاة التاريخية، ولا تنغلق في دائرة الحكاية الغرامية، بل توظف الخيال الشعبي والأسطورة جنباً إلى جنب مع الوقائع الموثقة، لتصنع من لامار أيقونة رمزية تتجاوز حدودها الفردية، وتغدو تجسيداً لمعاناة المرأة في المجتمع العربي عبر العصور. لامار في النص ليست مجرد شخصية من لحم ودم، بل هي صورة مكثفة للجمال حين يتحول إلى لعنة، وللأنوثة حين تُختزل إلى سلعة في سوق السياسة والحرب.

يقدّم النص أيضاً قراءة عميقة للعلاقة بين السلطة والإنسان .ففي الوقت الذي تشتعل فيه قصور الحكم بالمؤامرات والفتن، يعيش الناس في القاع بين الفقر والحرمان والخذلان. شاور، الوزير المستبد، يحاصر القاهرة ويشعل النار فيها أربعة عشر يوماً من أجل كلمة سباب؛ بينما القاضي الفاضل ورجال الدين يقفون عاجزين، يبررون القهر باسم الطاعة والخوف. وعلى الجانب الآخر يبرز صوت أحمد الحمال وزعتر العطار وقنديل حفار القبور، حيث يتحول الهامش الاجتماعي إلى مساحة للنقد الساخر وللكشف عن قسوة الواقع. هنا تكتمل دائرة السرد التي تمنح القارئ فرصة التأمل في معادلة السلطة والشعب، وفي طبيعة التاريخ حين يُعاد إنتاجه على حساب الفقراء والمستضعفين.

أما الجانب المسرحي، فقد منح النص حيوية خاصة، إذ توزعت المشاهد بالأزمنة والأمكنة، وجاءت الحوارات مطولة تحمل نَفَس العرض الحيّ. بينما منح جانب القصص القصيرة للرواية بعداً إيقاعياً متدرجاً، يجعلها قابلة للتلقي في حكايات متقطعة أشبه بالجرعات الدرامية التي تثير التشويق وتشد الانتباه. وبذلك تصبح الرواية نصاً قابلاً للتجسيد على الخشبة أو بين دفتي الكتاب، وهو ما يجعلها تجربة متكاملة في التجريب الأدبي.

إن «الصرخة الأخيرة – حكاية لامار» ليست مجرد رواية تاريخية أو حكاية اجتماعية، بل هي صرخة ضد القهر والخذلان، وضد صمت الشعوب أمام الطغيان. هي نص يزاوج بين السرد الفني والتحليل الاجتماعي، وبين التوثيق التاريخي والتخييل الرمزي، ليخرج بعمل يعكس مأساة الإنسان العربي في رحلته مع الجوع والظلم والجمال المستباح. ولعل هذه الصرخة، بما تحمله من وجع وجمال معاً، تظل شاهداً على قدرة الأدب على فضح الواقع وإعادة صياغته، وعلى أن الحكاية حين تُروى بصدق تصبح وثيقة وجودية تتجاوز حدود الزمان والمكان.

الذكاء الصطناعي

دراسة تحليلية نقدية اجتماعية
لرواية «الصرخة الأخيرة – حكاية لامار»
بقلم الذكاء الاصطناعى

دراسة تحليلية اجتماعية
لرواية «الصرخة الأخيرة – حكاية لامار»

أولاً: المدخل إلى الرواية التجريبية

تمثل الرواية تجربة نوعية في الكتابة الحديثة، إذ لا تقتصر على السرد الروائي التقليدي، بل تنفتح على المسرح بحواراته وبنائه المشهدي، مما يجعل النص متعدد الأصوات والأنماط. هذا التنويع يضع القارئ أمام حكاية مركبة، تنسجها الذاكرة الشعبية مع التاريخ السياسي والاجتماعي، وتعيد إنتاجها برؤية نقدية معاصرة.

المحور الأول: لامار كرمز اجتماعي وجمالي

لامار ليست مجرد شخصية، بل أيقونة أنثوية تحمل دلالات متعددة:

رمز الجمال والفتنة الذي يثير المخيال الشعبي، حيث وصفها النص:

«لامار.. اسم يعني بريق الذهب أو الألماس، لامار اسم لا يكرر ولا يمر إلا في كل قرن من الزمان» (صـ ١).

رمز للمرأة الضحية في مجتمع مأزوم، إذ تتحول من ابنة تاجر بسيط في نجران إلى جارية في قصر الخليفة الفاطمي بعد أن تباع في سوق النخاسة. هنا يُطرح سؤال اجتماعي حول مصير النساء في زمن الجوع والعبودية والحروب، حيث تصبح الأنثى أول الغنائم.

رمز للتقاطع بين الخاص والعام: فجمال لامار ليس ملكاً لها، بل يصبح موضوعاً للتداول الاجتماعي والسياسي، من القبيلة إلى القصر، ومن السوق إلى السلطة.

المحور الثاني: البنية الاجتماعية – صراع السلطة والجوع

النص يكشف بجلاء العلاقة بين السلطة والشعب:

المجاعات والصراعات القبلية التي تدفع الآباء إلى ترك بناتهم للقدر، كما في مشهد بيع لامار.

الطغيان السياسي ممثلاً في شخصية الوزير شاور الذي أحرق القاهرة أربعة عشر يوماً بسبب سباب عابر:

«أربعةَ عشر يومًا والنار تأكل البيوت... النار.. النار» (صـ ٤٧).

هذا السلوك يعكس عبثية السلطة التي تستبيح الناس دون وازع، بينما يقف رجال الدين عاجزين، مكتفين بالاعتذار.

هنا يبرز البعد الاجتماعي التحليلي: السلطة تستمد مشروعيتها من القمع لا من الرضا، والمجتمع محكوم بالنجاة الفردية لا بالعمل الجماعي.

المحور الثالث: حضور المسرح

تظهر التقنية المسرحية في النص من خلال:

الحوارات المطولة بين الشخصيات (شاور – القاضي الفاضل، الخليفة – العلماء)، حيث يُبنى الصراع عبر الحوار المباشر لا عبر السرد.

تقسيم المشاهد بالأزمنة والأمكنة:

«الزمان: ليلاً. المكان: قصر نور الدين محمود زنكي» (صـ ٣٢).

هذا الأسلوب المسرحي يجعل القارئ كأنه يشاهد عرضاً حيّاً.

تعدد الأصوات الشعبية: مثل أحمد الحمال وزعتر العطار، الذين يمثلون الشارع مقابل قصور السلطة.

المسرح هنا ليس مجرد تقنية، بل آلية لفضح تناقضات المجتمع، حيث يُعطى للهوامش صوت في مواجهة المركز.

المحور الرابع: حضور القصص القصيرة

الرواية قُدمت على شكل حكايات في قصص قصيرة، ويتجلى ذلك في:

الإيقاع المتقطع الذي يترك فراغات «...............» للدلالة على الانتقال الزمني والمكاني.

الاعتماد على الحوار أكثر من السرد مما يقرب النص من طبيعة القصص القصيرة الذي تقوم على الخيال.

التركيز على التشويق في نهاية الحكاية

القصص القصيرة هنا تعكس توزيع الحكاية على المتلقي، في محاكاة للزمن الشعبي الذي يلتقط الأخبار عبر نصوص مكتوبة من الحكايات.

المحور الخامس: المرأة بين القهر والتمرد

لا تقتصر الحكاية على لامار وحدها، بل نجد شخصيات نسائية أخرى مثل هوى، السارية، أسرار، العالية:

هوى تمثل الصداقة والتضامن بين النساء داخل القصر، لكنها أيضاً واعية بمخاطر السلطة الذكورية.

السارية تجسد الانحراف داخل منظومة الحريم، إذ تبحث عن المتعة مع النساء، ما يعكس أبعاداً مسكوتاً عنها في تاريخ الجنس والسلطة.

أسرار زوجة شاور ضحية خيانة زوجية وسلطة ذكورية تستعين بالشعوذة (الشيخ عثمان) لتبرير قهرها.

العالية في حكاية قصر الهودج تمثل حلم السلطة بالمرأة المطلقة الجمال، التي تتحول إلى أداة في الصراع السياسي.

كل هذه الشخصيات تكشف أن المرأة في النص ليست كياناً فردياً فقط، بل مرآة لصراع اجتماعي بين السلطة، الدين، والشعب.

المحور السادس: الشخصيات الشعبية – صوت المجتمع

النص لا يقتصر على النخب، بل يفتح مساحة للشخصيات الشعبية:

أحمد الحمال الذي يعاني البطالة والفقر، فيقول:

«العين بصيرة واليد قصيرة يا سنية» (صـ ١٥٢).

زعتر العطار يمثل الحكمة الشعبية الساخرة.

قنديل حفار القبور يكشف المفارقة بين الموت والحياة في مصر.

هذه الشخصيات الشعبية تمثل الضمير الجمعي، وتؤدي وظيفة مزدوجة: النقد الساخر من السلطة، وتوثيق معاناة الناس.

المحور السابع: التاريخ بوصفه مسرحاً

الرواية توظف أحداثاً تاريخية (سقوط عكا، صراعات شاور، ظهور صلاح الدين)، لكنها لا تقدمها بصرامة توثيقية، بل باعتبارها مسرحاً للصراع الاجتماعي. التاريخ هنا ليس هدفاً بذاته، بل خلفية رمزية تفضح استمرارية الاستبداد والخيانات.

المحور الثامن: البعد الرمزي والفلسفي

الصرخة الأخيرة ليست مجرد صوت، بل تعبير عن نهاية زمن واستغاثة جماعية.

حكاية لامار تختلط بالأسطورة (العطر الذي يسبق خطاها) وبالواقع (سوق النخاسة)، ما يجعلها رمزاً للهوية الممزقة بين الحلم والخذلان.
النص يطرح سؤالاً فلسفياً: هل يمكن للجمال أن يغير مجرى التاريخ، أم أنه يُستباح في لعبة السلطة؟

خاتمة

رواية «الصرخة الأخيرة – حكاية لامار» عمل تجريبي متكامل يجمع بين الرواية، المسرح، القصص القصيرة ليعكس المجتمع العربي في لحظة انكسار تاريخي.
من خلال لامار تتجسد معاناة المرأة كموضوع للسلطة والقدر.
عبر شاور والخليفة يتجلى عبث السياسة وفساد الحكم.
ومن خلال أحمد الحمال وزعتر العطار يتجسد صوت الناس البسطاء.
إنها رواية تنقلنا من الخاص إلى العام، من الجسد إلى التاريخ، ومن الصرخة الفردية إلى الاستغاثة الجماعية.

المحور الأول
حكاية
البنت لامار و قراقوش

الفصل الأول
بريق الذهب والماس

كانت هناك.. امرأة تسمى فطيمة، قالت وهي تلد ابنتها: "سموها لامار" الاسم عنوان الإنسان، لامار وردة، أنثى خدها من عشب بري، أو ورد لا يعرف من أي بستان! بستان جنة أو نار الجمال، أو قصر سلطان من الجان...

لامار.. لامار، اسم يعني بريق الذهب أو الألماس، لامار اسم لا يكرر ولا يمر إلا في كل قرن من الزمان، عشقها البحر، وصاحبتها العصافير فوق الشجر، وأصبحت حلم الشباب المراهقين والرجال العجائز. بنت نجران وجبال اليمن، يغازلها النساء قبل الرجال، والصقور والعصفور وكل الطيور، وكل ما هو مذكر على الأرض.

"لامار" ابنة السبعة عشر ربيعًا، التي كلما سارت في الأزقة أو الشارع؛ يبعث نهداها في قلوب الرجال إشارات كهرومغناطيسية بفرح. هي تعرف أن الله جميل، وأحيانا يمنح أنثى من روحه ومن وجهه ألقاً، يقول كل من يسكن بجوارها كلما رأوها: "سبحان الله الذي خلق!"

شعرها غابة من الحرير، من العطر تغطيه. هذا العطر لم يشمه من قبل العصفور لا على الزهور ولا البحور ولا الغابات ولا أي بشر. قالوا إنها عشيقة القمر

أبوها أبو بكر. تاجر بسيط من أهل نجران في اليمن، يذهب كل عام إلى الشام في رحلة للتجارة. أمها فطيمة بيضاء كالثلج. أبو بكر

رجل طويل القامة كالنخل، يمزح الناس معه ويلقبونه (أبا النخل). ولدت أمها عشرة أولاد وبنات، مات من مات، وعاش من عاش. لامار حين وُلدت وسحبتها القابِلةُ(الداية) من بطن أمها؛ امتلأ المكان عطرًا، فشهقت النسوة: "الله أكبر.. الله اكبر، اللهم صل على محمد وآل محمد" وزغردت النسوة ودقت الدفوف.. سميت أمها بأم لامار، وأبوها أبو لامار، مع أنها ليست المولودة الأولى ولا الأخيرة. ما باليد حيلة كأن التسمية من اختيار الناس... البنت جميلة وعطرها يسبق خطوها والعصافير تقف على شباكها.. صباحاً ومساءً. الجوع كافر.. سافر أبوها إلى الشام للتجارة أو البحث عن عمل وترك الأولاد والدار. أثناء الجوع تأكل القبائل بعضها بعضاً، وتهجم القبائل الجائعة على القبائل الأقل جوعا؛ تنهب المال والطعام، وتسرق الأطفال والنساء وتبيعهم عبيدًا. ومنهم كانت قبيلة لامار. لامار التي أصبحت أسيرة وجارية، فقد وقعت في يد نخاس اسمه "شقيان" وهو زنجي له شارب طويل. حملها إلى سوق النخاسة مع العبيد إلى مصر. اكتشف في الطريق عطر جسدها بالصدفة، وكان مدمن خمر وغلمان، وليس له في النساء إلا التجارة بهن. ظل ينتظر مندوب الخليفة عدة أيام للشراء؛ نجح الأمر. فبعد أيام قريبة أصبحت لامار جارية في قصر الخليفة العاضد الفاطمي. من نجران اليمنية إلى القاهرة الفاطمية جاءت أحلى بنات اليمن. أما أمها فطيمة فقد أصبحت عمياء من

شدة البكاء على فراقها أمَّا أبوها أبو بكر فقد أخذ عهداً على نفسه أمام القبيلة؛ ألَّا يعود أبدًا إلا ومعه لامار، وأن يبحث عنها بنفسه دون رفقة أحد من الأولاد أو الأصحاب، وقال إنه سيبحث عنها في كل بلاد الدنيا حتى يعود بها إلى فطيمة؛ ويلقي بفستانها على وجهها لترتد بصيرة....

صارت فطيمة أفقر امرأة في مدينة نجران، هربت منها الجاراتُ؛ لأن كل حكاياتها حزينة عن المكتوب والزمن الذي يقهر الرجال والنساء، تبكي كثيرا، تتوسل إلى الله، حريصةً على حضور كل الجنازات؛ لتصرخ وتولول وتصيح وتبكي بكاءً حاراً، كأن المتوفي قريبها أو يخصها. فطيمة أصبحت مسكينة؛ يتصدّقُ عليها الرجال والنساء بين الحين والآخر هي وأولادها، كما أصبحت تصلي كثيرا؛ لدرجة أنَّ البعض قال: " لقد مسَّها جنٌّ مؤمن، وقال البعضُ بل ملاك من السماء أعطاها إشارة". أمَّا أبو بكر زوجها (أبو النخل) كان يمر في أسواق الشام؛ ظنًّا منه أن ابنته هناك، حتى تباع لأمراء الشام أو التجار الأثرياء. مرة ينام في خان، ومرة ينام على باب دكان، ومرة ينام في مسجد، ومرة في الطريق العام. القلب المكسور لا يرى النور. وقلوب البشر أغلبها مكسورٌ؛ إمَّا من ضياع الأحلام، أو غياب العدالة وانتشار الظلم، أو من الحب والشجن.

في أحد أسواق دمشق ذات مرة رآه أهل اليمن؛ فعرفوُه وأشفقوا عليه، وطلبوا منه الرجوع معهم في القافلة؛ فرفض وأصر ألَّا يرجع إلَّا ومعه لامار أجمل بنات شبه الجزيرة وينفذ وعده لفطيمة. ما باليد حيلة الرجل يصر على البحث.. ويحلم بعودة لامار.

الحلم هو دواء خفي لجروح الروح، ونورٌ بهي يسكن أعماقنا، علاج الله لنا حتى نهرب من بشاعة الواقع...

أمَّا لامار فحين التحقت بحريم الخليفة العاضد؛ شعرت بالأمان لأن كل من حولها نساء، حيثُ يبلغ عدد الحريم والجواري أكثر من عشرين ألف جارية، كلهن جميلات من أنحاء بلاد الدنيا، وبينهنّ فتاة من كازاخستان جميلة وزميلة لها اسمها(هوى)؛ تعاطفت مع نظرات عيون لامار الخائفة، ورعشة رموشها؛ فقررت حمايتها وصداقتها. أخبرتها عن سر البنات وسر الحكايات في جناح الحريم. فهناك (السارية) امرأة جميلة وقوية الشخصية، وقوامها فتان؛ تلهب خيال كل الرجال. لا يُعرف من أي البلاد جاءت، ولا يستطيع أحد أن يسألها... ، الغريب أنها كانت لا تحب الرجال بل تحب النساء..! فحذرتها هوى وحاولت أن تبعدها عن عين السارية؛ حتى لا تقع نظراتها عليها. كانت هوى تحاول أن تفطنها. أصرَّت لامار أن يكون اسمُها لامار وألَّا يتغير، حتى أن كبيرة الوصيفات أعجبها الاسمُ؛ فلم تُغّيِره .

شاور هو أحد أمراء الفاطميين، وأصبحت الأمور بيد الوزراء، وتنافس شاور وضرغام - الرجل القوي المنافس – على حكم البلاد. فكر شاور في أن يثبت ملكه ويقوي نفوذه؛ استعان بنور الدين محمود زنكي في الشام.

....

....

الزمان : نهاراً .

المكان : قصر نور الدين محمود زنكي في الشام.

يجلس نور الدين متحدثاً :

- لقد أمرت بخروج جيشٍ إلى مصر؛ لإنقاذها من الانهيار، وقد وعدنا شاور بأن يدفع لنا الجزية. ويقود الجيش أسد الدين صلاح الدين.

ذهب صلاح الدين الأيوبي إلى مصر مع أسد الدين، ولكن شاور لم يف له بما وعد به نور الدين محمود زنكى، ولم يدفع الجزية المتفق عليها، ولم يسلمهم حكم مصر، وحاول التخلص منهم بل وتمادى في خيانته، وأرسل إلى "أماريك" ملك الفرنجة في بيت المقدس؛ يستنجده بالحضور إلى مصر، ويخوفه من نور الدين محمود زنكي وأطماعه في مصر وبيت المقدس، ويعده بملك الديار

المصرية؛ سارع " أماريك " إلى إجابة طلبه، وأرسل له حملة؛ أرغمت جيش نور الدين محمود زنكي على العودة إلى الشام.

وبعد انتهاء الحملة بعدة شهور...

الزمان : ليلاً .

المكان : الشام. قصر نور الدين محمود زنكي.

يقف نور الدين محمود زنكي أمام قادة الجيش قائلاً :

- ها هو شاور يرسل إلينا رسالة يستنجد بنا مرة أخرى من أطماع الصليبيين، وعلينا أن نتحرك لضم مصر إلى الشام في جبهة واحدة. فإن مصر أصبحت ضعيفة واهنة وتحتاج إلى قوتنا؛ لنسيطر عليها ونضمها إلينا.

وهكذا تحركت أطماع نور الدين محمود زنكي تجاه مصر، ومحاربة الصليبيين في آن واحد. كان نور الدين محمود زنكي يعتمد على صلاح الدين الأيوبي، الذي نجح في توحيد معظم مدن وإمارات الشام تحت إمرته، وأصبح يواجه الصليبيين في مصر.

كان شاور وزير مصر في عهد الخليفة العاضد آخر خلفاء الفاطميين في مصر. كان شاور رجلاً أحمق بمعنى الكلمة، فقد كان يسير في شوارع القاهرة في يوم الجمعة. بعد الصلاة؛ قام أحد الزعران (البلطجية) بسّبِه وسط زحام الناس، ثّم اختفى الأزعر؛ وقف شاور في وسط الناس صائحاً :

- لقد سبني أحدكم! فمن الذي فعلها؟

- لم يجب أحد...

- من الذي سبني ؟!

- لم يجب أحدٌ...

- ستندمون يا أهالي القاهرة على ما فعلتم.

في تلك الليلة؛ أمر شاور جنوده بحصار القاهرة بالسيوف وضربها بالمجانيق المشتعلة؛ احترقت البيوت. حاول الناس إطفاء النار... صرخ الناس:

- النار.. النار

صاحَ العسكر:

- سلمونا المجرم الذي سبَّ الوزير الأمير شاور...

أربعةَ عشر يومًا والنار تأكل البيوت. الناس تنام في الشوارع. ومن حاول الاقتراب من ماء النيل لُيطفئ جسده المحترقَ؛ ضربه العسكر بالسهام..

أربعةَ عشر يومًا حُرق من حُرق.. ومات من مات.. يا حسرة على العباد. لم يعلن هذا العشوائي السافل أو الثائر أو الفوضوي عن نفسه؛ ترك المدينة تحترق بأهلها..

أربعةَ عشر يومًا وليلة كان ليل القاهرة نهارا.. ولا فرق بينهما.

أربعةَ عشر يوما وليلة؛ اجتمع أئمة المساجد وقساوسة الكنائس وحاخامات المعابد اليهودية في أرجاء الأقاليم، اتجهوا نحو قصر شاور يطلبون العفو والسماح ويتوسلون بالآلاف التي ماتت...

أربعةَ عشر يومًا والناس تموت. لا حدود للكره. لا حدود للقسوة.

الأيام حبلى بالدسائس. الأيام ليست جميلة. القاهرة دامعة محروقة. كل الأيام مزدحمة بالوجع. الفرح قليل على أرض مصر؛ لذلك اخترع المصريون الكثير من الأعياد التي ليس لها أساس؛ فالعيد يعني الفرح.

الزمان : ليلاً.

المكان : قصر شاور.

وقف شيوخ وأَئِمَّة مساجد وكنائس مصر في قصر شاور، وفي مقدمتهم الصوفيون.

قال القاضي الفاضل:

- يا وزير البلاد شاور.. لا أعرف كيف أشكرك؛ أنك وافقت على مقابلتنا. إننا نعتذر باسم الفقراء والتعساء والنكراء ضعفاء الدين، وباسم التجار والحدادين والنجارين، نقدم الاعتذار من كل بيت ومن كل دار، وكل الشعب سيحضر ويقبل عتبات دارك الطاهرة.

نظر شاور إليهم كأنه ينظر إلى حشرات أو حيوانات فريدة وقال:

- كيف أعفو عن أناس يخفونَ الفاجر المجرم عن يد العدالة؟! لقد حكمت عليهم بالحرق؛ فهل أنا على خطأ؟ إنَّ الله يعاقبُ الناس بجهنم، وجهنم نار، وأنا أُعاقبكم بما سيعاقبهم به الله، وهي النار.

- يا وزير البلاد هم من العامة، وأغلب الناس من السفهاء.

- أنت أصبت الحقيقة. السفهاء لا بد من حرقهم هاهاااا. لقد عفوت عنهم.

خرجت ضحكات هيستيرية منه تهز عرش قصر شاور الثعلب الطاغية؛ فرح الناس. انصرف شاور إلى قصر الخليفة. وأثناء مروره في أروقة القصر، كانت لامار تمر مع (هوى)؛ شمَّ عطرها فالتفت مشيراً إليها بأصبع السبابة:

- أنتِ يا بنت ما اسمك؟

- لامار.

فأشار إلى (هوى)

- وأنتِ؟

- هوى.. اسمي هوى.

ابتسم بخبث:

_ ما رأيكما أن تأتيا معي إلى قصري بدلاً من هنا؟

ردت (هوى) بخبث ودلال:

- شرف لنا.. لكن الخليفة اختارنا على قائمته، ونحن في الانتظار...

همهَم بغيظٍ:

- هذا العجوز يحسن اختيار النساء فقط، وما عدا ذلك لا يفعل شيئاً ... هاهاها .

انطلق؛ تنفست (هوى) الصعداء قائلة:

- الحمد لله.. هذا المجنون الخبيث أنقذنا الله منه، هيا بنا.

جنون النساء في المساء ليس له حدود ولا عزاء. في قصر الخليفة العاضد آخر خلفاء الدولة الفاطمية - الذي لا يدري أنه سيكون الأخير - الحكم مصير، والعمر قصير، والدول مثل كأس نبيذ. يشربه التاريخ رشفة.. رشفة؛ حتى تنتهي، ويبقى فقط الكأس. أقصد الأرض لله.

....

....

الزمان : ليلاً .

المكان : قصر الخليفة العاضد.

اجتمعت بعض الوصيفات والجواري في رقص وغناء؛ لتمضية الوقت، كل واحدةٍ تغني ما حفظته في بلادها التي اختُطفت منها. غنّت "لامار" موالاً يمنياً حزيناً؛ اهتزت قلوب البنات واهتزّ الحجر.

نزلت الدموع من القلب الموجوع والحزن المغروس في الحشا، وبينما يمر "داغروش" العبد الخصي ضخم الجثة لفت انتباهه صوت لامار؛ اقتحم المكان- فالخصيان لهم الحق في اقتحام الأمكنة- فصفق معجباً :

- صوتك جميل وشكلك أجمل؛ لا بد من أن أخبر مولاي العاضد...

جذبته – بسرعة- الجارية هوى من يديه؛ فأوقعته وسط البنات، أخذن يدغدغنه وهو يضحك، وقالت له:

- نحن نحبك يا داغروش لا تفسد فرحتنا لا تخبر أحداً بما ترى وتسمع. أنت أخونا.

ثم قبلته من خده؛ احمر وجهه خجلاً وصاح:

- وواحدة من الخد الآخر..

قبلته من خده الآخر، وضحكت، هز رأسه بالموافقة.

في تلك الأثناء دخلت "السارية"؛ صُعقتا لامار وهوى؛ فتظاهرتا بالنوم، وغطت كل واحدة منهما وجهها، لكنّ المرأة اختارت واحدة منهما، وقالت لها بصوت مرتفع:

- تعالي أنتِ.. الخليفة يريدك.

بالطبع لم يكن الخليفة هو الذي يريدها؛ فقد أصبح الخليفة يمارس الجنس الخفيف بطريقة صبيانية للغاية. لكن "السارية" أخذتها لنفسها؛ لتمضي معها الليل. لقد صار معظم النساء يمارسن الجنس مع الحراس أو مشعلجية المصابيح، أو مع بعضهن. هذا هو حالُ عشرين ألف جارية في قصر العاضد بالله.

سمع النساء في القصر خبر الفرنج القادمين؛ تساءلن: "ترى إلى أين سيذهبن لو انهزم الخليفة العاضد، وهل سيبيعهنَ الإفرنج؟
هل سيقتلونهن؟ هل سيغتصبونهن، ثم يُلقي بهن إلى الحظ والأيام والأحزان...؟"

- ماذا فعلت لامار مع السارية وهل أنقذتها (هوى) منها؟

- في ذاك الوقت.. نصح البعض للسارية أن عليها العلاج من عفريت يركبها ويوجهها للرذيلة والمتعة مع النساء. قالوا لها "يا سارية اذهبي للشيخ عثمان في حارة شيحا"
- من هو عثمان؟

....

....

المكان : حارة شيحا

- تلك الحارة التي تجدين فيها كل شيء مباح وغير مباح، بدءاً من السلاح والممنوعات والعلاجات السحرية..

عثمان ليس شيخًا لكنه دخل الأزهر ولم يحصل على إجازة من الأزهرن لكنه قرر أن يلعب بعقول الناس؛ قال إنه يعالج بالقرآن ويشفي من الجن والجان، الذي يركب الإنسان وخاصة النساء. وكان من المعروف أن الكثيرين يطلبون مالاً ، لكنه يعالج بالمجان وادعى أنه يعالج بالقرآن، وفي غياب إمام المسجد؛ يلبس الجبة بسرعة ويؤم

الناس. كان قصيراً. عيناه شديدة الذكاء. الابتسامة لا تفارق شفتيه. يعقد القران والطلاق، يتزوج المطلقات والأرامل. شهدن له بأن ذكورته كالفيل. وكل من يقابله يقول له: "صباحك رضا.. صباحك حلو بالصلاة على النبي"

عثمان ليس له مكان ولا يعرف له عنوان، يؤجر دائما بيتا خاصا له. يقول إنه يقابل الجن هناك، أو يقيم حضرة، أو يقيم زار، أو يفك سحر امرأة معمول لها عمل...

عندما يعرف أن النساء موجودات في المسجد؛ يحلى صوته ويقول بصوت عالٍ وهو يلقى درساً:

- سبحان من خلق الإنس والجان، وخلق الإنسان وعلمه البيان، وخلق النسوان من الجمال؛ فقهر الحديد والجان.

كان يرى العالم سلطة وشهوة ومالاً. كان يطمح للوصول إلى الخليفة والوزير الأول شاور؛ يريد بناء قصر مثل الأكابر. يا ويل المرأة الجميلة؛ إذا وقعت بين يديه بمشكلة. قليلاً.. قليلاً بدأ اسمه ينتشر. ويسير في أروقة الحارات وأروقة القصور والبيوت.

عثمان قاهر الجن الذي يسكن جسم النساء. كان بارعاً في تنظيم الكلام كما تنتظم النجوم بدقة متناهية. ولكن حين يدخن الحشيش يتوه منه الكلام.

المهم.. ذات يوم أو مساء شاهدت (أسرار) زوجها شاور يضاجع جارية رومية في الحمام الخاص في جناحها، الذي لا يدخله أحد غيرها؛ فظلت تصرخ. فهي لم تعتقد يوماً أن الجارية التي تصب له الماء على جسمه سوف يفعل فعلته الشنعاء معها؛ مرضت، وساءت حالة (أسرار) النفسية؛ فقرر شاور أن يستعين بعثمان.

....

....

الزمان : ليلاً .

المكان : منزل عثمان.

دق باب منزل عثمان، جاء حرس شاور وأخذوه؛ صرخ فيهم:

- ما فعلت شيئاً . أنا خادم الوزير والخليفة العاضد وكل الجيش!

أخذوه إلى القصر، ظل واقفاً يرتجف منتظراً . حين نادى الحاجب:

- الوزير شاور.

أرتعدت فرائص عثمان من الخوف؛ تبول على نفسه. وقف شاور أمام عثمان وشاهد سرواله المبلل فانفجر ضاحكاً :

- شيخ عثمان؟

- والله أنا لا شيخ ولا حاجة، أنا أونطه، أنا كذاب يا سيدي الوزير. أنا خادمك، وأنا خادم الأسرة الفاطمية. وخادم خدمك.

- اسمع تعرف تطلع عفريت من جسم زوجتنا (أسرار)؟

- زوجتكم؟!

- نعم زوجتي، عليها عفريت راكبها؛ تبكي طوال الوقت. أريد منك أن تخرجه منها.. فاهم؟

- أخرجه يا مولاي.

- اخرجه يا عثمان.

- دخلني الحمام الأول؛ أغير سروالي من عندكم، وأصلي ركعتين شكرا لله.

- خير؟

- خير؟ كنت فاكر أني عملت شيئاً أغضبك وأنك ستقتلني...

- سأقتلك إن لم تخرج العفريت.

- سأخرجه.. وأخرج أباه وأمه وأهله وأحبسه..

....

....

الزمان : ليلا.

المكان : حجرة أسرار زوجة شاور.

كانت أسرار زوجة شاور في حجرتها المظلمة إلا من شمعة. دخل عليها عثمان. وأغلق الباب. طلب من الخدم الخروج، وأمرهم لا أحد يفتح الباب مهما كان صراخ المريضة إلا في الصباح. خلع جبته، تأكد من غلق الباب، واقترب منها هامساً همس في أذنها:

- عمت مساءً يا أميرة.. ما اسمك يا ست الستات؟
- صرخت.
- ابتعدوا عني يا خونة يا مجرمين.

شقت أسرار ملابسها وأصبحت عارية؛ شهق عندما شاهد جسمها العاري حيث كانت كما ولدتها أمها. بيضاء كالثلج فاتنة...

صاح مندهشًا:

- الله أكبر ما شاء الله.. ما شاء الله.. سبحان من خلق

وخلع ملابسه كلها..

- سأخرجه الآن، الآن وليس غداً.

ونظرت أسرار إلى ذكورته ؛ صاحت:

- ويلي ويلي..

قال:

- ويلنا سامحني يارب.

....

....

كان شاور في اجتماعات دائمة للمؤامرات؛ إذ أقبلت جحافل الفرنج بقيادة أماريك إلى الديار المصرية وبلغ ذلك أسد الدين شيركو.

لما رجع أسد الدين من مصر إلى الشام أقام بها في خدمة نور الدين محمود زنكي، فكر وجهز جيشاً وسار إلى مصر. مصر كانت مطمحاً لكل الحكام منذ فجر الضمير، وقد جاء "أسد الدين شيركو" إليها وحارب الفرنج في طريقه ثم وصل إلى الجيزة، واستنجد شاور بالفرنج مرة أخرى.

- أراد أن يوقف أسد الدين وطموح نور الدين محمود زنكي أمير الشام في امتلاك مصر، وجاء بالصليبيون إلى مصر، وخرج شاور معهم بجيشه للقاء أسد الدين شيركو؛ هزمهم أسد الدين، على الرغم من أن عدد الجند قليل؛ فإنهم لم يبلغوا ألفي فارس. ثم سار إلى الإسكندرية، وهو يجبي الأموال في طريقه حيث تعود المصريون على دفع الأموال للعسكر، سواء كانوا من الداخل مع شاور، أو الخارج مع جيش الفرنج؛ لاتقاء شرهم. وما أن وصل أسد الدين إلى الإسكندرية؛ حتى استأمن أهلها وملك حكمها، وولى عليها صلاح الدين يوسف ابن أخيه نجم الدين أيوبن وأصبح صلاح الدين الأيوبي والياً على الإسكندرية.

زغردت النسوة.

بينما تساءَل البعض:

- من هذا؟

والبعض يترقب هذا الوالي الجديد... صلاح الدين.

....

....

الزمان : نهاراً .

المكان : قصر العاضد.

في جناح النساء حكايات معقدة مركبة داخل القصور..
قالت لامار لهوى وهي تقف فوق سطح القصر وأشارت بيدها:

- **يا هوى.. ما أجمل هذا القصر هناك في ليل القاهرة وحوله المصابيح! هذا أجمل قصر في مصر...**

- **لا هناك الأجمل منه يا لامار، إنه أجمل قصر في العالم.**

- **أين يكون يا هوى هذا القصر؟!**

- **قصر الهودج.**

- **أين يكون؟ وكيف يكون الأجمل؟**

فأشارت هوى إلى بعيد وقالت:

- **ذاك هو القصر....**
- **الهودج؟**

- **نعم في منطقة الروضة مبني على ماء النيل، هو مغلق ومهجور الآن، وقد كان لجدِّ الخليفة.**

- **من هو جد الخليفة؟**

- إنه "الآمر بأحكام الله" الذي أمر ببناء قصر الهودج لأجمل البنات في عصره "العالية"

- هل تحكين لي الحكاية يا هوى؟

قالت هوى. والقول ساحر. والسحر حكاية. والحكاية رواية لها بداية:

- كان في زمن الآمر بأحكام الله

المنادي : يا أهالي القاهرة. المدينة الظافرة الطاهرة. البقاء لله. توفي إلى رحمة الله المستعلي بالله أحمد بن المستنصر بالله بن الظافر بن الحاكم السادس من خلفاء الفاطميين، وتولى الحكم الآمر بأحكام الله أبو علي البكري بن المستعلي بالله أحمد، وهو السابع من خلفاء الفاطميين وبويع بالخلافة من العلماء والحكماء والأمراء في التاسع من صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة، والبقاء لله يا أهالي القاهرة. (يخرج من الحارة مكرراً وخلفه الأطفال)

زعتر : لا حول ولا قوة إلا بالله مات المستعلي بالله يا أحمد وتولى الآمر بأحكام الله.

أحمد : لا حول ولا قوة إلا بالله.. كل من عليها فان، ولا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام. غداً ستموت يا زعتر أقصد كلنا سنموت يا زعتر.

زعتر : غداً تموت أنت وليس أنا.

أحمد : الأمير مات.. الخليفة المستعلي مات.. فما بالك بالعطار لا يموت!

زعتر : الأمير مات والحمَّال يموت.

أحمد : العطار يموت.

زعتر : أقول الحمال يموت. أنت تموت.

أحمد : وأنا أقول العطار يموت.. أنت تموت.

زعتر : اغرب عن وجهي يا لعين.

أحمد : سأغرب عن وجهك، ولكن تعالَ لنبايع الخليفة الجديد الآمر بأحكام الله.

زعتر :سأذهب إلى الجنازة، ثم أبايعه في أي مسجد بدلاً من القصر...

أحمد : يا الله، دنيا...! تذهب إلى جنازة تقول البقاء لله، وتذهب للمبايعة لتقول تهانينا يا مولاي!

زعتر : نعم.. اغرب عن وجهي.

أحمد : اسمع يا زعتر هذا الخليفة الجديد شقي.

زعتر : ماذا تقول؟!

أحمد : أقول الحقيقة. زير نساء. مجنون. أو مخبول. أو مريض عقله بالنساء..

زعتر : اخرس (ينظر خلفه).

أحمد : يحب اللهو.

زعتر : لقد جننت أكيد ولا بد من ضربك.(يحاول أن يضربه ليسكته)

أحمد : لا تضربني؛ الزمان كل يوم يضربني.

زعتر : أي زمان يا لعين؟

أحمد : أنا الحمال.. أسكن القرافة، أسكن في القبور مع الموتى، ليس لي دار يا زعتر يا عطار، وأرى أمامي قصور الأمراء...!

زعتر : لأنك تالف؛ تحب اللهو وشرب الخمر.

أحمد : لكي أنسى؛ أشرب الخمر لكي أنسى صدَّقني.

زعتر : تنسى ماذا؟

أحمد : أنسى الفقر. أنسى أمي المريضة، وأبي الكسيح الذي يتسول، وأختي التي تزوجت من رجل يعمل حفاراً للقبور، زوجُ أختي قنديل.

(يدخل قنديل وهو رجل سمين قصير)

قنديل : صباح الخير.

زعتر : هذا قنديل زوج أختك... هذا يوم مشئوم؛ الخليفة يموت، وزوج أختك يحضر إلى الدكان وأنا لم أره منذ عام.

أحمد :غداً ستموت يا زعتر يا عطار، ويسير خلفك أهالي حارة برجوان، والشيخ شعبان، وقنديل يحفر لك قبراً. والطبل والمزمار والنساء النائحات خلف نعشك الغالي يصحنَ: "يا سبعي يا جملي..."

قنديل : ماذا بك يا أحمد؟ لماذا تمزح هذا المزاح الثقيل يا ثقيل الدم؟

أحمد : أنا ثقيل الدم! يا حول الله. إذا كنت أنا ثقيل الدم ماذا تكون أنت؟! خفيف الدم.. يا سخيف! أختي تقول إنك أسخف رجل على هذه الأرض.

زعتر : ماذا تريد يا قنديل؟

قنديل : أريد حناء.. وعطر موتى...

زعتر :ولم تجد في السوق غيري لتشتري منه حناء وعطر الموتى؟ أنا لا أحب سيرة الموت يا أخي.

قنديل : شيء غريب.. أحضر للشراء منك تقول لي هذا الكلام!

زعتر : نعم..أنا لا أحب مغسّلي الموتى، ولا حمَّالي النعوش، ولا زماري النعوش، ولا النائحات، ولا حفاري القبور.

قنديل : يا حول الله.. يا حول الله.. أنت كئيب!

أحمد : قنديل يسكن المدفن الذي بجوارنا.

قنديل : مدفني جميل.. ينام فيه أغنى أغنياء القاهرة.

أحمد : (مقاطعا) يا زعتر إذا أردت مسكنا بجوارنا قنديل يبحث لك.

زعتر : يا ساتر يا رب.. خذ يا قنديل العطر والحناء وأبعد عن الدكان. (يعطيه العطر والحناء والبخور والأشياء)

قنديل :خذ النقود (يخرج قنديل نقوداً من كيسه)

زعتر : لا أريد.. اذهب ولا تعد إلى هنا مرة أخرى. إني أتشاءم منك يا أخي. (لا يحاول زعتر أن يمد يده)

قنديل :والله لو مت يا زعتر لن أحفر لك قبراً.

سنية : صباح الخير يا زعتر عندك زعفران؟

أحمد :تريدين حمّالاً بالمجان؟ ماذا يفعل أمام هذا الجمال حمّال ضعيف...

سنية : حمال للزعفران؟! (تضحك)

قنديل : هذا ولد مخه تعبان.

أحمد : (يشير إلى نفسه) ماذا يفعل المسكين عندما يشاهد القمر الجميل في حارة برجوان.

زعتر : أحمد يا حمال لا تغازل البنات.

أحمد : أنا أغازل الجمال.

سنية : أريد الزعفران يا عم زعتر.

أحمد : للدنيا أحكام.. تقول لك يا عم..

شعبان : (يظهر) صباح الخير.

أحمد : صباح النور.. سمعت أنّ المستعلي بالله مات يا عم شعبان.

عم شعبان : إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

أحمد : تذهب للجنازة أولا ثم المبايعة؟

عم شعبان :أنا مشغول بأمور أخرى اليوم، وسأذهب غداً للمبايعة إن شاء الله.

أحمد : والجنازة؟

عم شعبان : عندي مشاكل كثيرة فزوجتي مريضة وأنا عندي أعمال.

أحمد : كان الله في عونك. اذهب لإحضار الطبيب.

عم شعبان :السلام عليكم. أريد طبيبا وليس معي نقوداً !

أحمد : (لسنية) تتزوجيني؟ تمرضين براحتك وأحملك على كتفي وأحضر لك الطبيب.

سنية :لا أتزوج حمالاً يا تعبان.

أحمد : لماذا..؟

سنية : أنا طباخة في قصر الخليفة.

أحمد :تريدين مساعداً أو حمالاً لك؟

سنية : لا..

أحمد :أعمل بستانياً في قصر الخليفة وأزرع لك الورود..

سنية : لا..

زعتر : قالت لك لا..لا..لا. سأضربك بالنعال حتى تكف عن مغازلة الفتيات. (يجري ويضربه)

....

....

حكاية قصر الهودج

(المكان الغابة)

(الغابة بها شجر كثيف وصخرة كبيرة)

(الفرسان يجرون يميناً ويساراً)

فارس ١ :هرب الغزال....(يجري يميناً)

فارس ٢ : لو هرب سيقطع رقبتك الخلفية؛ اذهب هناك.

فارس ٣ : الوزير المأمون البطايحي قادم نحونا.. هيا بنا إلى هناك

المأمون : (يدخل) امسكوا الغزالة التي أصابها الخليفة، لا تدعوها تهرب... أين الغزالة؟

فارس ١ :جرت من هنا. (يشير يميناً)

فارس ٢ : بل جرت من هنا. (يشير شمالًا)

فارس ٣ : لا من هنا ولا من هنا.. من هناك يا مولاي.

المأمون : اذهبوا خلفها. أصابها مولانا الآمر بأحكام الله وتهرب منكم؟! كيف يحدث هذا يا فرسان الأمير؟ هيا.

الآمر : أين أنت يا مأمون يا بطايحي أين الغزالة؟

المأمون : أنا هنا يا مولاي.. تفضل من هذا الطريق خلف الشجرة.

الآمر : أين الغزالة؟

المأمون : ذهب الجند خلفها يا مولاي.

الآمر : ربما تكون اختبأت خلف الصخور.

المأمون : ربما تتحركُ خلف هذه الشجرة.(يلاحظ تحرُّك شيء خلف الشجرة؛ يجري هو والآمر).

الآمر : ببطء اقبض عليها. ها هي. واحد.. اثنان.. ثلاثة.

المأمون : ها هي.. أمسكناها.

أم الدواهي : أي..أي. ماذا تريدان مني؟ (امرأة عجوز شمطاء في السبعين)

الآمر : إنها امرأة.

المأمون : عجوز!

الآمر : أستغفر الله. هذه حيزبون.

المأمون : ربما كانت الغزالة ومسحورة!

الآمر : هل أنت الغزالة يا ساحرة؟

المأمون : من أنت أيتها العجوز الحيزبون؟

أم الدواهي : أم الدواهي يا مولاي الخليفة الآمر.

الآمر : أتعرفينني يا امرأة؟

أم الدواهي : وهل يخفى القمر!

الآمر : (يضحك) القمر لا يشبه به الرجل ، بل المرأة يا شمطاء. (يضحك)

أم الدواهي : أنت قمر في حياة كل النساء يا مولاي.

الآمر : لسانك جميل وشكلك كئيب.(يضحك)

المأمون : من أنت يا أم الدواهي؟

أم الدواهي : أنا امرأة بسيطة أيها الوزير المأمون.

المأمون : أتعرفينني؟

الآمر : ساحرة..

المأمون : فاجرة...

أم الدواهي : كن مؤدّبا يا وزير أمام الأمير واحترم سني وشيبتي وخبرتي.

المأمون : أي خبرة لديك؟ السحر والشعوذة؟!

أم الدواهي : قراءة الطالع. قراءة الكف. ومعرفة ما يجري في الخلف.

الآمر : تقرأين الكف؟ إذن خذي كفي واقرئيه.

أم الدواهي : أعطني الأمان.

الآمر : خذي ألف دينار.

أم الدواهي : هذا المال لعنة، وليس أمانًا.

الآمر : أي أمان يا امرأة تريدين...؟!

المأمون : أنت مخبولة.

أم الدواهي : الأمان يا مولاي. لرقبتي وعمري.

الآمر : لك الأمان يا حيزبون. تحبين الحياة؟ هيا امسكِ كفي...

أم الدواهي : (تمسك كفه) ستتزوج يا مولاي بكثير من النساء إن شاء الله.

الآمر : (يضحك) هل هن جميلات.. حقا نساء جميلات؟

أم الدواهي : شقراوات وسمروات، مصريات وهنديات، وفارسيات ومن كل الجنسيات...

الآمر : (يضحك) كم امرأة؟

أم الدواهي : أكثر من ألف امرأة.

الآمر : خذي ، هذا كيس به ألف دينار أخرى.

المأمون : هذا كثير يا مولاي؛ دعها. انظري في كفي أنا؛ سأكشفها لك. خذي كفي.

أم الدواهي : (تمسك بيدها اليمنى يد الخليفة وبيدها الأخرى يد المأمون) أنت يا مولاي الوزير لا تحب النساء.

الآمر : (يضحك)لا تحب النساء يا مأمون تحب الأولاد؟ (هاها يضحك)

أم الدواهي : لا يا مولاي يحب المال أكثر من النساء، ومن أي شيء آخر.

المأمون : أي امرأة أنت يا لعينة؟ انظري جيدا؛ كم سأعيش؟ انظري للمستقبل.

أم الدواهي : سيكثر الذهب، وتُقتل وأنت سجين يا سيدي الوزير.

المأمون : (يدفعها أرضا، ويخرج السيف) من الذي يقتلني يا غبية؟!

الآمر : أعطيتها الأمان؛ حرام عليك، لا تدفع العجوز هكذا؛ دعها تنظر في كفي ثانية، ابتعد عنها.

المأمون : هذه امرأة شؤم يا مولاي.

الآمر : انظري يا امرأة وقولي لي ماذا تشاهدين؟ كم ولد سيكون لي من النساء؟ ألف ولد، ألف فارس؟

أم الدواهي : ولا ولد.

الآمر : بنات.

أم الدواهي : ولا بنات.

الآمر : (يشعر بالخوف) انظري جيداً.

أم الدواهي : انظر ماذا؟

الآمر : كيف سأموت؟

أم الدواهي : سيقتلك الحب يا مولاي.

الآمر : (يضحك بخوف) يقتلني الحب!

أم الدواهي : نعم يا مولاي.

الآمر : يعني سأموت وأعذب في عيون امرأة جميلة؟

أم الدواهي : نعم.

الآمر : ويقتلني سحرها وأحارب من أجلها.

أم الدواهي : يقتلك الحب.

فارس ١ : (يدخل) الغزال يا مولاي أمسكناه.

فارس ٢ : (يدخل يحمل الغزال) ها هو الغزال يا مولاي.

فارس ١ :أمسكناه جريحاً. (أم الدواهي تختفي أثناء دخول الفرسان)

الآمر : أين المرأة؟

الفرسان : أي امرأة يا مولاي؟

المأمون : اختفت اللعينة.

الآمر : ابحثوا عن أم الدواهي.. قارئة الكف.

المأمون : إنها جنّيةٌ يا مولاي؛ ظهرت واختفت. أحبت أن تلعب وتلهو معنا.

الآمر : جنيةٌ تعاكسني وتشاكسني يا بطايحي؟!

المأمون : نعم يا مولاي.. هيا للقصر.. هيا يا فرسان.

....

....

(المكان خيمة كبيرة لجنود الفرنج وقد وقف ديمتري وعمانويل وسط الجنود)

عمانويل : هذا حاكم الدولة الفاطمية الآمر بأحكام الله أمامنا لقد سقطت عكا.

الجنود : (يهتفون) عاش عمانويل.. عاش عمانويل.

عمانويل : أمامنا طرابلس نأخذها وبعدها نفتح أرض الدولة الفاطمية كلها.

الجنود : هيبيه (يصيحون)

عمانويل : ثم الدولة العباسية.

الجنود : هيبيه.

عمانويل : والآن اذهبوا إلى معسكراتكم للاستعداد.

الجنود : (ينصرفون)

عمانويل : ديمتري.

ديمتري : نعم يا مولاي عمانويل.

عمانويل : يسميني المصريون عمانويل. و أنا اسمي عمانويل

ديمتري : (يضحك) اسم جميل عمانويل.

عمانويل : وأنا أحلم بأن أحكمهم وأعلمهم.

ديمتري : لـَِمكل هذا الحنين لغزو مصر؟

عمانويل : حلم الإسكندر الأكبر كان الشرق يا ديمتري.

ديمتري : وأنت تحلم مثله.

عمانويل : أنا لا أحلم. أنا أنقذها؛ فقد وقعت عكا.

ديمتري : هذا شيء جميل يا سيدي، ولكن ما رأيك أن نرسل لحاكمها رسالة.

عمانويل : نرسل له رسالة؟ من الذي نرسل له رسالة.

ديمتري : الآمر بأحكام الله.

عمانويل : هذا ولد من الصبيان.

ديمتري : ستدعه يا مولاي؟

عمانويل :سندخل القاهرة أقبض عليه من قفاه، وأركبه حماراً مثل جده الحاكم بأمر الله، وأجعله يطوف في الشوارع؛ مثالاً لكل الفاسدين، وأجلس على عرش القاهرة الجميلة.

....

....

(المكان القصر)

(الضوء مسلطٌ على الأمير الذي يسير وخلفه المأمون البطايحي)

الآمر : لا أطيق الحياة بدون حب وهوى ومغامرة يا مأمون.

المأمون : يا مولاي لك ألف جارية وألف خليلة وألف محظية.

الآمر : العاطفة أقوى من السلطان، الحب أقوى من العروش.

المأمون : يا مولاي عندك أجمل النساء ساحرات فاتنات روعة في الجمال.

الآمر : عندي مصريات.. مغربيات.. هنديات.. شاميات.. عندي كل الجنسيات. إنني أهجر جلدي وأذوب بشعر امرأة، أسكن سحر عيون النساء، عندي نساء جميلات؛ لكنني أبحث عن امرأة لم تحدث في التاريخ.

المأمون : التاريخ الماضي أم الحاضر أم المستقبل؟

الآمر :الثلاثة معاً. أريد امرأة استثنائية نادرة. أتزوجها.

المأمون : أي امرأة ؟!

الآمر :امرأة تنجب لي طفلاً. أريد طفلاً يا بطايحي؛ يحمل اسمي، يرث هذا العرش من بعدي.

المأمون : إن شاء الله سترزق يا مولاي ولكن...

الآمر : ولكن ماذا؟ تزوجتُ حتى الآن أكثر من تسعمائة امرأة غير الجواري. كلهن خائنات. سأجعلهنّ ألف امرأة. ما رأيك؟ مالي أراك حزيناً.

المأمون : مولاي هناك مشكلة في عكا.

الآمر : أي عكا؟ في الشام؟

المأمون : برودبل ملك الفرنج استولى على عكا.

الآمر : تعرف يا بطايحي أن نساء الفرنج باردات ليس فيهن أي حياة. جافات. لا يغرنك شعرهن الأشقر وعيونهن الزرقاوات.

المأمون : زوجة عمانويل جميلة يا مولاي. لقد شاهدها أهل عكا.

الآمر : أنا من يقدر الجمال الحقيقي للنساء في هذا الزمان. أنا يا مأمون. وللأسف لا يسألني ملوك الأرض عن رأيي في نسائهم!

المأمون : أنت يا مولاي خبير بالنساء.

الآمر : أنا أشعر بفيض الخيال مع امرأة، وأشعر بفيض الجمال النادر، والجمال المستحيل في الصحراء يا مأمون.

المأمون : لم أفهم ماذا تريد يا مولاي؟

الآمر : أريد امرأة بدوية. لا تعرف الصباغ ولا العطور. جمالها. رائحتها مثل الزهور. شكلها مثل القمر.. مثل الحُسن المطلق.

المأمون : الجمال المطلق! صعب يا مولاي.

الآمر : يا مأمون اذهب إلى البوادي والنجوع.

المأمون : أنا يا مولاي؟

الآمر : نعم أنت.. في مهاد البداوة النقية.

المأمون : إن جمال البداوة ساذج يا مولاي.

الآمر : هذا ما أريده.. آية من الحسن والرشاقة.. شاعرة أديبة.

المأمون : يا مولاي.. بدوية وشاعرة وأديبة؟! آية من الحسن والرشاقة هذا صعب!

الآمر : نعم وعليك بالصعيد.. الصعيد.

المأمون : صعيد مصر؟

الآمر : نعم.

المأمون : رأسي يا مولاي.

الآمر : سلامة رأسك.

المأمون : إن ما تطلبه هو المستحيل.

الآمر : وأنا ما طلبت غيره.

المأمون : أمري لله.. عليَّ بالرحيل. لكن لابد من تدبير بعض الأمور؛ فالقاهرة بلا قمح هذه الأيام، والغلاء انتشر. غداً أعالج الأمر ثم أرحل.

الآمر : اذهب إلى الصعيد وآتني بالفتاة البدوية ثم بعد ذلك دبر الأمر. أمر القمح.. نطلبه من أمير عكا. إن أمور النساء أهم يا رجل. لكل زمان رجال، وأنا رجل هذا الزمان.

(يخلع العمامة) السلطان الحقيقي هو من يطلب المستحيل ويأتيه المستحيل، ولكل سلطان وخليفة حلم وهدف وأمل. وأنا هدفي الحب. الحب يعني بصريح العبارة النساء. أحب اللهو. أحب الطرب. أدفع للمطربين والمطربات والنساء الجميلات. لا يهم المال، المهم أن تزن رأسك.

المأمون : (لنفسه – بجانب من المسرح – تسلط عليه إضاءة) وخرجت في الفجر المسحور إلى عجائب المقدور. أدور في النجوع وأدور، متنكراً في زي فقير، أو شكل عامل، أو هيئة شيخ يدعو إلى الاعتصام من الانحلال والدمار؛ إلى أن ألقت بي الأقدار في قرية ليست على الخريطة وليست شهيرة، ومعي فرس شكله غريب. أبحث عن آية الحسن والجمال، وليس معي هدايا فخمة، أو سيف، أو حتى الوفير من المال! (يخرج) (يدخل الحارس على الآمر...)

حارس : مولاي الآمر بأحكام الله.

الآمر : (وهو سكير) ماذا تريد؟

حارس : قائد الجيش.

الآمر : أدخله في الحال؛ ربما هناك مظاهرة من النساء.

قائد الجيش : مولاي الخليفة الآمر بأحكام الله.

الآمر : هات ما عندك.

قائد الجيش : (يبكي) سقطت طرابلس واغتصبوها.

الآمر : ما الذي جعلها تسقط؟ كانت بخير وبصحة جيدة. وكيف اغتصبوها رغماً عنها! هل هي استسلمت أم بمزاجها؟

قائد الجيش : هجم الفرنج واستولوا عليها واغتصبوها.

الآمر : من الذي اغتصبها.

قائد الجيش : عمانويل.

الآمر : أي عمانويل؟!

قائد الجيش : ملك الفرنج.

الآمر : كيف يغتصب طرابلس رغماً عن أنفها؟ كان ولا بد أن يدخلها ويتفاهم معها ويقنعها! الاغتصاب جريمة وجزاؤه القتل.. أين البطايحي؟

قائد الجيش : ذهب إلى الصعيد يبحث لك عن العروس..

الآمر : البطايحي وزير أمين.. ادع أن يوفقه الله حتى يجد عروساً .

قائد الجيش : آمين يارب.. هل أستدعي قادة الجند؟

الآمر : (وهو سكير) لماذا تزعجني وأنا في أحضان نسائي في الفراش الدافئ في هذا الشتاء؟!

قائد الجيش : طرابلس سقطت يا مولاي وأمامهم القدس.

الآمر : الأمطار تسقط. والفرسان تسقط. والسدود تسقط. وعكا وطرابلس سقطتا فماذا أفعل؟ لهما الله. إني أشجب وأستنكر هذه الفعلة الشنعاء. استرح الآن.. إني أستنكر.. إني أستغيث.. اذهب ونم. طرابلس وعكا والقدس لهم الله.

قائد الجيش : لهم الله يا مولاي...

الآمر : وماذا يقول الناس عني يا قائد الجيش؟

قائد الجيش : يدعون لك يا مولاي.

الآمر : أعرف.. والقمح والغلاء؟

قائد الجيش : (يرتبك) نعم يا مولاي.. القمح في ارتفاع...

الآمر : لا تحزن سينخفض سعره لا تقلق. الأسعار ترتفع ثم تنخفض لا تقلق اذهب ونم في أحضان زوجتك.

قائد الجيش : أمرك يا مولاي.

الآمر : أرسل لي الراقصات والراقصين.

قائد الجيش : أمرك يا مولاي.

....

....

المكان: حارة برجوان

(الناس تروح وتجيء).

(تدخل سنية خلفها أحمد الحمال)

أحمد : اسمعي يا سنية.

سنية :أسمع ماذا؟ لقد سمعتك كثيراً وضحكت عليَّ وخدعتني.

أحمد : والله العظيم لم أضحك عليك ولم أخدعك.

سنية : خطبتني لماذا؟

أحمد : خطبتك؛ لأني أحبك وأريد أن أتزوجك.

سنية : ولماذا لا تتزوجني؟!

أحمد : العين بصيرة واليد قصيرة يا سنية.

سنية : (تقلده) العين بصيرة واليد قصيرة يا سنية. يا رجل اذهب واعمل.

أحمد : لا يوجد أي عمل؛ الغلاء أصاب السوق بالكساد. من أجلك تركت شرب الخمر، وتركت شرب المسكرات؛ ولكن السوق للأسف في كساد.

سنية : السوق ملعون يا أحمد.

أحمد : ألم أقل لكِ أدخليني القصر؛ لأعمل عند الخليفة؟

سنية : ماذا تعمل في القصر؟

أحمد : أي شيء .. أي شيء حتى نتزوج.

سنية :اسمع يا حمال.. سأحدث البستاني؛ لتعمل حمالاً في البستان وتحمل زبالة البستان.

أحمد : أنا موافق.. أحمل زبالة البستان وزبالة الخليفة.. وزبالة كل الأغنياء.

سنية : سأذهب للقصر.

أحمد : تطبخين للسلطان.. محظوظة. هاتِ لنا ما لديه من بقية الطعام.

سنية : أنا طباخة ولست متسولة يا حمال!

أحمد : لا داعي للغضب، اذهبي.

(تخرج سنية) (يدخل طراد بن المهلهل الشاعر في ملابس شبه الجزيرة العربية)

طراد : أنت ياعم (ينادي على أحمد) (أحمد ينظر خلفه)

أحمد : أنا؟

طراد : نعم.

أحمد : أنا عم.. ؟! أنا لم أتزوج حتى الآن وليس عندي أولاد.

طراد : (يضحك) أعتذر لك.. ما اسمك؟

أحمد : تناديني لتسألني ما اسمك؟ اسمي أحمد الحمال.

طراد : أين الناس؟ ماهذه الدكاكين المغلقة يا أحمد يا حمال؟ المدينة خالية... !

أحمد : الجيوب خاوية. أنت غريب عن البلاد؟

طراد : أنا طراد بن المهلهل شاعر بني طيء.

أحمد : الشعراء.. آه من الشعراء، لهم أعمال عجيبة وغريبة!

طراد : نعم؟

أحمد : لا شيء.. أحدث نفسي.

طراد : أين الخان في هذه المدينة أريد أن أنام؟

أحمد : جئت للتجارة؟

طراد : جئتُ للإمارة.

أحمد : الخليفة؟

طراد : نعم..

أحمد : زوجتي، أقصد خطيبتي تعمل عنده.

طراد : أريد أن أشتري الطعام وأذهبُ إلى الخان.

أحمد : (يضحك) طعام.. طعام! الأردب الواحد للقمح بثلاثين ديناراً! ستة أشهر والغلاء يبدد الناس تبديداً. غلاء شنيع وقحط ذريع.

طراد : والخليفة لا يعلم بهذه المشاكل؟

أحمد : (يهمس) يعلم ويعلم، وحاشيته تعلم...

زعتر : (يدخل) يا فتاح يا عليم.. من؟ أحمد الحمال؟

أحمد : نعم. ومعي الشاعر طراد بن المهلهل من بني طيء من الجزيرة العربية.

زعتر أهلاً وسهلاً.. مرحباً بك في القاهرة.

طراد :أهلاً بك.

أحمد : هذا عم زعتر العطار.

شعبان : (يظهر) الرحمة يا ناس الرحمة! لا يوجد قمح؛ ماذا يفعل الفقير في هذه البلاد؟

قنديل : (يدخل وهو يجري) انقذوني.. أغيثوني.. أدركوني.

شعبان : ماذا بك؟

زعتر : ألم أقل لك يا قنديل لا تحضر إلى هنا؛ إني أتشاءم منك يا رجل.

قنديل : أغيثوني.. أدركوني.

سرحان : (يدخل خلفه وهو يحمل عصا) سأقتلك.. سأذبحك.

قنديل : أغيثوني.

طراد : ماذا بك يا رجل؟ (يدقق في سرحان.. سرحان ينظر له)

سرحان : ومن تكون أنت؟

طراد : فاعل خير.

سرحان : فاعل خير؟ أنا أريد فاعل شر.

زعتر : يا أحمد خذ زوج أختك وانصرف من هنا.

أحمد : انتظر يا عم زعتر.

سرحان : سأذبحك.

شعبان : ما الحكاية يا رجل؟

سرحان : اسأله ما الحكاية؟ سأذبحه.

قنديل : هذا الرجل جاء ودفن زوجته في المقبرة ومشي.

سرحان : وعندما عدت للبيت، وجلست لتقبل العزاء وجدتها تدخل البيت خلفي؛ ففزع الناسُ، وأولادها، وفزعتُ أنا.

قنديل : عندما بدأت أدفنها وجدتها تتحرك داخل المقبرة؛ فأخذتها من الكفن وجعلتها تلبس ملابس زوجتي وأعدتها إلى زوجها.

أحمد : ملابس أختي التي اشتريتُها لها؟

شعبان : الحمد لله أنها عادت ودبت فيها الحياة.

سرحان : خذها أنت يا حاج شعبان؛ أنا لا أريدها.

شعبان : إذا أنت دفنتها وهي حية؟

سرحان : لا.. لقد ماتت.. ماتت.

طراد : وكيف عادت للحياةِ مرة أخرى؟

سرحان : (يشير إلى قنديل) هذا الرجل أحياها.

شعبان : أستغفر الله العظيم.

أحمد :أسمعت يا عم زعتر..؟ قنديل أحيا الموتى.. الرجل كفر!

زعتر : أنت تخرف يا سرحان.. لقد جننت يا رجل.

سرحان : أنا لم أجن؛ أنا تعبٌ من هذه المرأة التي تنغصُ حياتي كل يوم. عشرون عاماً وأنا أعيش معها، في الصباح نكد، وفي الظهر نكد، وفي الليل نكد.. نكد.

أحمد : ليل نكد؟! هذه هي المشكلة إذن، لا تحب نكد الليل.

شعبان : اسكت يا حمال.

أحمد :سكت.. السكوت من ذهب. عشرون عاماً في ليل نكد! كيف أتت بالأولاد إذان يا عم سرحان؟!

سرحان : آه.. آه.. آه يا رأسي.

أحمد : الرجل يتكلم.

طراد : (يضحك) شر البلية ما يضحك!

أحمد :اكتب قصيدة.. شعرًا.. اكتب شعراً .

زعتر : يا سرحان.. اتعظ بالله واذهب إلى الدار.

سرحان :ربما تكون جنية أو عفريتاً .

شعبان : لا داعي للكلام الفارغ، اذهب لزوجتك والدار.

سرحان : لا...

أحمد : اترك الدار وزوجتك، وأعطني الدار أسكنها أنا وسنية.

قنديل : عندي لكما مسكن في المقابر.

زعتر : يا لطيف يا لطيف.. البخور يا ولد.

....

....

(المكان صحراء جرداء بادية بعض النخيل.. خيمة.. من بعيد تقف العالية وابن مياح يضحكان، ويقف خلف شجرة المأمون البطايحي)

العالية : ألف ناقة حمراء كان مهر عبلة. أما مهري يا ابن مياح يا ابن عمي.. ألف ماسة.. ألف بستان.. ألف بيت من الشعر؛ يمدح جمالي. حسني. بهائي. لطفي وذكائي.

ابن مياح : ألف بيت من الشعر هذا ما أملكه يا بنت العم، أما ألف ماسة؛ فلا أستطيع.. لا أستطيع؛ الماس لا يأتي إلا في أحلامنا، ونحن نيام في خيامنا ندغدغ الوهم بالحقيقة يا فرستي الجامحة. ماذا أفعل بأحلامك الطامحة..؟ ألف قصر؟! أنا لا أملك إلا خيمة حب خيمة حنان.. خيمة إخلاص.. خيمة قلبي الصغير المشاكس.

العالية : يا ابن مياح، يا ابن الخيمة، يا فقيراً مثل الماء، وثرياً مثل الهواء، وقلبك الكبير يتسع كالصحراء.. آه يا ابن عمي؛ حان الوقت للرحيل.

ابن مياح : إلى أين يا العالية؟

العالية : إلى الدار.. والليل غدار، والعيون تهمس من حولنا إذا تأخرنا، وغداً يكون اللقاء.

ابن مياح : غداً يكون اللقاء (يخرج يميناً)

العالية : (تخرج يساراً تصطدم بمأمون البطايحي) من أنت؟

المأمون : أنا خادم المصباح المسحور. أنا مأمون البطايحي.

العالية : يا لطيف!

المأمون : بماذا تأمرين.

العالية : أنت من الجان؟

المأمون : أنا أقوى من الجان، أنا الإنسان.

العالية : غريب عجيب من أنت؟

المأمون : أنا عجيب.

العالية : ماذا تريد.

المأمون : ما شاء الله.. الله (يدور حولها) ما شاء الله.

العالية : كن مؤدّبا.

المأمون : إن الله جميل يحب الجمال.

العالية : يا طويل اللسان.

المأمون : أنت بلبل من فضاء السماء.

العالية : ما الذي يجري في هذا المساء؟!

المأمون : عندي لك قفص ذهب.. لا قفص من ماس.

العالية : لا أحب الأقفاص الذهبية أو الماسية.

المأمون : ستأكلين وتشربين وتلعبين في أشياء من ذهب.

العالية : عقلك قد ذهب.

المأمون : إذاً دعينا من الكلام وعلينا بالأحلام.. بماذا تحلمين يا صبية؟

العالية : مالك ومال أحلامي يا سفيه؟

المأمون : ما اسمك؟

العالية : ليس لك شأن باسمي...

المأمون : اسمك العالية وأنت الغالية. غالية الثمن والجمال بماذا تحلمين؟ بألف قصر وألف ماسة وألف بيت من الشعر.

العالية : تتجسس علي.. وعلى اسمي؟ وعلى حواري مع ابن عمي؟!

المأمون : عندي من يدفع مهرك ويحب الجمال ويدفع الماس والإحساس.

العالية : مجنون أنت؟

المأمون : لا بل هو.

العالية : من؟

المأمون : أمير البلاد.. الخليفة الآمر بأحكام الله، فارس أحلامك.

العالية : لو لم تنصرف في الحال؛ سأصرخ وأجمع قبيلتي ليقتلوك.

المأمون : أمرك يا مولاتي يا سيدة القصر الفاطمي، سأنصرف الآن (ينحني أمامها ويبتعد)

العالية : هذا الرجل مجنون.. (تختفي العالية)

....

....

(المكان خيمة عمانويل)

عمانويل : (يدخل وخلفه ديمتري) سقطت عكا وطرابلس ونابلس.

ديمتري : نحن الآن على مشارف الديار المصرية ووصلنا إلى العريش.

عمانويل : ستدخل القاهرة يا ديمتري. القاهرة. التاريخ، وسأضع قدمي على رأس أبي الهول وأسأله لماذا لم تحرس القاهرة؟! (يضحكان)

ديمتري : وسأجعل الجنود يفتكون بنساء القاهرة في الليل ويستحمون في النيل. (يضحكان)

عمانويل : وسنذبح المصريين ونلقي بهم للكلاب. (يضحكان)

ديمتري : أليس الأمر غريباً يا مولاي؟

عمانويل : ما هو الغريب؟

ديمتري : أن الآمر بأحكام الله خليفة المسلمين لم يتحرك حتى الآن؟

عمانويل : عيوننا تقول إنه غارق في الخمور والنساء. (يضحكان)

ديمتري : ربما تكون خطة تمويه.

عمانويل : لا أظن.. إنه سكير ضعيف.. ها هي القاهرة أمامنا يا ديمتري.

ديمتري : أمامنا يا مولاي.. (يضحكان)

....

....

(المكان : قصر الخليفة)

(يجلس الخليفة الآمر وهو يأكل وأمامه وفد من كبار العلماء)

كبير العلماء : يا مولاي الآمر بأحكام الله.

الآمر : ماذا تريدون مني؟ تعالوا لتأكلوا معي.

كبير العلماء : أمضينا خمس ساعات ننتظرك يا مولاي.

الآمر : نعم كنت في الحمام.. أستحم وآكل. (يضحك) ماذا تريدون يا علماء البلاد.

كبير العلماء : الفرنج يا أمير المؤمنين استولوا على مدينة عكا وطرابلس ونابلس وبعضا من مدن الشام، ويتجهون الآن نحونا، إنهم في العريش الآن!

الآمر : (وهو يأكل) نعلم بهذا يا شيخنا.

كبير العلماء : وماذا أنتم فاعلون؟

الآمر : يا شيخنا.. نحن ندبر أمر البلاد والعباد. يا علماءنا اطمئنوا.

كبير العلماء : ونحن معكم يا مولاي في السراء والضراء.

الآمر : لا.. لستم معنا. أنتم ما شاء الله علماء البلاد لكم أمور الدين، ونحن لنا أمور الدنيا.

كبير العلماء : ولكن الفرنج يا مولاي ضد أمور الدنيا والدين.

الآمر : اطمئن وطمئن الناس والعلماء .

كبير العلماء : لكن يا مولاي الفرنج وصلوا إلى العريش وفي طريقهم إلى القاهرة.

الآمر : معقول؟! (بسخرية)

كبير العلماء :تستهزئ بكلامي يا مولاي أم لا تعرف حقاً .

الآمر :(يشرب الماء) أنت دائماً يا شيخنا عصبي المزاج تكبر المسائل والأشياء .

كبير العلماء : البلاد مهددة يا مولاي.. من الجوع في الداخل والفرنج في الخارج.

الآمر : مشكلة قلة القمح والغلاء ؛ سيأتي البطايحي ويدبر الأمر .

كبير العلماء : هذه مصيبة وهناك مصيبة أخرى.. غير القمح

الآمر : ما هي؟

كبير العلماء : لو سارت جيوش عمانويل إلينا ستصل في أسبوع. هل نستطيع أن نجهز الناس وندعوهم للجهاد؟

الآمر : لا تقلق.. الناس في مصر في ارتياح لا تزعجهم.. سنهزمهم بإذن الله. إن أرض مصر مباركة؛ قد دعا لها سيدنا آدم، وسيدنا نوح عليهما السلام، سنهزمهم اطمئن يا مولانا.. أنتم يا علماء الأزهر تكبرون المسائل! سنهزمهم هزيمة كبرى .

كبير العلماء : ونحن نأكل نهزمهم يا مولاي؟

الآمر : (يتوقف عن الطعام) هل تحسدني على الطعام يا شيخنا؟!

كبير العلماء : أي طعام يا مولاي.. استأذنك في الانصراف الآن.

الآمر : اطمئنوا.. ناموا مستريحين.. انصرفوا.. أفسدتم علي متعة الطعام.

(يدخل المأمون على الخليفة)

المأمون : البشارة يا مولاي.. البشارة.

الآمر : وجدتها؟

المأمون : وجدتها.

الآمر : جميلة؟

المأمون : رائعة.

الآمر : فصيحة؟

المأمون : معجزة.

الآمر : شقية؟

المأمون : فاتنة.

الآمر : ظريفة.. خفيفة؟

المأمون : لطيفة.

الآمر : نسبها أصيل؟

المأمون : قبيلتها كبيرة.

الآمر : وهي فقيرة؟

المأمون : ثرية بجمالها.

الآمر : وأين العروس؟

المأمون : أحضرت أباها وهو في الخارج الآن.

الآمر : أنا لن أتزوج أباها.. لماذا لم تحضرها هي؟

المأمون : أبوها يريد أن يراك ويتحدث معك.

الآمر : دعه يدخل.

المأمون : يدخل الرجل الذي يقف على الباب.

(يدخل الرجل)

الآمر : تعال تقدم.

أبو العالية : السلام على الخليفة.

الآمر : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته استرح تعال لتأكل .

أبو العالية :شكراً يا مولاي.

الآمر : من أي قرية أنت ؟

أبو العالية : بدوي في جوار أسيوط.

الآمر : ما اسم ابنتك؟

أبو العالية : العالية.

الآمر : العالية.. الله.. اسم جميل.. يا رجل أنا أخطب ابنتك وأتزوجها؛ فماذا تقول؟

أبو العالية : إنه لشرف عظيم يا مولاي، ولكن...

الآمر : ولكن ماذا؟

أبو العالية : أنت لم تشاهدها يا مولاي.

الآمر : أشاهدها.. لقد شاهدتها بعيون مأمون البطايحي، وزيري وصديقي وعيني، ويعلم ما أريد.

أبو العالية : إذن على بركة الله.

الآمر : أعط هذا الرجل مائة ألف دينار ذهب يا مأمون.

أبو العالية :شكراً يا مولاي.

الآمر :وعينه والياً على أسيوط.

أبو العالية :والياً ! هذا أمر كبير عليَّ يا مولاي.

المأمون : إنه لا يقرأ ولا يكتب يا مولاي.

الآمر :عينه شيخاً للقبيلة التي بها.

أبو العالية :شكراً يا مولاي.

الآمر : احضروا العالية إلي هنا في القاهرة معززة مكرمة.

حارس : مولاي.. رسول من عمانويل.

الآمر : ماذا يريد؟

المأمون : أدخله في الحال.

الآمر : أدخله.

الرسول : (يدخل بملابسه البيزنطية) مولاي عمانويل يخبرك أنه قد وصل إلى العريش.

الآمر : أعرف.

الرسول :وسيتحرك للقاهرة غداً .. سلم تسلم.

الآمر : أسلم ماذا..؟ هل ملككم عمانويل هذا مجنون.. مخبول؟!

الرسول : نعم...

الآمر : ألم يعلم أني سأتزوج بعد يومين! هذا وقت غير مناسب للحرب. هذا غباء الملوك.

الرسول : ماذا تقول؟

الآمر : يجب أن يحترم الملوك ميعاد الحروب والسلام، والحب والزواج، ويستشيرون بعضهم! أليس كذلك يا بطايحي؟ فلتحضروا الجنود والفرسان.

الرسول : للحرب.

الآمر : لا.. للاحتفال وإقامة الأفراح لزواجي من الأميرة العالية. انتهت المقابلة. (يخرج الرسول)

....

....

(المكان خيام عمانويل وهو يجلس ومعه ديمتري وهو يأكل)

عمانويل : هذا اللعين يستهزئ بي، سأذهب وأؤدبه في القاهرة، وأضربه على ساقيه ومؤخرته بالعصا. (يضحكان) (أثناء الضحك يشعر بالتعب) ألم شديد في معدتي يا ديمتري.

ديمتري : مولاي ماذا بك؟

عمانويل : لا أدري.. إنه ألم يكاد يفتك بي.

ديمتري : الطبيب لمولانا.

عمانويل : لا يا ديمتري، لا أريد طبيباً؛ إنه ألم بسيط يختفي. لو حدث لي أي مصيبة؛ سيفرح المصريون وستكون كارثة علينا.

ديمتري : معقول يا مولاي نتركك هكذا؟!

عمانويل :نعم اتركوني هكذا. احضر لي قليلاً من الخمر.

ديمتري :يا مولاي.. سأحضر لك قليلاً من الدواء وبدون أن يشعر أحد. (يخرج)

عمانويل : إنها لعنة النيل.. أم لعنة الفراعنة.. أم لعنة ماذا!. (عمانويل بمفرده في الخيمة)

لعنة مصر تحل علي لماذا؟ لا توجد لعنات، إنها خرافات، نعم خرافة.. أنا ملك الفرنج جئت لكي أغير وجه التاريخ وأقيم مدينتي الجديدة. لماذا فتحت مصر ذراعيها للإسكنر الأكبر وقيصر؟ لماذا تقف أمامي وتتحداني؟! أنا لا أرى جيشاً أمامي.. من الذي يقف أمامي من؟ من أين يأتيني هذا الألم الفظيع الذي يكاد يفتك بمعدتي يا ويلي.. الألم شديد لا أريد أن أموت.. لا أريد أن أموت هنا. أريد أن أموت على كرسي العرش في القاهرة. (يقع على الأرض)

ديمتري :(يدخل مسرعاً) مولاي.

عمانويل : أنقذني يا ديمتري.. أنقذني يا ديمتري.. ألم شديد يكاد يفتك بي.

ديمتري : تعال لتدخل الخيمة يا مولاي. (يدخلا الخيمة)

....

....

(المكان الخيمة وتظهرالعالية وأبوها وأمها)

العالية : يتزوج فتاة من بدو الصعيد أي أمير هذا؟

أبو العالية : إنه خليفة المسلمين بنفسه ودخلت قصره.

أم العالية :غداً سنذهب إلى القاهرة.

أبو العالية : لا توجد فتاة في مصر ترفض الزواج من أي ملك أو أمير أو سلطان.

العالية : أنا يا أمي!

أبو العالية : يا ابنتي إنه الخليفة.

العالية : أنا لا أحبه ولا أهواه.

أم العالية : ستذهبين إلى قصور القاهرة.

العالية : أنا بنت البادية وقلبي في البادية.

أم العالية : لماذا كل هذا التدلل؟! أبوك فقير، ليست له سوى عنزة وناقة.

أبو العالية : أعطاني ألف ناقة.. ألف عنزة.. وفرس.. ومائة ألف دينار ذهب.

أم العالية : مائتان.. وعينه شيخ القبيلة.

أبو العالية :وسيبنون لنا منزلاً من الأحجار الكبيرة.

أم العالية :سيرسل لك ألف فارس وألف ثوب وألفاً من العبيد.

أبو العالية : وأرسل لك العطور والبخور، وآه يا العالية من الحرير الذي أرسله.

أم العالية: وأرسل لك ألف كيس من المال.

أبو العالية : ألف كيس من الذهب.

العالية : يا ويلي تبيعونني يا أهلي؟!

أم العالية : أبيعك؟! أنا أزوجك للخليفة أمير البلاد وأعلى رجل في التاريخ.

العالية : يا أمي.. يا أمي. ألم تقولي إنني سأتزوج من ابن عمي؟

أم العالية : ابن مياح؟

أبو العالية : ابن أخي فقير.. تعبان.

أم العالية : أبوه مات من قلة أكل اللحوم.

أبو العالية : عيب يا أم العالية هذا الكلام!

أم العالية : أليست الحقيقة؟

أبو العالية : أنا سأناديه وتحدثي معه. يا ابن أخي يا ابن مياح يا ولدي.

ابن مياح : (يدخل وهو يبكي) آه العالية..العالية.

أم العالية : شاهدته بأم عينك يبكي يالعالية..العالية.. هذا كل ما يستطيع! حاولي إقناعه يا ابنتي. (تخرج)

ابن مياح :ستذهبين بعيداً عني..؟ آه يا العالية.

العالية : كف عن البكاء.. كالنساء.

ابن مياح : كففت.

العالية :افعل شيئاً .. قاتل من أجلي.

ابن مياح : ليس عندي سيف يا العالية ولا خنجر.

العالية : خائب.

ابن مياح : لكنني أحبك. الفقير لا يملك إلا البكاء. أنا والخليفة قضية سخيفة لا يمكن أن نتساوي في الميزان يا العالية.

العالية : يا ابن مياح.. يا ابن مياح أتتركني هكذا يأخذونني إلى قصر الخليفة في القاهرة؟!

ابن مياح : ماذا أفعل يا العالية..؟ ولا أدري من أين ظهر هذا الشيطان الذي يسمي مأمون البطايحي.

العالية : اسمع يا ابن مياح.. لن أتزوج من الخليفة وسأهرب معك.

ابن مياح : تهربين معي؟

العالية : نعم.

ابن مياح : أنا لا أستطيع أن أهرب يا العالية.

العالية : لا تستطيع.

ابن مياح : أهرب من الخليفة؟

العالية : نعم.

ابن مياح : لا أستطيع. أقول الحقيقة. كل المدن ملكه.. الشام، أفريقيا، صقلية، الحجاز، ليبيا، تونس، الجزائر والمغرب.

العالية : يا ويلي أنت تخاف منه ؟

ابن مياح : نعم أخاف.. أخاف من الخليفة يا العالية.

العالية : وأنا.. تتنازل عني؟!

ابن مياح : أنا لا أتنازل عنك.

العالية : إذاً ستسلمني له.. تتنازل عني؟

ابن مياح : أنا لا أسلمك لأحد.. ولا أتنازل.. أبوك هو الذي سلمك.

العالية : أبي سلمني.. باعني.. تنازل عني. انقذني أنت اذاً .

ابن مياح : أنقذك من ماذا؟

العالية : من أبي الذي يريد بيعي بمائتي ألف دينار.. من أمي التي طار عقلها من الفرح بالمال.. من أخي المسكين

بكري الذي يبكي من أجل مفارقتي. أنقذني من هذا الخليفة.

ابن مياح : إلى أين تهربين يا العالية؟! إلى مغارة حيث تأكلنا الوحوش أم نقع في أيدي قطاع طرق ويبيعوننا كعبيد! إلى أين آخذك والأيام لا ترحم، والعالم ضيق أمامي؟

العالية : كل أرض الله هذه ضيقة يا ابن مياح؟!

ابن مياح : يا العالية.

العالية : لا تنطق اسمي.. اخرس.

(تخرج تجري.. يقابل بكري ابن مياح)

ابن مياح : تتهمني بالجبن والخوف.

بكري : الى أين يا ابن مياح؟

ابن مياح : سأغادر هذه الديار ولن أعود إليها. (يخرج)

بكري : يا مصيبتك يا أختي.. الفخ أكبر منك والهم أكبر منك.

أبو العالية : ماذا تفعل يا بكري؟

بكري : أنوح على أختي.

أبو العالية :تنوح بدلاً من أن تفرح لزواج أختك.

بكري : أنوح لأنك بعتها.

أبو العالية : أنا بعتها!

بكري : نعم يا أبتي.. بعتها للخليفة.

أبو العالية : زوجتها لأكبر رجل في الدولة الفاطمية خليفة المسلمين وتقول بعتها؟!

بكري : أنت تخدع نفسك يا أبي.

أبو العالية : أنا لم أخدع نفسي.. وكيف أخدعها!

بكري : ألم تأخذ مهرها مائتي ألف دينار وألف ناقة وألف فرس.

أبو العالية : العالية مهرها يساوي أكثر من هذا.

بكري : اعترفت أنك تبيعها.

أبو العالية : يا بني.. إنها فرصة كبيرة لنا ولك. نحن فقراء في البادية، نجري وراء النوق والماعز والإبل. وجاء لنا الرزق من السماء. أختك تسكن أكبر قصر في القاهرة، وأنت تستطيع أن تذهب للقاهرة.

بكري : أي قاهرة..؟ يا أبي أنا أحب البادية.

أبو العالية : ستكون شرطياً أو جندياً في القاهرة وتسكن أي دار.

بكري : لا أريد.

أبو العالية : تريد أن تجري وراء الأعشاب!

أم العالية: (تدخل) يا بكري.. أنت يا بني.. ستصبح في قصر الخليفة بدلاً من رعي الإبل والغنم، وستأكل لحماً، وتشرب لبناً بالمجان.

بكري : تريدون بيعي أنا الآخر؟

أم العالية : (تسمع أصوات الزغاريح؛ تزغرد) الناس في البادية فرحة. (مع استعراض الفرح)

....

....

(المكان: حارة برجوان)

(يقف شعبان وسنية وزعتر)

سنية : كانت زيجة سيئة.. حظي أسود.

زعتر : يا سنية أحمد مسكين ظروفه صعبة.

سنية : يتزوجني ويسكنني في المقابر مع أخته؟

زعتر : ربنا يهديه.

شعبان : إنه يعمل في قصر الخليفة معك.

سنية : لم نقبض من قصر الخليفة منذ شهرين.

شعبان : معقولة؟

سنية : مأمون البطايحي لم يسلمنا الراتب.

زعتر : هذا الرجل غير معقول كل تجار مصر يشاركهم في مشاريعهم، حتى مرتبات العاملين المساكين يأخذها في بطنه.

سنية : إنه لا يريد أن يذهب للعمل وعاد ليشرب الخمر.

شعبان : استغفر الله.. ومن أين له بالمال؟

سنية : صاحب أحد الشعراء.

زعتر : طراد بن المهلهل.

سنية : وماذا يريد هذا الطراد؟

زعتر : يريد أن يخدع الخليفة بقصيدة.

شعبان : ومنذ شهور لم يقابله.

زعتر : لم يقابله؟

شعبان : لماذا يا سنية؟

سنية : السلطان مشغول بعروسه الجديدة العالية.

أحمد : (يدخل سكران ومعه طراد) أنت هنا يا امرأة؟ لماذا لا تذهبي للعمل؟

سنية : ها هو سكران.

أحمد : أنا لست بسكران يا مغفلة.. أنا فرحان.

طراد : نعم هو فرحان.

سنية : (لطراد) اسكت أنت.. أنت الذي أعطيته المال وذهب به إلى أبي، وقدم له مهري، وتزوجني، وخدعني، وأسكنني في المقابر بجانب أخته نفيسة وزوجها قنديل حفار القبور.

زعتر : لا تذكري اسم قنديل.. أتشاءم من اسمه.

طراد : إن القاهرة جميلة وحارة برجوان أجمل مكان، وأجمل ما في حارة برجوان الأمان، والناس، والهدوء.. والحب بين الناس.

سنية : آه يا حسرتي.. أبي عقله طار بكام دينار، ويزوجني من حمال يسكنني في مقبرة! هذه مسخرة.

شعبان : يا ابني ابحث لك عن سكن آخر.

أحمد : السكن بالإيجار سيحتاج إلى كم دينار؛ وأنا على باب الله.. حمال.

زعتر : طويل اللسان.. طوال السنين لسانه طويل.

طراد : لسانه جميل وليس طويلًا يا زعتر.

قنديل : (يدخل) يا زعتر.. اعطني بخورا وعطر الموتي.

زعتر : يا ساتر من أين جئت؟!

قنديل : ماذا بك؟

زعتر : إني أتشاءم منك.

سنية : وأنا.

قنديل : (لسنية) أنت ماذا تظنين نفسك! طباخة في بيت الخليفة، طباخة تطبخين، وزوجك حمال البستان وليس شهبندر التجار! تكلمي معي بأدب، أنا أكسب في اليوم مثل مرتبك في الشهر.

سنية : وأين المرتب يا حسرتي؟

قنديل : أعطني البخور والعطور.

زعتر : لا تشتري مني قلت لك يا قنديل.

شعبان : من الذي مات اليوم يا زعتر؟

زعتر : عبد الوهاب تاجر الجميز.

شعبان : لا حول ولا قوة إلا بالله.

أحمد :كان جميزه حلواً.. الله يرحمه.. وكان كلما رآني أعطاني بقبضة يده جميزاً.. رحمة الله عليه.. وكانت عزة ابنته جميلة مثل القمر.

سنية : القمر بنت عبد الوهاب مثل القمر! تقول هذا أمامي يا حمال.. تغازل؟

طراد : يا سنية أنت امرأة عاقلة هو يصفها. ولا يغازلها.

سنية : يصفها بالجمال.

طراد : نعم.

....

....

وهنا سكتت (هوى) عن الكلام المباح، فأثارت شهية الاستماع لدي لامار؛ فانتفضت لامار صائحة:

- ويلي منك ياهوى.. أكملي الحكاية، لن تنامي الليلة إلا وقد فرغت منها.

- يا بنت يا لامار حان موعد النوم.

وهنا دخل إلى الغرفة داغروش العبد الخصي الأسمر باسما يتلوى كالأفعى أو اللبوة.

- يا بنات (احزروا فزورا) ماذا أحضرت لكما؟

تنظر له هوى قائلة:

- مصائب أكيد. ملعون أنتَ.

- لا.. خير كثير.. مال وفير.

يخرج من جيبه الأيمن كيسين من المال، ويلوح بكل كيس في يد.

- هذه لكِ وهذه لكِ، واحدة للامار وأخرى لهوى.

- مقابل ماذا يا ملعون؟

- مقابل ساعة للهزار والغناء من هوى، وشهقة من عطر لامار للوزير شاور.

تنظر هوى لداغروش بغيظ.

- ألا تستحي.. ؟

- لا.

- ألا تخجل؟

- كلا.

- ألسنا أخوتك؟

- لا.

ينظر داغروش إلى جيبه الأيسر؛ يمد يده؛ يخرج كيسين آخرين

- إذن كيسان لكل واحدة بدلا من كيس واحد..

تمسك هوى الأكياس وتضعها في جيبها..

- أنت حبيبي يا داغروش.

- حقا؟

- ألا تصدق؟

- كلا.

- خذ قبلة على خدك من هوى وقبلة على خدك الآخر من لامار؛ مقابل أن تخبر الوزير أننا الآن في مخدع الخليفة العاضد بالله.

- قبلتان لا تكفيان.

- طماع سنعطيك أربع قبلات.

- اتفقنا؟

- لم نتفق. عندي لكما خبر وسر الأسرار.

قالت هوى:

- عن من؟

- اعطني قبلة على خدي.

- قل وسأعطيك.. اثنتين.

- الشيخ عثمان.

- عثمان من؟

- طارد الجن والعفريت من أجساد النسوان.

- ما به هرب اليوم من القصر وأسرار زوجة شاور ستجن عليه!

- ما بها؟

- هو يعالجها منذ شهر من العفريت الذي يركبها؟ كل يوم يغلق الباب عليهما من الصباح حتى المساء. اليوم هرب. والوزير شاور طلب منا البحث عنه.

- من الرجل.. وكيف يعالجها.. وبأي شيء؟

قامت هوى وقبلت داغروش من خديه قبلتين فرح وخرج من الحجرة؛ فضحكت البنتان اهتز شجر الياسمين الموجود بجوار النافذة؛ الياسمين يعشق ضحك البنات في المساء....

هجمت لامار على هوى وأمسكتها من ثوبها الحريري أكملي حكاية العالية وقصر الهودج. قالت هوى وهي تضحك:

....

....

الزمان : نهاراً

المكان : شوارع القاهرة فى عصر الآمر

صوت هوى :

- ما جرى يشبه الحلم؛ فالعالية تستعد للزفاف، والقصر على قلق ينتظر الحدث السعيد. خرج المنادي في الأسواق والحارات ينادي:

المنادي : (ينادي) يا أهالي القاهرة الطيبين الحاضر يبلغ الغائب مولانا الخليفة سيتزوج الليلة من الأميرة العالية بنت الحسب والنسب. والدعوة عامة لحضور الاحتفال بين القصرين.. يا أهالى القاهرة الطيبين (يخرج)

أحمد : خليفتنا هذا الآمر بأحكام الله رجل نزيه صاحب مزاج يحب الجمال والنساء.

شعبان : لعنة الله عليه رجل غريب.

أحمد : أميرة جميلة أليس كذلك يا سنية؟!

سنية : نعم سمعت هذا.

الشرطي : (يدخل) هيا أقيموا الزينات أمام كل دكان وكل بيت هيا أقيموا الزينات تحركوا يا أهالي حارة برجوان.

طراد : سأحاول أن أذهب إلى القصر الآن.

(فرح الأهالي رغماً عنهم لزواج الآمر بأحكام الله)

....

....

(المكان خيمة عمانويل وقد مدد عمانويل ساقيه على أريكة)

عمانويل : إني مريض يا ديمتري.

ديمتري : ماذا بك يا مولاي الملك؟

عمانويل : الألم يكاد يفتك ببطني.

ديمتري : عجز الأطباء عن علاجك يا مولاي!

عمانويل : عمانويل يموت في مصر. ويهزمه المرض ولا تهزمه العسكر!

ديمتري : أي موت تتحدث عنه يا مولاي؟

عمانويل : أوصيك يا ديمتري لو مت هنا لا تدفني في مصر.

ديمتري : لن يحدث يا مولاي.. أي موت تتحدث عنه؟

عمانويل : لو مت أعد جثتي إلى بيزنطة وادفني.

ديمتري : يا مولاي لا تقل هذا الكلام.

عمانويل : (في أنفاسه الأخيرة) لا تجعل المسلمين يشعرون بمرضي وموتي.

ديمتري : لن يحدث يا مولاي.

عمانويل : كنت نعَم الصديق يا ديمتري وأوصيك بما قلته لك.. كنا نحلم بالقاهرة أنا وأنت.

ديمتري : نعم يا مولاي.

عمانويل : أموت والقاهرة أمامي لمسيرة يوم ما أغرب الأقدار يا ديمتري!

ديمتري : نعم يا مولاي.

عمانويل : يقولون إن القاهرة معجزة الدنيا.

ديمتري : يقولون يا مولاي.

عمانويل : لا تنس ما قلته لك. (يموت عمانويل)

ديمتري : لن أنسى.. مولاي.. مولاي.. أين الكاهن.. أين الكاهن.. هاتوا الكاهن في الحال. (يدخل الكاهن)

الكاهن : ماذا حدث أيها القائد؟

ديمتري : سيدي الكاهن.. مات مولاي الملك عمانويل.

الكاهن : لا حول ولا قوة إلا بالله.

ديمتري : إن مولاي يريد أن يدفن في بيزنطة.

الكاهن : لي رأي.

ديمتري : ما هو؟

الكاهن : علينا أن نجعل جثمانه هكذا حتى لا يظن أحد أنه مات، ونكتم خبر موته عن المصريين.

ديمتري : تخاف عليه من المصريين؟ ولكن عفن بطنه...

الكاهن : أولاً تُفتح بطنه.

ديمتري : تفتح بطنه؟!

الكاهن : وتلقي بمصارينه إلى العراء، ونضع ملحا حتى لا تتعفن جثته.

ديمتري : وبعد ذلك؟

الكاهن : ينقل الجثمان بطريقة سرية إلى بيزنطة.

ديمتري : كيف؟

الكاهن : ندفنه وسط الزبالة المتجهة إلى بيت المقدس؛ حتى لا يكشف السر.

ديمتري : هذا رأي صائب.

الكاهن : أغلق الخيمة جيداً عليَّ حتى أفتح بطنه، واخرج أنت إلى الجنود أخطب فيهم وأمرهم بالعودة.

ديمتري : سأخرج. (يتجه إلى بعيد) أيها الجنود.. الملك عمانويل تماثل للشفاء، وعليكم بالشراب والاستعداد للعودة إلى بيزنطة.

(المكان قصر الآمر بأحكام الله)

(تظهر العالية وسنية تجلس أمامها)(سنية حامل)

سنية : مولاتي.. أنت طيبة القلب. بسيطة. رقيقة وإنسانة.

العالية : إني استريح في الحوار معك يا سنية.

سنية : كل أهالي القاهرة يريدون مشاهدتك ورؤيتك؛ فأنت أجمل نساء القصر الفاطمي.

العالية : جمالي سبب بلائي.

سنية : أي بلاء يا سيدتي؟

الآمر : (من الخارج) يا العالية..العالية.

سنية : مولاي خرج من الحمام. أستأذن.. مولاي الآمر.

الآمر : العالية مع طباخة القصر سنية.

سنية : أمرك يا مولاي .

الآمر : العالية.. تمدح في طبخك يا سنية.

سنية : سيدتي العالية أطيب قلب.

الآمر : أجمل امرأة في هذا الزمان يا سنية.

سنية : نعم يا مولاي.. استأذنك يا مولاي.

الآمر : اخرجي يا سنية ودعيني مع شمس روحي المرتعشة.

العالية : أنت تبالغ في التشبيه يا مولاي وأنت بليغ.

الآمر : التشبيه والبلاغة من صفات الشعراء وأنت شاعرة يا العالية.

العالية : دعك من الشعر الآن.. واذهب إلى الديوان.

الآمر : مأمون البطايحي في الديوان.

العالية : تثق فيه كل هذه الثقة يا مولاي؟

الآمر : إنه الوزير الأمين النبيل.

العالية : كل هذه الصفات فيه؟

الآمر : نعم.

العالية : والناس التي تشكو من الغلاء؟ هل تعلم يا مولاي أن سعر القمح وصل إلى ثلاثين ديناراً للأردب الواحد!

الآمر : أنت يا كائني الجميل الرقيق تشغلين نفسك بأسعار القمح؟

العالية : ماذا تفعل الناس يا مولاي عندما لا تجد الطعام؟

الحارس : (يدخل) مولاي الوزير المأمون البطايحي بالباب.

الآمر : أنا مشغول الآن.. ليذهب إلى الجحيم.

العالية : دعه يدخل في الحال.

الآمر : أنا لا أريده.

العالية : دعه يدخل أيها الحارس.. استقبله يا مولاي وأنا معك.

الآمر : دعه يدخل لمدة دقيقة.

الحارس : الوزير مأمون البطايحي.

المأمون : مولاي الآمر بأحكام الله.. البشارة يا مولاي البشارة.

الآمر : بشارة!

المأمون : مات عمانويل ملك الفرنج.

الآمر : كيف؟

المأمون : مات وألقوا بمصارينه في الصحراء وحملوه إلى بيزنطة في الزبالة حتى لا نراه.

الآمر : (يضحك) الحمد لله.

المأمون : ورجعت جيوشه عن العريش.

الآمر : الحمد لله.

العالية : وماذا فعلت يا مأمون؟

المأمون : أعلنت الأفراح في البلاد يا مولاتي، وبأن جيوش مولاي الآمر هزمته، والناس تغني في الشوارع انتصرنا.. انتصرنا.. انتصرنا.

العالية : وهل ذهبت جيوش مولانا لمقابلته فعلاً؟

المأمون : لقد كانت روح أجدادنا من الجنود تدافع عن مصر يا مولاتي وتدعو لنا.

الآمر : هذا صحيح روح الأجداد هي التي قاتلت ودافعت عن مصر.

المأمون : وسيخرج الناس بعد صلاة الظهر لتحية مولاي على الانتصار.

الآمر : ومن سيحييهم؟

المأمون : أنت يا مولاي.. خليفة المسلمين الآمر بأحكام الله المنتصر.

العالية : أنت تكذب على الناس يا مأمون وتقول لهم إننا حاربنا عمانويل، وتجعل مولاك يخرج لتحيتهم كقائد منتصر؟!

المأمون : أنا أتوج مولاي على النصر.

العالية : نصر على معركة وهمية لم تحدث؟

المأمون : ومن قال إن التاريخ كله معارك حقيقية.. ؟ معظم معارك التاريخ وهمية.. مصادفات وخيانات.

العالية : ولم تجد إلا مولاك؛ لتجعله في معركة مزيفة؟

المأمون : مولاتي العالية تعلم القليل عن مولاي وعن إخلاصي لمولاي وعن تاريخي مع مولاي.

العالية : نعم أعلم القليل. وما هو الكثير الذي عندك؟ الزيف والوهم والخداع!

الآمر : مأمون..العالية.. ماذا بكما..؟ أنا هنا.

العالية : أنت يا مولاي تراه يخدع الناس والناس لا تعلم الحقيقة، ليست هناك معركة وإن الله هو الذي دافع عن مصر.

المأمون : الناس تحب الكذب.. الحاكم الصادق لا تحبه الناس.. هذه هي الحقيقة يا مولاتي الأميرة. الصدق جريمة.. والكذب نعمة عند الجماهير.

العالية : مولاي هل أنت توافق على هذا الكلام؟

الآمر : اسكتا الآن. أنتَ وهي..

العالية : أجب عليَّ، هل توافق على هذا الكلام يا مولاي؟

الآمر : قلت اسكتي الآن.

العالية : والناس الجوعى، وغلاء القمح الآن في مصر الأردب صار بثلاثين ديناراً، سنبيع للناس الوهم بدلاً من الخبز يا بطايحي أجبني؟

المأمون : (ينظر للآمر) تكلم يا مولاي.

العالية : سأخرج أنا الآن (تخرج ويحاول أن يخرج خلفها فتسرع وتمشي)

الآمر : العالية.. أنت غاضبة؟ العالية.. (يرجع إلى المأمون) أغضبتها يا بطايحي.

المأمون : أعتذر لها يا مولاي ولك أيضا.. وما أخبار ولي العهد؟

الآمر :إني أحبها يا بطايحي وأعتقد أنها ستكون أماً لابني ولي عهدي.

المأمون : أنت مشغول بالعالية يا مولاي أكثر من اللازم.

الآمر : إنها حياتي يا بطايحي. ولكن أجبني ما سبب غلاء القمح.. واختفائه من مصر؟

المأمون : العالم كله يشكو من الغلاء.. الدولة العباسية، والدولة الأموية، والدولة البيزنطية، ولسنا نحن بمفردنا.. إنها أزمة عالمية.

الآمر : الحمد لله إنها أزمة عالمية. ولكن العالية مشغولة بهذه القضية.

المأمون : مشغولة هي بالأمر (بخبث ودهاء) إنها سيدة مصر الأولى الآن ومن حقها أن تهتم بالناس.

الآمر : نعم تتحدث عنه أكثر من اللازم.

المأمون : (يرتبك) طمئن مولاتي سأدبر الأمر، ولا تشغل بالها. أستأذنك. (صوت الناس فرحة تغني انتصرنا.. انتصرنا)

....

....

الزمان : نهاراً

المكان : حارة برجوان

زعتر : الحمد لله انتصرنا.. انتصرنا.

أحمد : انتصرنا على من؟

زعتر : انتصرنا على الفرنج على عمانويل.

أحمد : من الذي انتصر؟

زعتر : جيشنا.. الحمد لله انتصرنا.

شعبان : (وهو يدخل الحارة) السلام عليكم.

أحمد : مبروك يا عم شعبان انتصرنا على عمانويل.

شعبان : من الذي قال؟

أحمد : عم زعتر قال "جيوشنا هزمت جيوش الفرنج"

شعبان : أنت شاهدت المعركة يا زعتر؟

زعتر : يقولون الجثث ملقاة في العريش على الطريق يميناً وشمالاً ، وكلها للفرنجة.

شعبان : هذا تخريف لم تحدث معارك.

أحمد : ماذا تقول يا عم شعبان؟

زعتر : من يريد أن يتكلم في السياسة يبعد عن الدكان، لقد صدر المرسوم بالاحتفال بالنصر؛ فنحن نحتفل الآن.

أحمد : انتصرنا.. انتصرنا.. أرقص بالعصا أم بالعمامة؟

سنية : (تدخل وهي حامل) ماذا تفعل يا أحمد يا حمال؟

أحمد : سنية أم العيال.. أنا فرحان.. انتصرنا.

سنية : انتصرنا على من؟

شعبان : اسأليه يا سنية.

أحمد : إلى أين أنت ذاهبة؟

سنية : إلى القصر.

أحمد : ألم أقل لك استئذني سيدة القصر في إجازة؟

سنية : قالت إنها تحتاج إلي ولا يمكن أن أتركها بمفردها في القصر.

أحمد : تحبها سيدة القصر الفاطمية، العالية تحب زوجتي.

شعبان : سأذهب إلى السوق.

أحمد : لماذا تذهب يا عم شعبان؟

شعبان : في الحركة بركة يا أحمد يا حمال. (يخرج)

سنية : وأنا سأذهب إلى القصر. (تخرج)

شهبندر التجار: صباح الخير.

أحمد : صباح الانتصار.

شهبندر التجار : أي انتصار؟!

أحمد : انتصرنا على الفرنج يا شهبندر التجار.

شهبندر التجار: كيفك يا زعتر؟

زعتر : الحمد لله.. الأمور على ما يرام.. ولكن ما أخبار القمح؟

أحمد : القمح في ارتفاع والتجار جيوبهم في انتفاخ.

شهبندر التجار : هذا هو الحسد والغيرة والحقد على التجار الأثرياء يا أحمد.

أحمد : أبشع الأحوال أن يستغل التجار القمح في ارتفاع الأسعار.

شهبندر التجار: القمح من الأرض، والأرض تحتاج مياه النيل، ومياه النيل علمها عند الله. ادعوا الله حتى يفتح لنا أبواب الخير بدلاً من الهجوم على التجار يا سي أحمد يا حمال.

أحمد : الله لطيف بالعباد يا شهبندر التجار.

شهبندر التجار: أين الدواء يا زعتر؟

زعتر : ها هو، ألف سلامة عليك.

شهبندر التجار: شكراً، خذ ثمنه.

أحمد : ألف سلامة عليك يا شهبندر التجار.

شهبندر التجار: الله يجزيك خيراً ويشفيك. (يمشي)

أحمد : هذا الرجل غريب والله.. ما هذا الدواء الذي تعطيه له يا زعتر يا عطار؟

زعتر : ليس لك شأن.

أحمد : فهمت الآن.. مقويات.. لتقوي الإنسان في الليل.

زعتر :اذهب بعيداً عن الدكان.

أحمد : شهبندر التجار ضعيف؟ يا حول الله يا رب من كثرة المال.

زعتر :اذهب بعيداً عن الدكان.. قلت لك.

أحمد :لا تحاول أن تكنز كثيراً من المال يا عم زعتر؛ حتى لا تصاب بضعف في المسائل.

زعتر : لسانك اليوم طويل.

أحمد : سأذهب إلى القصر لأحمل قمامة البستان. دنيا غريبة؛ شهبندر التجار يأخذ مقويات!

الفصل الثانى
الجوع يسرق الفرح من العشاق

(يدخل الناس يغنون بقية أغنية الانتصار)

الزمان : ليلاً

المكان : قصر الخليفة

الآمر : (يصرخ) مأمون.. مأمون (يدخل)

المأمون : مولاي الخليفة الآمر بأحكام الله.. ماذا جرى؟

الآمر : ما الذي يجري في قصري؟

المأمون : ماذا يجري يا مولاي؟

الآمر : العالية.. العالية.

المأمون : ماذا بها يا مولاي.. أهي مريضة؟

الآمر : حزينة.. حزينة في الليل والنهار.

المأمون : حزينة! لماذا؟

الآمر : قدمت لها الجواهر.. الملابس.. العطور.. لا تبتسم. غزالي حزين يا مأمون ولا أعرف لماذا! وأنا قلبي يتفطر عندما أراها هكذا. مضى عام على زواجنا وهي حزينة...

المأمون : كانت سعيدة. ماذا حدث؟ كانت..

الآمر : (مقاطعاً) كانت.. كانت.. بعد أن احتفلنا بعيد زواجنا الأول ونحن في حفل الزواج؛ قدمت لها عقداً من اللؤلؤ، وقلت لها أميرتي سيدتي هل تتذكرين العالية..

فتاة البادية؟ أشاحت بوجهها من فوق القصر الزاهر وكأنها سافرت بعقلها إلى هناك.

المأمون : يا مولاي تسافر بعقلها وهي معك؟

الآمر : نعم.

العالية : (تدخل العالية وخلفها سنية) يا سنية لا أحب أن تطبخ لي امرأة سواك. صباح الخير يا مولاي. (ترى المأمون) أنت هنا يا بطايحي؟!

المأمون : نعم يا مولاتي. (ينحني)

العالية : الناس جوعى يا بطايحي، الناس ضجت من الأسعار وأنت هنا تجلس مع مولاي السلطان تتحدث حديث السمار، أو تغازله ببعض الأشعار؟

الآمر : (يضحك) جميلة العالية.. أحبها يا بطايحي. أحبها .ماذا كنت تقول لي؟ (يضحك)

المأمون : يا مولاتي. إن الأسعار...

العالية : (مقاطعة) يا مولاي.. يجب أن تعلن أن البطايحي هو مدبر الديار حتى نكتفي من شر الأسعار.

الآمر : عينتك في الحال مدبر الديار لحل المشكلة يا مأمون.

المأمون : (بغيظ) أمر مولاي.. أمر مولاي. أستأذن.

العالية :قبل الاستئذان فكر يا مأمون إن الله يحب الرحمة، وهو الرحمن، وهو الرحيم، ولم يأخذ أحد معه في القبر لا الحرير ولا الذهب ولا دينارا. هذه حكمة الموت؛ فاتعظوا يا أولي الألباب.

المأمون : العالية تحدثني بصوت رجال الدين...

العالية : إن غفلنا عن أمور الناس انصرف الله عنا.

المأمون : أستأذن الآن.

الآمر : إلى أين؟

المأمون :أصلي ركعتين شكراً لله، ثم أذهب لأدبر شؤون الرعية. السلام عليكم. (ينظر بخبث ودهاء للعالية)

الآمر :أنتِ دائماً ترافقين سنية طباخة القصر بنت الجيزة.

سنية : خادمتك يا مولاي.

العالية : سنية مثل أختي.

الآمر : أختك (يضحك).

العالية : ليس لي أخوات بنات.

الآمر : سيكون لك جوارٍ ووصيفات.

سنية : إن شاء الله يا مولاي.

العالية : إن سنية تريد أن تلد خارج القصر، وأمرتها أن تلد هنا.

الآمر : تلد هنا.

سنية : لا يا مولاي. سألد بين أهلي.

الآمر زوجك يعمل هنا؟

العالية : نعم.

سنية : إنه حمال القمامة في البستان.

الآمر : آتوني به في الحال.

الحارس : أحمد الحمال يحضر في الحال. (ينادي الحارس)

الآمر : بماذا تفكر العالية.

العالية : البعيد يا مولاي.

الآمر : وما هو البعيد يا العالية؟

العالية : البادية.. والخيام.. وركوب الهودج.. الهواء النقي.

الآمر : البادية، والخيام، وركوب الهودج، الهواء النقي. أمر سهل؛ سأنقله هنا.

العالية : كيف تنقله إلى هنا. (تضحك)

الآمر : أنا لا أمزح يا العالية. آتوني بالمهندسين أريد أكبر مهندسي الدولة الفاطمية. أريد عباقرة ونوابغ هذا الزمان.

الحارس : يحضر كبار المهندسين في الحال.

الآمر : (ينظر للعالية) بماذا تأمرين يا العالية؟

الحارس : أحمد الحمال يا مولاي.

أحمد : (يدخل) السلام على مولانا الخليفة الآمر بأحكام الله.

الآمر : أنت أحمد الحمال؟ أمرتك بأن تقيم مع زوجتك في القصر حتى تضع مولودها هنا.

أحمد : لا.

الآمر : لا! لماذا ؟

أحمد : أنا لا أحتمل العيش في القصر؛ فأنا ابن الحارة وابن الضجيج والزحام، والقصور هادئة لا تنفع، زوج أختي قنديل يسكن القبور وهي هادئة تماما، ويشكو من الهدوء...

الآمر : القبور كالقصور؟

أحمد : نعم يا مولاي .في الهدوء وأنا أحب الضجيج والزحام.

الآمر : يا أحمد.. ما أقوله أمرًا وليس طلباً .

أحمد : سأحضر قنديل بدلاً مني، ولو حضر قنديل لا بد وأن تحضر زعتر.

الآمر : من زعتر؟

أحمد : أحسن عطار في مصر.. صانع الدواء للأمراض، الإمساك والإسهال، وصانع دواء مقوي الرُكب...

الآمر : أي رُكب؟

أحمد : رُكب الرجال حتى يقومون بالأعمال.

سنية : يا مولاي أحمد طويل اللسان.

أحمد : والله يا مولاي، زعتر يقول عنده دواء لكل الرجال الذين يحتاجون للأولاد، يأكل منه الرجال؛ النساء يحبلن في أسبوعين.

الآمر : (يرتبك) دواء للإنجاب؟!

أحمد : نعم.

العالية : زوجك مخرف يا سنية.

سنية : منه أستغيث.

الآمر : وأنت يا حمال ترفض السكن في قصر الخليفة؟

أحمد : سامحني يا مولاي.. لي طلب عندك.

الآمر : ما هو؟

أحمد : الشاعر طراد بن المهلهل من قبيلة بني طيء.

الآمر : ومالك ومال الشعراء؟

أحمد : إنه صديق ويسكن في حارتنا وجاء ليسمعك شعره؛ رفض الوزير المأمون البطايحي، ومضى عام وهو لم يستطع أن يقابلك...!

الآمر : وتسمع الشعر يا حمال؟

أحمد : لا أفهم معظم الكلام لكنه يبدو أنه كلام جميل.

الآمر : سأسمع شعر صديقك طراد بن المهلهل.

أحمد :شكراً يا مولاي سأذهب لإحضار طراد.

الآمر : وستجلس هنا مع سنية في القصر حتى تلد.

أحمد : الحارة والضوضاء، وأصحابي وأهلي، الذين يزورونني؟

الآمر : أجعلهم يزوروك هنا.

أحمد : أهل الحارة؟!

الآمر : أهل الحارة كلهم. (يضحك)

أحمد : أنا ذاهب يا سنية أحضر أغراض المنزل.

سنية : وأنا سأحضر معك يا رجل. (أستأذن مولاتي)

العالية : تفضلي..

....

....

(يظل الآمر بأحكام الله والعالية)

الحارس : كبير المهندسين يا مولاي.

الآمر : ليدخل في الحال.

الحارس : كبير المهندسين.

الآمر : هيا تقدم يا سالم.

سالم : أمر مولاي.

الآمر : أنت كبير المهندسين.. وتعلم عن أرض مصر الكثير.

سالم : أعلم يا مولاي.

الآمر : ما هو أجمل مكان في النيل، فيه الهواء النقي.

سالم : جزيرة الفسطاط..

الآمر : أريدك يا سالم أن تجمع لي كل المهندسين العباقرة، أريد أن تعمل بستاناً ساحراً على ماء أرض الجزيرة.

سالم : هذا ممكن.

الآمر : وأريد قصراً كبيراً على جزيرة الفسطاط.

سالم : ممكن.

الآمر : أريده أن يتمايل كالهودج.

سالم : لم أفهم!

الآمر : قصر يتمايل كالهودج.. نعم قصر كالهودج؛ يتمايل على الماء يميناً ويساراً. أماماً وخلفاً. هودج يا سالم.. أريد أن أعيش فيه. أنا والعالية.

سالم : هذا أمر صعب.

الآمر : ليس هناك أمر صعب.. أنت كبير المهندسين وكبير المفكرين في العلوم الهندسية.

سالم : أمرك يا مولاي.

الآمر : وأريد من حوله الزهور الجميلة النادرة، ما يفوق الخيال لأن العالية عالية الجمال.

سالم : أمرك يا مولاي.

الآمر : انصرف الآن، وابدأ في التفكير والتدبير في أيام.

سالم : أمرك يا مولاي، ولكن أعطنا فسحة من الوقت.

الآمر : الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك. (يخرج سالم)

العالية : أنت يا مولاي تفعل كل هذا من أجلي؟

الآمر : نعم. ومن أجلك سأبني قاهرة جديدة، وعاصمة جديدة، وأرضاً جديدة.. أرى براءة العالم في عينيك يا العالية.

العالية : كل هذا الحب لي يا مولاي؟

الآمر : أنا يا العالية.. عشت حياتي كلها في جو المؤامرات، توليت الحكم وأنا طفل صغير، كان عمري ست سنوات بالتحديد في سنة ٤٩٥ هجرياً، مات أبي المستعلى بالله، ومات جدي المستنصر بالله، وتولاني شاهنشاه قائد الجيوش؛ الذي أغرقني في الملاهي والمسرات والملذات. وعندما بلغت السادسة عشرة من عمري؛ قتلته وعينت الوزير الأفضل. فزاد الشر بالشر؛ فقتلته ووليت المأمون البطايحي صديقي الوفي وأطلقت الناس من السجون، وعشت في القصور المليئة بالمؤامرات.. بالجواري.. بالشعراء.. بالمرتزقة

بالمداحين، عشت في شك في كل شيء من حولي؛ حتى الشراب والطعام الذي أشربه غير متأكد منه هل هو مسموم أم لا. وهناك نبوءة يا العالية تقول أني سأموت مقتولاً.. مقتولاً أتسمعين؟

العالية :لماذا تقول يا مولاي مقتولاً أي نبوءة وكيف تقتل؟

الآمر : هل سأقتل بخنجر أم بسيف؟ والذي سيقتلني هل هو صديق لي أم حارسي الخاص.. أم امرأة..؟ لستِ أنتِ ما أقصده.. أنتِ الأمان والحنان لي يا العالية؛ لقد أصابني الملل من دسائس وحياة القصور. ما ذنبي أني أحبك.. أحبك. تزوجت من ألف امرأة، عشقت أجسادهن وجمالهن للحظات أو ساعات أو أيام، ولكني لم أحبهن كل هذا الحب. كأن ينبوعاٌ دافئاً في روحي قد تفجر منذ شاهدتك، وأشعر أنك شاردة العقل. من؟ من أنت يا العالية؟! فيم تفكرين يا سيدة القصر الفاطمي الأولى، يا سيدة مصر الأولى أين أنتِ مني؟

العالية : يا سيدي الخليفة.. ماذا أقول لك؟ أنا بدوية فقيرة، أحب الشعر والبراري، والحملان التي تجري من أمامي، والرمال النقية تستجير من الشمس، والشمس

تضج في العراء، والجبال تسجد لله شكراً، وأنا في الخيمة أطبخ لأبي وأمي. أبي يصرخ أين القهوة يا العالية.. أين القهوة يا العالية؟ ويجادلني ويحاورني بالشعر، يأكل التمر، ويشرب القهوة. وينظم الشعر في خيمتنا التي تهتز من هواء الفجر. وصوت الكلاب التي تنبح طوال الليل. أين كل هذا يا سيدي؟

الآمر : كل هذا يالعالية! سيكون لك ما تتمنين وأكثر في قصرنا الجديد.. (قصر الهودج) كل حجر له حكاية ووراءه مؤامرة.. وبين كل حجر و حجر عين، وأمامه برودة شديدة.
آه يا العالية أنت تتحدثين وكأنك في سجن وكأن البادية جنة؟

العالية : نعم يا مولاي.

الآمر : وإذا أردت أن أعيش أنا وأنتِ في خيمة في البادية؛ سأعيش معك يا العالية، وأترك هذا القصر في الحال.

العالية : تحبني يا مولاي كل هذا الحب؟

الآمر : أتشكين في حبي يا العالية؟

العالية : آه يا مولاي كلانا معذب.

الآمر : يا العالية لو شئت أن أشتري لك العالم؛ لاشتريته. دعينا أنا وأنت نكمل الحوار، تعالي يا العالية معي.. تعالي. (يختفيان..)

....

....

الزمان : نهاراً.

المكان : الصحراء خيمة أبو العالية.

أبو العالية : (يجلس ويعد النقود) واحد وسبعون.. اثنان وسبعون.. ثلاثة وسبعون.

بكري : يا أبي إني سأسافر إلى أختي العالية.

أبو العالية : إلى أين؟ خمسة وسبعون.. ستة وسبعون.

بكري : إلى القاهرة.

أبو العالية : مائة وعشرون.. مائة وثلاثون.

بكري : يا أبي إني سأسافر إلى العالية في القاهرة.

أبو العالية : (ينتبه) مجنون أنت! تسافر للقاهرة؟

بكري : نعم يا أبي.

أبو العالية : لماذا.. هل تريد مالاً من الخليفة؟

بكري : تقصد ثمن بيع أختي..؟ لا.

أبو العالية : انتبه لكلامك يا ولد.. أنا لم أقبض غير مهر أختك.

بكري : (يضحك) مال.. مال.. عائلتنا تستيقظ وتنام في الكلام عن المال والعاج.. والذهب.. والياقوت.

أم العالية : (تدخل) ماذا تريد من أختك وأنا أعطيك؟

بكري :لا أريد شيئاً يا أمي أنت تعرفين.

أبو العالية :لا تلف ولا تدور كم ديناراً تريد وسأعطيك؟

بكري : لا أريد يا أبي أي مال، ما أريده هو مشاهدة العالية.

أم العالية : كل هذا الحب يظهر فجأة؟

بكري : لا يوجد لي أشقاء غير العالية.. يا أمي.

أم العالية : لماذا تذهب إليها إذا؟

بكري : كي أحضر القمح.. نعم.. أحضر القمح.

أم العالية : فكرة طيبة، اذهب واحضر لنا القمح.

أبو العالية : سأخرج وأجهز لك الفرس. (يخرج).

أم العالية : سأحضر لأختك هدية. (تخرج).

ابن مياح : (يدخل) بكري ما هذا الذي سمعته، أنت تسافر؟

بكري : نعم.

ابن مياح : للعالية؟

بكري : نعم.

ابن مياح : أشتاق إليها يا بكري.

بكري : كانت أمامك، وقالت لك تعال لنهرب وأنت رفضت.

ابن مياح :لقد خفت عليها أن يختطفها بدلاً من أن يتزوجها، وخفت عليكم أن يقتلكم إن رفضتم..

بكري : خفت عليها وعلينا والله، هذا رأي خائب، كنت تهرب معها.. نعم تهرب معها.

ابن مياح : خفت عليها من قطاع الطرق وجنود الخليفة تتابعنا، خفت عليها من تجار الرقيق، خفت عليها من الفضيحة وسط الأغراب.

بكري : لقد خفت على نفسك أن يقتلك الخليفة.

ابن مياح : وخفت على نفسي. هل استرحت يا ابن العم؟

بكري : العشاق إذا خافوا؛ ماتوا أحياء.

ابن مياح : من أين سمعت هذا الكلام؟

بكري : من العالية.

ابن مياح : العالية.. أين هي؟

بكري : في قصر الآمر بأحكام الله.

ابن مياح : أشتاق لرؤيتها.

بكري : اذهب إليها.

ابن مياح : لا أستطيع.. هل تريد أن يقتلوني!

بكري : لن يقتلك أحد. اذهب ولا تخف.

ابن مياح : كيف؟!

بكري : اركب الفرس وأنا سأذهب معك.

ابن مياح : لا أستطيع.. لا أستطيع.

بكري : إذا لم تذهب؛ سأذهب أنا الآن.

ابن مياح : بلغها سلامي وأعطها هذه القصيدة. (يعطيه رسالة)

بكري : إني أشفق عليك يا ابن عمي.

ابن مياح : تشفق عليَّ...؟

بكري : أشفق عليك وعليها؟

الأب : هيا يا بكري.. الفرسة جاهزة.

بكري : إني قادم يا أبي.

....

....

الزمان : نهاراً.

المكان : قصر المأمون البطايحي الوزير.

(يجلس شهبندر التجار وتاجر ١ – تاجر ٢)

المأمون : أنا الآن القائم بتدبير الديار، وأنتم التجار.. كبار تجار القمح في هذه الديار.

شهبندر التجار: وماذا عليك وماذا علينا؟

المأمون : علٍّي تدبير القمح في هذه الديار.

شهبندر التجار: أنت تلعب بالنار يا مأمون.

المأمون : ماذا تقول؟!

شهبندر التجار: أقول ما سمعت يا وزير البلاد والقائم بتدبير الديار.

المأمون : إني سأختم على مخازنكم؛ حتى لا يباع القمح إلا في الموسم القادم، وأختم على مخازن الغلات.

شهبندر التجار: ولماذا تفعل هذا؟

تاجر ١ : ولماذا تفعل هذا؟

المأمون : حتى تظهروا ما في المخازن من قمح ويظهر للناس.

تاجر ٢ : هذه آراء قاسية وأوامر شديدة.

المأمون : إني حددت سعر القمح.

شهبندر التجار: سعر القمح الآن الأردب بثلاثين ديناراً.

المأمون : ستبيعون كل مائة أردب بثلاثين ديناراً

تاجر ١ : هذا خراب للبيوت.

تاجر ٢ : هذا تجاوز المعقول.

شهبندر التجار: الخسارة ستعم الجميع، وتخرب بيت الجميع يا سيدي الوزير.

المأمون : لأنكم تجار، ولأنكم لصوص؛ لن أسمح لكم ببيع القمح إلا بالسعر الذي حددته، كل مائة أردب بثلاثين ديناراً. ومن سيخالف أوامري؛ سأجلده وأشنقه وأحرقه أمام الشعب.. إني أريد العدل... أسمعتم؟

تاجر ١ : سمعنا.. نستأذن. (يخرج).

تاجر ٢ : سمعنا.. وسننقل هذا الكلام لباقي التجار. (يخرج)

شهبندر التجار: إن ما نفعله عبء ثقيل على التجار.. تجار القمح.

المأمون : أنت لا تفهم يا شهبندر التجار.

شهبندر التجار: أفهم ماذا.. ؟ أنت تلعب بالنار يا مأمون.

المأمون : العالية.. البدوية زوجة الخليفة.

شهبندر التجار: نعم.. مابها؟

المأمون : إنها تهتم بقضية القمح والأسعار، وتحدث الخليفة ليل نهار، إنها تمسك خنجراً لتطعنني به.

شهبندر التجار: وأنت تمسك خنجراً.. لتطعن به تجار القمح؟

المأمون : إذا بيعوا القمح وأسكتوها؛ حتى لاتفتح خزائن أسراري ويعلم الخليفة.

شهبندر التجار: نعلم أنك شريك كل التجار وكل الطوائف في مصر، أنت شريك الجميع، وتربح نصف الأرباح من كل التجار. يخيل إليَّ أنك رجل هذا الزمان.

المأمون : ومن شر حاسد إذا حسد.. أتحسدني؟!

شهبندر التجار: أنا لا أحسدك، ولكنني أشعر بالخوف منك.

المأمون : تخاف مني أنا يا شهبندر التجار؟

شهبندر التجار: إنك الآن تتخلص من تجار القمح، المهم أن تجلس في الديوان وفي أكبر قصور الخليفة.

المأمون : يبدو أنك بدأت في إطالة اللسان؟

شهبندر التجار: لا تغضب.. إننا أصدقاء وأحياناً شركاء؟

المأمون :أخرج الآن وأحضر التجار غداً، سأكون في السوق وعليك أن تظهر القمح.

الخادم : مولاي زعتر العطار.

المأمون : أدخله في الحال.

شهبندر التجار: أنت تتعامل مع زعتر؟

المأمون :كل الرجال والنساء تتعامل مع زعتر.

زعتر :(يدخل) السلام على مولانا المأمون.. أحضرت المطلوب. شهبندر التجار هنا؟!

شهبندر التجار: كيف حالك يا زعتر دواؤك في المرة السابقة كان مصيبة.

زعتر :معقول؟

شهبندر التجار : هذا ما كان.

المأمون : واسأل الجيران.

(يضحكون)

....

....

الزمان : نهاراً.

المكان : الحارة.

أحمد : يا أهل حارة برجوان.. أخوكم أحمد الحمال وحرمه الست سنية؛ سيذهبان إلى قصر الخليفة الآمر بأحكام الله.

شعبان : أنت فرحان يا حمال؟

أحمد : يا عم شعبان لقد دعاني الخليفة مع سنية لنقيم في القصر حتى تلد.

شعبان : ستنسى كل ما عملته فيك من أيام.

أحمد : لا تخف يا عم شعبان أحاول أن أكلم لك الخليفة.

بكري : (يدخل الحارة) أين الحاج شعبان.

شعبان : نعم أنا الحاج شعبان؟

بكري : أنت شيخ حارة برجوان؟

شعبان : نعم.

بكري : سرقوا حصاني.

شعبان : من الذي سرقك؟

بكري : تاجر يسكن في هذه الحارة.

شعبان : ما اسمه؟

بكري : فتوح المشعلجي.

شعبان : حرامي.. وما الذي أوقعك به؟ إنه لص وليس تاجراً.

بكري : قال لي إنه تاجر، وإنه يريد شراء حصاني مقابل أن يعطيني مائة أردب قمح. أخذ الحصان وهرب الآن.

شعبان : سأحضره في الحال، وسأذهب مع بعض الرجال. أنت تبدو غريبًا عن الديار.

بكري : أنا من البادية.

شعبان : يابني إن القاهرة بها الشريف، وبها اللص الظريف، وبها الشخص الغبي. سأخرج الآن ولا تغادر المكان. (يخرج)

أحمد : وأنت جئت من الصحراء لتبيع الحصان؟

بكري : لا.. أنا جئت لزيارة أختي. والحصان قد تعب؛ فقلت أبيعه، وعندما أعود آخذ القمح على حصان جديد قوي.

أحمد : ووقعت في يد فتوح المشعلجي!

بكري : ما معنى المشعلجي؟

أحمد : يشعل الفوانيس والقناديل، ويسير في الشوارع؛ ليوصل الناس وهو خادم لأي إنسان.

بكري : أين القصر الزاهر؟

أحمد : أنا أعمل هناك تريد أن تراه؟ كل بدو مصر يحضرون للقاهرة لمشاهدة هذا القصر.. كم تدفع لتراه؟

بكري :ديناراً .

أحمد :هه.. ديناراً لترى القصر الزاهر؟ سأدخلك داخل القصر وتراه من الداخل.

بكري : هذا هو المطلوب. أريد أن أدخل القصر من الداخل.

أحمد : تدفع عشرة دنانير؟

بكري : هذا كثير.

أحمد : لا.. سأجعلك تمر بين الحراس كالشعرة من بين العجين.

بكري :إذاً سأدفع.

قنديل : (يدخل ومعه سنية) ما هذا الذي أسمع يا أحمد يا حمال؟

سنية : كلم يا أحمد يا حمال.. زوج أختك قنديل.

أحمد : ماذا حدث؟

قنديل : زوجتك تقول إنك ستذهب إلى القصر؟

أحمد : نعم.

قنديل : تسكن القصر أنت وزوجتك سنية؟!

أحمد : نعم.

قنديل : وأنا وأختك نسكن في القبور؟

أحمد : الخليفة يريد أن أجلس مع سنية معه في القصر؛ فهل أقول له لا سأجلس مع زوج أختي قنديل في المقابر مع الأموات؟

قنديل : هه.. تفر من أختك وأولادها.. خذها معك في القصر هي والأولاد.

ستوتة : (تدخل ستوتة) أخي أحمد خذني معك.

سنية : كلم يا أحمد أختك ستوتة.

ستوتة : نعم يا أخي أحمد.. أختك ستوتة.

قنديل : خذها وخذ أولادها معك.

ستوتة : خذني وخذ أولادي وخذ عمران يا أحمد.

سنية : يأخذكِ إلى أين؟

ستوتة : مالك يا سنية. تريدين أخذ خير أخي بمفردك يا سنية؟

سنية : يأخذني أنا؟! أنا هي التي تعمل في القصر. أنا طباخة عند أميرة القصر الفاطمي. أميرة مصر الأولى العالية.

بكري : (لسنية) أنت طباخة العالية؟

سنية : نعم (تنظر لستوتة) لن يسمح لك بدخول القصر يا ستوتة.

بكري : ادفعي عشرة دنانير وتدخلين القصر.

قنديل : أنت تدخلنا القصر بعشرة دنانير.

بكري : لا ، بل هو. (يشير إلى أحمد)

قنديل : أنت تدخل الناس للقصر الزاهر بعشرة دنانير للفرد؟ سأبلغ مولاي الخليفة.

أحمد : أبلغه يا حبيبي.. أبلغه يا زوج أختي.. ستوتة يا أختي؛ سأطلب من مولاي أن يسمح لك بالجلوس معنا في القصر.

سنية : تجلس معنا في القصر!

قنديل : ستوتة لا تلزمني خذها معك هي وأولادها.

بكري : ماذا بك يا رجل.. تلقي بزوجتك وأولادها من أجل القصر؟!

قنديل : سيجدون هناك اللحم والطعام والخبز، هنا لا يوجد قمح.

أحمد : آخذها إلى أين؟

ستوتة : القصر.. القصر يا أخي.

أحمد : يا رأسي.. يا أبي أين أنت؟

ستوتة : أبوك مات يا أخي.

بكري : لا حول ولا قوة إلا بالله أبوك مات.. البقاء لله.

زعتر : (يدخل) من الذي مات.. قنديل هنا رائحة الموت تفوح.

قنديل : من أين أتيت يا زعتر؟

زعتر : من قصر المأمون البطايحي الوزير.

قنديل : زعتر يذهب لقصر المأمون وأحمد الحمال للقصر الزاهر وأنا في المقابر.. لماذا حظي هكذا؟

ستوتة : وخذني معك يا أحمد.

سنية : يأخذك إلى أين؟

شعبان : (يدخل) لقد أمسكت فتوح المشعلجي، لكن للأسف باع الحصان.. وهذا ثمن الحصان يا بني عوضك على الله.

بكري : هذا ثمن الحصان مائتا دينار؟

شعبان : نعم مائتا دينار.

بكري : شكراً.

قنديل : مائتي دينار.

المنادي : يا أهالي القاهرة مرسوم من الوزير مأمون البطايحي مدير الديار.. سعر القمح مائة أردب بثلاثين دينار. ومن يخبئ القمح؛ سيسجن ويختم على قمحه ولا يباع إلا العام القادم.. ومن يبيع قمحه على بركة الله.

قنديل : (يخرج) سأذهب لأشتري القمح.. خذ أختك معك يا أحمد يا حمال. (يجري)

زعتر : لعبة.. لعبة يقوم بها الملعون.

أحمد :فعلاً قنديل هذا ملعون.باع زوجته.

زعتر : قنديل.. ؟ أنا أتكلم عن الوزير.

أحمد : الوزير يلعب لعبة.. كيف؟

زعتر : سمعت بأذني أنه يشارك كل التجار من كل الطوائف في كل أنواع التجارة.

أحمد : كل التجار؟

زعتر : نعم كل تجار مصر يشاركهم مأمون البطايحي في... (بكري يقف بعيداً يتحدث مع شعبان لكنه يذهب للحوار بين زعتر وأحمد)

سنية : هيا يا أحمد لا تتكلم في أمور السياسة.

أحمد : أمور السياسة عند العطارين مؤكدة؛ فهو يضع دواء العجائب لعودة العجوز الذي شاب إلى الشباب، وتقوية الركب؛ فيدعو له الرجال، وتدعو النساء للرجال. إنه زعتر العطار.

زعتر : يا سلام يا أحمد يا حمال.. كم أحب الحوار معك مع أن لسانك طويل.

شعبان : أنا سأذهب إلى سوق الطحانين؛ لأرى ما يفعله هؤلاء التجار الملاعين في الناس.. عن إذنك يا أخ بكري.

بكري : معك الله. (يخرج شعبان ويجري)

ستوتة : يا أحمد.. خذني معك للقصر أنا والأولاد.

أحمد : خذي يا ستوتة، هذا كيس (ويعطيها كيساً) فيه ثلاثون دينارًا، اذهبي واشتري مائة شوال أردب قمحاً؛ واصنعي خبزًا للأولاد. وغداً سأمر عليكِ وأخذكِ من الدار بعد أن أستأذن مولاي. اذهبي الآن.

ستوتة :سأذهب يا أخي شكراً لك (تأخذ الدنانير وتمشي) ولكن قنديل؟

أحمد : قنديل هذا.. اضحكي عليه.. أسرعي.

(تخرج مسرعة)

أحمد : هيا بنا يا بكري إلى القصر الزاهر.

سنية : من هذا الذي ستأخذه معك؟

أحمد : هذا بكري.

سنية : بكري من؟

بكري : بكري البدوي.

(يدخل البنائون فرحين.. يرقصون ويغنون.. حتى يختفوا)

بكري : إلى أين يذهبون؟

أحمد : إنهم سيبنون أكبر قصر في التاريخ، قصر يتمايل على الماء في جزيرة الفسطاط.. الروضة. للعالية سيدة مصر الأولى. كل مهندسي الدولة الفاطمية والعلماء والبنائين؛ يبنون قصراً للعالية. هيا يا بكري غنِّ معهم.

....

....

اقتحمت رشيدة الغرفة على الجارية هوى وهي جالسة تحكي وأمامها لامار وقالت ضاحكة ساخرة :

- يا بنات كل واحدة منكنَ جالسة تتسامر في سيرة الناس! هل هذا كلام؟

نظرت لها هوى؛ رفعت حاجبيها الساحرين، والكحل يضيء عينيها:

- ما بك يا رشيدة يا لئيمة أكيد أكيد لديك نميمة! ما هي هاتها؟

- الناس في كرب وحر، وكر وفر، والأمير شاور يريد شراء جواري جديدات، وأتى بخمسة منهن فاتنات؛ ولذلك فقد قرر أن تقوم السارية بتعلميهن النظام. هههههه أعطى للحرامي الخزانة وقال له احرسها! السارية منسجمة وهو لا يعرف سرها، وقال لها علميهن أصول القصور!

ضحكت البنات الجميلات. ولضحك البنات تفرح جدران البيوت. ولجمال النساء سر و بهاء؛ ينعكس على الجدران. وسر جمال القصور أنه يضيء بضحك البنات.

قالت رشيدة :

- احذري يا لامار.. الأمير شاور قد يطلبك من الخليفة العاضد في لحظة تجلٍ

- يا ويلي..

نظرت لها هوى:

- لا تخافي.

- لا تخافي.

- لماذا؟

- قال إن لامار خدودها مثل طواويس الذهب..

هههههههه

ضحكت البنات..

وقال وهو سكران:

- البنت لامار طاووس الحسن

نظرت لها هوى بذهول:

- من أين أتيت بهذا الكلام يا ماكرة؟

- كنت في مخدعه أمس، سكر وأخذ يهذي باسم لامار ويحكي، وقال إن العين يروقها من لامار أكثر مما يحكي به اللسان...

ضربت لامار على صدرها:

- يا إلهي.. لقد وضعني في رأسه. يا ويلي..

- ونظر إلى ساقي النحيلتين وقال لي رجليكِ حمشة، وصحتكِ وحشة، وجسمك غير متناسق الوتر... أقول لك شيئا إذا جاء القدر؛ عمى البصر.. وبكى وقال: الحيوان عثمان.. الحيوان؛ هرب من أسرار زوجتي ولم يكمل علاجها. لو رأيته؛ سأمزقه. فتشوا حارة شيحا لم يجدوه. زوجته لا تعرف. وجار البحث عنه في حارات أخرى مجاورة؛ حتى يأتوا به مقيداً ..

تنهدت هوى وقالت:

- ماذا جرى لعثمان الذي يخرج العفاريت ربما خطفه عفريت وجرى!

ضحكت البنات. قالت لامار:

- ماذا جرى للعالية والأمير؟

قالت هوى:

ما جرى للعالية حين خطفها وخطبها من والدها الخليفة الآمر بأحكام الله وأخذ يبني لها قصرا كالهودج على صفحة ماء النيل كما طلبت تريد قصرا مستحيلا،فأتى بالمهندسين من كل مكان من بلاد الدنيا؛ ليبنيه على ماء النيل في منطقة الروضة بالقاهرة. ولكن قلبها مع مياح ابن عمها، البدوي الفقير الضعيف النحيف المغلوب على أمره. العالية تعيش عذاب هدهد سليمان حين فرق بينه وبين إلفه وحشره مع غير أبناء جنسه، ونتف ريشه وألقى به في مدارج النمل؛ لأنه تأخر عن موعد لقاء الملك سليمان..

لقد وقعت العالية مع رجل يملك عقل نملة وضعف بَقة.

قالت رشيدة بمرح وسمارها الخمري يلفح الهواء يغازل كحلها:

- أقول لكم سرًا يا بنات عن الأمير شاور؟

- هه قولي.

- هذا الرجل، اكتشفت أن عضوه طول عضو ذبابة!

- ههههههههههه.

- معظم رجال القصر الآن يحملون عضو الذباب.

قالت هوى:

معظم الرجال في هذا الزمان.. هكذا..

خجلت لامار وقالت :

- عيب عيب يا بنات.. هذا كلام قبيح عيب؛ فلنعد إلى حكاية الأميرة العالية وزواجها من الخليفة الآمر، وقصر الهودج المهجور المغلق.

قالت هوى والبنات من حولها:

- قلوب المحبين لا تعرف الخضوع. قلوب المحبين نغم حزين وفرح وشجن. العالية بيعت أم لم تبع. الحب قدر. فرح أو قهر؟ وبدأ البناء...

....

....

حارة اليهود في مصر

حارة اليهود ليست حارة. بل مغارة بل تجارة وشطارة؛ بل غموض وحي كامل ببيوت متراصة، ومنفذه الوحيد الحارة..

الحاخام يعقوب يعطي أموالا لصغار اليهود؛ ليتاجروا ويربحوا.. كان اليهود يشعرون أنهم أصحاب الأرض. أرض مصر والصحراء ومن ضمنها فلسطين، فهم يعرفون أن النبي يعقوب والنبي يوسف عليهما السلام جاءا من صحراء مصر، وكان اليهود من سكان مصر، وأرضهم صحراء مصر حتى عصر موسى، وخرجوا معه ثم عادوا لها. ويذكرهم القرآن ادخلوا مصر آمنين من فرعون، وقالوا لموسى نريد أن

نأكل ما اعتدنا عليه من طعام، الفول، والبصل، والثوم. أما المسيحيون فانهم حمقى؛ دخلوا إلى المسيحية وتركوا اليهودية! ولولا أن المسيح يهودي الأصل؛ ما ترك اليهود ديانتهم. وعلى هذا تحملوا رذالة المصريين المسلمين والمسيحين؛ لأنهم منحرفون من وجهة نظرهم أو خرجوا عن الملة.

دخل عثمان إلى حارة شيحا المجاورة لحارة اليهود متنكرا رغم أنفه؛ فقد كان شبه عاري ويغطي نفسه بملاية سرير، وعلى رأسه طرحة نساء، اقترب من بيت ضوء المكان أو مصباح؛ ودق الباب وهو يلتفت يميناً ويساراً، فتح مصباح الباب وجده؛ فاندهش:

- أنتِ من؟

- خبئني يا مصباح.

- أنا لا أعرف نساء قبيحات. امشي يا امرأة..

- عيب عليك يا مصباح أنا رجل.

- كمان رجل ولابس ست وقادم لي.. امشي من هنا.

- يا مصباح أنا عثمان..

- عثمان مين؟!

- الشيخ عثمان عمك.

- ليس عندي عم اسمه عثمان.

- يا ولد يا خايب الرجاء أنا عثمان.

انتبه مصباح؛ فاندهش وصاح:

- يخرب بيتك أنت هربان من عَملة؟! واحد قفشك مع مراته؟

- خبئني يا ولد أبوس إيديك أنا هربان من شاور.

- يخرب بيت أهلك..وجاي عندي...؟!

- أنت رجل، والرجل الوحيد الذي يمكن أن يحميني الآن

- لا.. الوحيد الذي يستطيع أن يحميك يعقوب في حارة اليهود.

- وديني عنده.

- ما تروح أنت؟

- كلمة منك، كلمة مني؛ يمكن يوافق.

- أنا عامل مشكلة في الحارة، وضارب ابن اسحاق؛ عشان أخته سارة اشتكت إني بعاكسها؟

- سارة البنت البيضاء أم شعر أصفر؟

- صح..

- والله أنت مشكلة. أنا هاوريك بيته وامشي.

- ماشي.

- طول ما أنت بتجري وراء النسوان ياما هتشوف..

سار معه مصباح أو (ضوء المكان) وأوصله إلى بيت يعقوب، حاخام يهودي مشهور في أرجاء مصر، دق مصباح له الباب ومشى. عندما فتح الباب غلام يهودي؛ سأل عثمان عن يعقوب ودخل له في المعبد واتجه إليه مستنجدا:

- أغثني.. يغيثك الله يوم الحساب يا يعقوب.

- ما بك يا عثمان؟

- أسرار الرومية؟

- من؟

- زوجة شاور.

- ما بها؟

- كنت أعالجها؛ هلكتني.. هلكتني؛ لم أعد أستطيع السير على ركبتي!

- أكيد هلكتها! يقولون جميلة ورومية.. هل شفيتها يا ولد؟

- بنت الحرام لم تكن مريضة؛ بل هي لئيمة تدعي أنها مريضة. لم أخرج من حجرتها إلا ساعة في اليوم، فتصرخ؛ فأعود للحجرة بالأمر فتصمت..

- العب ياعثمان العب وبعد؟

- هربت.. هربت؛ لم تفلح معي الكوارع ولا خصيان الجدي ولا شيء هلكت.

- ههههههه. وما المطلوب مني؟

- خبئني عندك حتى أجد حلا؟

- لماذا؟

- شاور أرسل جنوده يبحثون عني..

- أعطيك الأمان. اجلس في السرداب. في حجرة. لا تقترب من الخادمات.

- حاضر.

- خذه ياغلام إلى السرداب..

يارب.. لا تجعل نفسي ضعيفة أمام بنات اليهود الجميلات، يا رب أنا غلبان..

....

....

نزل عثمان إلى سرداب تحت الأرض، وأخذ يتنصت على ما يجري في الخارج..

دُق الباب على يعقوب. قال يعقوب :

- افتح الباب ياغلام.

- حاضر يا سيدي.

يفتح الفتى الباب؛ يقتحم البيت عشرة رجال ملثمين، يحملون سيوفاً ؛ خاف الصبي ورجع إلى الوراء .

- ماذا تريدون؟

- يعقوب.. الحاخام

ظهر يعقوب من خلف الستار وهو يرتجف

- أنا يعقوب..من أنتم؟!

نزع رجل القناع من فوق وجه وقال:

- وأنا رشيد.

- سيد الجبل؟

ضحك رشيد

- سيد الجبل.. نعم.

- ماذا تريد؟ مالاً.. لا تقتل أحداً، إن أردت مالاً؛ أعطيتك. كم تريد؟

- لا أريد مالاً.

- ولماذا تخيفنا؟ ماذا تريد إذاً؟

- أن تعاونني؟

- على من أعاونك وكيف؟

- على صلاح الدين الكردي الذي يحتل مصر ببطء، وشاور غافل، وصلاح الدين يتحكم بنا بقراقوش الغبي.

- لم أفهم؟؟

- لم نخلص من الفاطميين بعد.. جاء الأكراد يحتلوننا!

- قدر مصر وقدرنا.

- أنا لا أفهم في هذا! كل ما أفهمه أنه ظالم.

- اسمع يا رشيد نحن اليهود قلة في مصرن ولا ننحاز إلى أحد الآن. الأمر غريب.

- أنت تعيش على أرض مصر.

- أنا مصري.. مثلي مثل المسيحين، ومثل المسلمين، كلنا في نفس البلاء.

- هل تعتقد أن المسيحين سينحازون ويقفون مع الصليبيين كرهاً في المسلمين؟

- هههههههه يا صديقي حب مصر أقوي منا. نحن كلنا في مركب واحد لا تصدق الإشاعات.

- إذاً ساعدني؟

- بماذا؟

- بالسلاح والمال.

- لماذا تقاوم شاور وصلاح الدين أو البيزنطيين أو السلاجقة، قل لي؟

- أنا أحب مصر أكثر من أولادي يا يعقوب.

- شاور وصلاح الدين وجهان لعملة واحدة، والفرنج وجه آخر لتدمير مصر

- ولماذا مصر؟

- درة الله على الأرض رغم عيوبها. فمصر أول من ظهر فيها التوحيد على يد أخناتون، ومن صحراء وبدو مصر جاء سيدنا يعقوب عليه السلام، وجاء سيدنا يوسف، وظهر في مصر نبي الله موسى عليه السلام. ولا تنس جاء إلى مصر سيدنا إبراهيم من صحراء أسيا، وجاء عيسى عليه السلام من صحراء مصر، وكانت تسمى فلسطين على اسم أمير مصري. ومصر جاء إليها الإسلام، وأرسل إليهم سيدنا محمد عليه السلام دعوة لدينه؛ فأرسلوا له ماريا هدية، فتزوجها وأنجبت منه..

- أنت مؤمن بمصر.

- أنا أعرف مصر.. ماذا تريد؟

- مالاً وسلاحاً؟

- مالاً؟ سأعطيك قرضاً وليس دعماً، بفائدة عشرة بالمائة؛ لأنها أموال لأيتام اليهود. اتفقنا؟

- اتفقنا.

- خذ عشرة أكياس، بكل كيس مائتا دينار.

- لا يكفي.

- عشرون.

- لا يكفي.

- ثلاثون.

(أخد أكياس المال ثم نظر له رشيد)

- أنا لن أسدد لك المال، بل سأحمي الحارة، حارة اليهود من الشطار والزعران، وسيجلس على قارعة الطريق أربعة من رجالي بالسلاح؛ يحمونكم من كل من سولت له نفسه لفعل شيء سيء.

- الله يحمينا.

- الله أرسلني لك. ألم أخبرك الله انه أرسلني لك؟ قال لي اذهب إلى يعقوب. على فكرة من يومين اقتحم الحارة بعض الزعران وسرقوا مال عزير تاجر المواشي صحيح؟

- صحيح والله.

- على فكرة العصابة هذه ليست مسلمة؟

- نعم!.. ماذا تقول؟

- مكونة من مسيحيين ومسلمين ويهود.

- الشر ليس له دين يا رشيد وعلى أية حال اتفقنا هذا المال للحراسة ٥ سنوات.

- ثلاث سنوات فقط. ولن يدخل الحارة أي جبان. ادعُ لي.

- الله يهديك.

- قل الله يحميك.

- الله يحميك؟

- على فكرة ممكن تجمع تجار اليهود غدا وتجمع المال الذي دفعته لي أضعافا؛ من أجل أموال الأيتام.

- لا تهتم سنفعل.

- قل لي ياحاخام.

- ماذا؟

- هل الله ما زال يراقبنا نحن المصريين أم يأس منا وتركنا؟

- الله رحيم..

- سلام.. من الليلة سأترك أربعة رجال على ناصية مدخل حارة اليهود.

- طيب.. ولكن أنصحك نصيحة غالية يا رشيد؛ لا تحاول أن تكون مثل شاور وصلاح الدين؟

- كيف؟

- تقبض على الناس وتحاكمهم وتقتلهم في ساعة واحدة!

- أه فهمت تتحدث عن محمود المسلم ووليم المسيحي ولوي اليهودي.

- نعم.

- خونة.. الثلاثة خونة تعاونوا مع العدو الصليبي؛ فقبضت عليهم وحاكمتهم، وشنقتهم، وعلقتهم على أبواب الحارات، وقلت هذا مصير الخونة. أنت تريدني أن أترك الخونة؟!

- في ساعة واحدة قبضت عليهم وحكمت وقتلتهم؟!

- تأكدت من خياناتهم.. ولي عيون في كل ركن في البلاد.

هز رأسه الحاخام ونظر له رشيد.

- سلام.

- سلام يا رشيد. سؤال شخصي يا رشيد؟

- قل.

- هل صحيح أنك متزوج من ثلاث نساء مسلمة ويهودية ومسيحية؟

- هههههههه نعم. وكلهن مصريات. وكل واحدة على دينها تمام.

- والخوف هو المهر!

- لا.. الرجولة يا سيدنا والشهامة. سلام.

خرج رشيد وأغلق الباب. نزل يعقوب إلى السرداب حيث عثمان يقيم.. ويتنصت؛ فز عثمان وجلس، ادعى أنه لم يسمع شيئا.

- ستجلس هنا ثلاثة أيام يا عثمان.

- أشكرك.

- وبعدها تخرج، سترتدي ملابس اليهود وتسكن في الجيزة في قرية بعيدة عدة أيام، وسأرتب لك السكن، وستعيش وسط اليهود ولا تفعل أي مشكلة لأن عيون شاور في كل مكان.

- شكرا.

وبالفعل بعد ثلاثة أيام؛ خرج عثمان في زي رهبان اليهود في الليل، وركب حماراً ، ومعه حارس يهودي من المعبد وأوصله إلى قرية في أطراف الجيزة، وأدخله معبداً صغيراً طينياً على نهر النيل.. وأسموه شمعون بدلًا من عثمان.

في الصباح، استيقظ في الكوخ على صوت البنات الفلاحات وهن يحملن الجرار؛ ليملأن من ماء النيل. كانت ضحكاتهن مثل دغدغة؛ جعلته يهب واقفا ويخرج من الدار.

- صباح الخير يا بنات.

- صباح النور.

قالت نورة أحلاهن:

- من أنت؟

- أنا عثمان أقصد شمعون؟ من أنت، ما اسمك يا جميلة؟

- أنا نورة بنت روبيل..

- أنت يهودية مثلي؟

- كلنا يهوديات.

- جميلات.. والله جميلات.. كلنا يهود مع بعض.

- شكرا.

- أي واحدة عندها ألم أو عفريت؛ فأنا أعالج بالتوراة، أقرأ عليها؛ فتشفى.

- اقرأ لي شيئا على رأسي فبه ألم وصداع.

(ارتبك..)

- هنا أو في الداخل؟

- هنا.

- لا ينفع.

- الآن.

- ليس الآن.

- لا الآن.

وضع يده على جبينها وأخذ يتمتم

قالت له واحدة منهن:

- ارفع صوتك؛ لنسمع يا سيدنا؟

- لا.. لا. لا يتم الشفاء إلا بالهمس. الله لا يحب الصوت العالي.

لمحه روبيل حاخام المنطقة وهو في هذه الحالة صاح فيه:

- شمعون ماذا تفعل عندك؟ تعال هنا.

ارتبك عثمان وذهب مهرولا.

- حاضر.

كان يعقوب قد أوصى روبيل بأن لا يتركه، ويظل تحت عينيه خاصة مع النساء.

أغلق عليه الباب شهرا. ويظل طوال اليوم ينتظر سماع ضحكات البنات، اللائي يملأن الجرار بالماء من النيل في الصباح.

الزمان ليلا.

المكان : قصر العاضد.

قالت لامار:

- **لم تكملي حكاية العالية يا هوى.. حكاية العالية والآمر بأحكام الله، الأمير العاشق.**

قالت هوى:

ذات مساء حدث ما هو آت.

الفصل الثالث

جنـــون العشـــق

المكان : ممر بجوار غرفة العالية.. مظلمة.. إضاءة على سنية وهي تدخل في ممر وخلفها أحمد.

سنية : يا جرأتك.. تُدخل هذا الرجل البدوي القصر معنا.

أحمد : أخذت منه عشرة دنانير.

سنية : وهو الآن يتجول في القصر؟

أحمد : سيقبض عليه الحراس ويخرجونه.

بكري : (يدخل) هذا قصر رائع.

أحمد : انتهت الزيارة.. أخرج الآن.

بكري : لم أكمل مشاهدة القصر.

أحمد : لم يبق إلا غرف النوم، وجناح السلطان، وجناح الحريم.. ماذا تريد؟

بكري : أشاهد القصر.

سنية : ادفع له العشرة دنانير؛ ليخرج.

أحمد : خذ خمسة دنانير واخرج.

بكري : لا.. لم نتفق على هذا.. قلت ستدخلني القصر وستريني إياه.

أحمد : خذ عشرة دنانير واخرج.

بكري : لا.

سنية : أرأيت..؟ لا يريد أن يخرج.

بكري : لن أخرج.

أحمد : خذ هذه عشرتك وهذه خمسة دنانير مني واخرج.

بكري : لن أخرج.

أحمد : خذ عشرتك وأنا غير مسؤول عنك.. إذا قطعت رقبتك.

بكري : لن يقطع أحد رقبتي.

سنية : هيا بنا يا حمال.. هذا اليوم لن يمر على خير. امش أمامي، دعهم يعتقلوه ويقتلوه.. ويجلسوه على خازوق.

بكري : لا يستطيع أحد أن يفعل معي شيئاً.

سنية : هذا رجل مجنون.

بكري : مجنون.. مجنون.

سنية : إذا سألوك كيف دخلت لا تذكر اسم زوجي ولا اسمي.

بكري : لن أذكر.

أحمد : جميل أنت والله.. ستقتل بعد ساعة وأنت مبتسم.. هيا يا سنية (يخرج أحمد وسنية).

العالية :(دخل) يا مولاي.. يا مولاي.

بكري : العالية.. العالية (تفزع العالية عند مشاهدته ثم تفرح)

العالية : بكري.. غير معقول.. بكري أخي.. بكري البدوي الطيب؟

بكري :نعم بكري يا العالية.

العالية : متى وصلت وكيف جئت إلى هنا.. ومن أدخلك القصر وأين أمي وأين أبي؟

بكري : وصلت اليوم وجئت بمفردي.. أبواب القصر مفتوحة ما دام فيها الطباخ والزراع والخدم. ولم يعرفوا اسمي ولا من أكون.

العالية : دخلت رغم كل الحراسة؟! (تضحك) كيف حالك يا أخي أيها البدوي النبيل؟

بكري : بخير يا العالية.

العالية : كيف حال أبي؟

بكري : قلب المال ميزانه.. تبعثر عقله في العدد والعد للأغنام والإبل.

العالية : وأمي؟

بكري : تبيع الجبن واللحم وتجمع المال من وراء أبيك.

العالية : وأنت؟

بكري : بخير.. اشتقت أن أراك جئت إليك، وجئت؛ لأشاهد القصر الزاهر وأحضر بناء القصر الجديد.. شاهدت عشرات البنائين لقصر الهودج، القصر الذي يتمايل فوق مياه النيل. معجزة هذا الزمان.

العالية : اشتقت أن تراني أم ترى القصر؟ ما الحكاية ما سر مجيئك إلى هنا؟ تخاطر برأسك من أجل أن تراني! ولماذا لم تقل لهم إنك أخي حتى يستقبلوك استقبال الأمراء؟ ولماذا دخلت مع الخدم؟ لماذا يا أخي!

بكري : يا العالية (يبكي) الحياة بدونك ليس لها معنى. لماذا باعك أبي! ولماذا أنت هنا؟ وتركت خطيبك ابن عمنا؟!

العالية : ابن مياح.

بكري : نعم.

العالية : ماذا به؟

بكري : مريض.

العالية : ماذا تقول؟

بكري : هي الحقيقة يا العالية.. صار نحيفاً أكثر وخفيفاً يشعر بالجبن والفزع والعجز.. ابن مياح عاشق ضعيف، ويكتب الشعر عنك ولا يقوله، يتمتم به.

العالية : يا ابن مياح إليك المشتكى
مالك من بعدكم قد ملكاً
كنت في حبي مطاعاًمدركاً
قائلاً ما شئت منكم آمراً
فأنا الآن بقصر موصد
لا أرى إلا حبيباًممسكاً
كم تثنينا بأغصان اللواء
حيث لا تخشى عليناادركاً
وتلاعبنا برملات الحمى
حيثما شاء طليقسلكاً

بكري : الله يا أختاه.. لو سمع هذه الأبيات سيفرح.

العالية : لا تغادر إلى أي مكان.. سأذهب في الحال وأحضر لك هدايا وأجهز لك مكاناً.

بكري : سأجلس هنا وأشاهد القصر.

العالية : (تكتب هذه هي الأبيات في رسالة) أرسلها معك الي ابن مياح خبئها في ملابسك يا بكري.

....

....

(تخرج العالية) بكري يكرر الأبيات؛ ليحفظها:

يا ابن مياح إليك المشتكى..
ما لك من بعدكم قدملكاً
كنت في حبي مطاعاً آمراً ..
نائلاً ما شئت منكم مدركاً
وأنا الآن بقصر مؤصد..
لا أرى إلا حبيباً ممسكاً
كم تثنينا بأغصان اللواء..
حيث لا تخشى عليناً دركاً
وتلاعبنا برملات الحمى..
حيثما شاء طليق سلكاً.

المأمون : (يدخل المأمون على بكري) (يرفع عليه السيف) من أنت؟ وكيف دخلت القصر؟! وماذا تفعل هنا. تكلم. انطق وإلا قطعت رقبتك.

بكري : كنت أسير مع الخدم والعبيد الذين يحملون الخضار؛ فدخلت.

المأمون : لا تريد أن تعترف كيف جئت إلي هذا المكان؟ وكيف دخلت القصر أصلاً ؟

بكري : والله هذا ما حدث.

المأمون : ما اسمك؟

بكري : قلت لك يا سيدي اسمي بكري .

المأمون : ولماذا جئت يا بكري للقصر.

بكري : سمعت عن القصر الزاهر معجزة الدنيا القصر الهودج.. القصر الذي يتحرك كالهودج علي النيل.. أردت أن أشاهده.

المأمون : هيه.. ساذج أنا إلى هذا الحد! يا حراس.. خذوه.

بكري : لا.. لا تدعهم يأخذوني.

المأمون : فتشوه (يدخل حارسان يفتشانه يخرجان الرسالة من جيبه) (يقدمانها إلى المأمون)

المأمون : رسالة.. مؤامرة.. لقتل مولانا الآمر بأحكام الله.

بكري : لا والله.

المأمون : (يفتح الرسالة يقرأ الشعر (ما هذا..العالية) ينظر للتوقيع).

بكري : نعم.

المأمون : من أنت تكلم وإلا قتلتك أنت ابن مياح.

بكري : لا.. أنا أخو العالية.. بكري.

المأمون : (بكري يتذكر) (يحدث نفسه) نعم أذكر هذا الاسم بكري. عندما كنت في ديارهم لم يظهر قال أبوه إنه ولد أبله. ولقد ذكرته العالية أمامي عدة مرات.. بكري.. ولكن من ابن مياح هذا (بصوت مرتفع إلى بكري) من ابن مياح هذا يا بكري؟ تكلم وإلا قتلتك في الحال؟

بكري :(خائفاً) ابن عمنا.. ابن عمي أنا والعالية.

المأمون :خذوه إلى غرفتي في الحال لا يراه إنس ولا جان.

بكري :ما الذي أتى بي إلى هنا؟! (يجذب الحراس بكري ويخرجون)

المأمون : (يحدث نفسه) خيانة.. سيدة القصر الفاطمي الأولى، سيدة مصر الأولى تخون الخليفة، ومع من؟! ابن عمها البدوي.. الخليفة الآمر بأحكام الله.. زير النساء.. عاشق الجمال.. الذي تزوج من ألف امرأة غير الجواري؛ زوجته تحب رجلاً غيره! ماذا أفعل وكيف أقول له؟ لو قلت له لقطع رقبتي.. نعم ولو أخفيت عنه الأمر؛ لاستفدت من الموقف كله.

(تدخل العالية ومعها لفافة)

العالية : هذه هدايا لأمك وأبيك.. أين هو؟

المأمون : من؟

العالية : أخي.. بكري.. ألا تعرفه! أين هو؟ كان هنا منذ لحظة؟

المأمون : لا.. لم أقابله.. عندما ذهبت لخطبتك للخليفة رفض أن يحضر الحفل واللقاء..هل حضر إلى هنا؟ وهل اسمه بكري؟

العالية : إنه أخي الوحيد يا بطايحي.. بكري.

المأمون : ويأخذ كل هذه الهدايا التي تعطينها إياه..؟ هذا كثير.

العالية : تجاوزت الحد يا مأمون! ليس لك أن تسأل عما أقدمه إليه.

المأمون : أنا الذي تجاوزت الحد.. أم أنت؟!

العالية : أنا.. ألا تعرف مع من تتكلم يا وزير؟

المأمون : أعرف.

العالية : لقد نسيت نفسك!

المأمون : أعذريني يا سيدة القصر الفاطمي.. إني أعرفك الآن جيداً.

العالية : لا أفهم ما تقول؟

المأمون : إني أعرف علاقتك بابن مياح.

العالية : (تتفاجأ) ابن مياح؟!

المأمون : نعم ابن مياح.. ابن عمك، وأعرف أنك تحبينه وأنك تراسلينه، وأنك تخونين مولاي وسيدي. تخونين العرش الفاطمي. تخونين مصر. مصر فوق الجميع.

العالية : اخرس يا حقير.

المأمون : أنا حقير.. نعم وأنت ماذا تسمين نفسك.. خائنة أم وفية.. شريفة أم لا ؟

العالية : اخرس.. اصمت لا أريد أن أسمعك.. اصمت.. اصمت.

المأمون : إن صمتي له ثمن.. إني أعرف مدى عشق الخليفة وحبه لك، وأريدك أن تطلبي منه تعييني نائباً له.. فأنت تعلمين أنه عاقر، وأنه لا ينجب، وأنه تزوج من تسع وتسعين وتسعمائة امرأة؛ ولم ينجب. أعلم أن العيب فيه. وأنا من الممكن أن أكون ولياً لعهده ونائباً عنه.

عندي من المال أكبر مما تتوقعين عندي عشرة أضعاف ما في خزائن الخليفة نفسه.. ولا ينقصني إلا أن أكون ولياً للعهد، ونائباً عنه وخليفة بعد موته.. وسأدعه يحبك على هواه ، وتحبينه، وعلى استعداد أن أحضر لك ابن مياح هنا في القصر؛ لتتمتعي به دون أن يراه الخليفة.. ماذا تقولين؟!

العالية : اسكت.. اخرس.

المأمون : قلت لك للصمت ثمن، وقلت لك ثمن صمتي.. أعطيني ما في يدك من الهدايا أبعثها مع أخيك الذي رحل. وسأرسل فارساً يلحق به.

العالية : لن أفعل ما تقوله وأنا لم أخن زوجي وسيدي.. ولن أخونه وافعل ما تشاء. وسأبلغ مولاي عَّما فعلته.

المأمون : سأبلغه أنا (يخرج)

(تقف العالية بمفردها.. يدخل أحمد الحمال وسنية وطراد بن المهلهل)

أحمد : يا مولاتي.. هذا شاعر العرب طراد بن المهلهل شاعر بني طيء.

العالية: أهلاً.

أحمد : إنه صديقي وشاعر كبير.

العالية : أهلا بك أيها الشاعر الكبير.

طراد : أنت يا سيدة مصر الأولى يا سيدة القصر الفاطمي جئت؛ لمدحك ومدح الخليفة.

العالية : بماذا تمدحني. أنت تمدحني والزمان يرجمني ويجرمه.

طراد : لم أفهم.

العالية : أنت شاعر الخلفاء والأثرياء؟

طراد : نعم.

العالية : وهل للناس نصيب من شعرك؟

طراد : لم أفهم.

العالية : الناس في حواري مصر.. شاهدتهم؟

طراد : عاشرتهم أكثر من عام.

العالية : أكثر من عام لتعرفهم أم لتقابل الخليفة؟

طراد : يا أميرتي وسيدتي.. لقد شاهدت العجب والعجاب في هذه البلاد!

العالية : شاهدت ماذا؟

طراد : شاهدت القاهرة.. الناس.. الحارات.. القاهرة العامرة التي تضئ بأجمل سيدة في هذا الزمان..العالية.

سنية : يا سيدتي أنا فقيرة من حواري مصر.. ما عشت في القصور إلا منذ عام. منذ قدومك.

أحمد : اصمتي.

سنية : لا.. لا بد أن أخبرك سيدتي.

العالية : ماذا تريدين يا سنية.

سنية : يا سيدتي هناك شخص بدوي أدخلناه؛ ليشاهد القصر وقبض عليه الحراس.

العالية : بكري .

أحمد :نعم.. بكري هل تعرفينه.

العالية : أخي.

سنية : أخوكِ؟

العالية : نعم.

أحمد : سترك يارب.

طراد : ومن الذي قبض عليه؟

العالية : يا حراس.

الحارس : مولاتي.

العالية : هات البدوي الذي قبضتم عليه.

الحارس : أي بدوي.

أحمد : بكري.

الحارس : أي بكري!

العالية : أسأل زملاءك في الحال.

الحارس : اسأل من؟ أنا كبير الحراس.

طراد : لقد شاهدته وهم يقبضون عليه.

سنية : وأنا شاهدته.

أحمد : وأنا شاهدته.

الحارس : أمر غريب. لو قبض على أحد؛ لأحضروه إلي.

العالية : أخي كان هنا وأنا حدثته.

أحمد : أنا أدخلته القصر.

سنية : وأنا شاهدته وهو مقبوض عليه.

أحمد : يا ألطاف الله. اختفي الرجل!

سنية : سترك يا رب.

العالية : أخي خطفوه.. أخي خطفوه.

(تخرج تجري.. تجري خلفها سنية يظل طراد وأحمد)

....

....

أحمد : أرأيت ماذا يحدث في القصور يخطفون الناس؟

طراد : يا إلهي ماذا يحدث داخل القصور؟

المأمون : (يدخل) من أنتما؟

طراد : أنا طراد بن المهلهل شاعر من بني طيء.

أحمد : وأنا أحمد الحمال.. حمال البستان في القصر.

المأمون : وماذا تفعلان في الديوان؟

طراد : جئت لمقابلة الخليفة.

المأمون : أعرف.. ولكن كيف دخلت؟

طراد : أرسلت إليكم أكثر من..

المأمون :(مقاطعاً) أكثر من خمسين طلباً أعرف، ولكن مشاغلنا أكبر، فليس لدينا وقت للشعراء.. كيف دخلت إلى الديوان؟

أحمد : أنا أدخلته.

المأمون : معقول.

الآمر : (يدخل) مأمون أين أنت؟

المأمون : أنا هنا يا مولاي.

الآمر : من هذان الشخصان؟

طراد : (ينحني) أنا خادمك شاعر بني طيء.. جئت؛ لأمدح مولاي.

المأمون : ليس لدى مولاي أي وقت.

أحمد : يا إلهي.. دع مولانا يتكلم.

الآمر : تحب الشعر والخمر والنساء؟

طراد : نعم يا مولاي.

الآمر : إذا سأشرب معك أو أتحدث معك، فأنت ضيفي وسأقابلك هذا المساء.

أحمد : وأنا يا مولاي.

الآمر : أنت شاعر؟

أحمد : لا أنا صديق الشاعر.

المأمون : إنه حمال في البستان.

طراد : إنه صديقي.

الآمر : في الكأس يلتقي الكبار والصغار.. لذلك أدعوه أيضاً.

طراد :شكراً يا مولاي.. (يخرج).

أحمد :شكراً يا مولاي.. (يخرج).

المأمون : (بخبث يخرج القصيدة ويخبئها في ملابسه)

الآمر : ماذا تخبئ يا مأمون؟

المأمون : هذه.. هذه شكوى من مواطن فقير.

الآمر : مواطن فقير في مصر في عهدي؟!

المأمون : أقصد مواطن مظلوم.

الآمر : وممَّ يشكو؟

المأمون :يحب زوجته حباً شديداً واكتشف خيانتها، ولا يستطيع أن يقتلها. ويسألنا ما الحل يا مولاي.

الآمر : مسكين.

المأمون : نعم يا مولاي مسكين.

الآمر : وماذا ترى أنت؟

المأمون : لا أري.. إني أسألك يا راعي الحكمة.

الآمر : أهو قبيح؟

المأمون : كلا.

الآمر : فقير؟

المأمون :أبداً .

الآمر : لا يلبي احتياجاتها وأحلامها؟

المأمون :أبداً والله يا مولاي إنه بنى لها قصراً .

الآمر :بنى لها قصراً .. إذاً هو تاجر.

المأمون : ربما.

الآمر :إذاً هو أكبر من تاجر.. وزير؟

المأمون : نعم.

الآمر : أنت.. يا إلهي (يضحك)

المأمون : يا ليتني.. هو أكبر مني بكثير.

الآمر : أنا.. يا ابن الكلب (يصفعه) (يأخذ منه الورقة العالية.. يا ابن... يخرج الرسالة (يقرأ) يقرأ)

كنت في حبي مطاعاً آمراً ..

نائلاً ما شئت منكم مدركاً
وأنا الآن بقصر مؤصد..
لا ارى إلا حبيباً ممسكاً

الآمر :سمعت يا مأمون قصر مؤصد ولا ترى إلا حبيباً ممسكاً أنا؟

المأمون :سمعت يا مولاي وقرأت.

الآمر :كم تثنينا بأغصان اللواء..
حيث لا تخشى علينا دركاً
وتلاعبنا برملات الحمى..
حيثما شاء طليق سلكاً
منذ متى؟

المأمون : الآن فقط أمسكت الرسالة.

الآمر : ومن الرسول أهو من جنودي؟

المأمون : ليس من جنودنا.. أخوها بكري.

الآمر : أخوها بكري.. أخوها يخونني.. ومن ابن مياح هذا؟

المأمون : ابن عمها.
(يمسك رقبته) بماذا يأمر مولاي؟

الآمر : انتظر وسترى أمري.
.. سيدة البلاط الفاطمي تخون! ماذا سيكتب التاريخ عني؟

المأمون : تاريخ القصور بئر مأفون ولا يفتحه إلا اللصوص.

الآمر : تاريخ القصور بئر مأمون وليس بئر مأفون.

المأمون : بماذا تأمر يا مولاي؟ تقطع رقبتها ورقبته ورقاب عائلتها البربرية وتدفنهم جميعاً في الصحراء ليلاً.. و في الصباح يبدأ يوم جديد.

الآمر : تقتلها.. تقتلني أنا..؟ أحبها يا وزير.. هي إن التفتت؛ قلبي يخفق.. وإذا غنت؛ داعبت روحي بصوتها.. وإذا نظرت في عيني؛ قرأت تاريخ الدنيا وعرفت أسرار الحياة.

المأمون : آه يا مولاي الحب لعنة.

الآمر : الحب نعمة (يبكي) وقد يكون لعنة متفقان.. ولكن قد يتحول من نعمة إلى نقمة خذ هذه الرسالة.. وعامله معاملة حسنة.. أطعمه.. أكرمه.. دلله وأخبره أن أخته العالية أوصتك عليه.. ومن الآن فصاعداً عيونكم حول العالية في كل حركة ولفتة حتى أنفاسها.. أريد أن أعرف كل شيء عنها وأهم شيء يا وزير رد الرسالة؛ وإلا قطعت رأسك قبل رقبتها.

المأمون : أمر مولاي (يخرج في الحال) سأفعل ما تراه، ولكن احذر دموع النساء يا مولاي .

العالية : (تدخل) مولاي الآمر.. أين أنت؟ كنت أشاهد هذه الوردة الجميلة وأحضرتها إليك.. أتعجبك؟

الآمر : كل شيء فيك يعجبني يا أميرتي.

العالية : الورد روح الأرض يا مولاي.

الآمر : وأنت روحي يا العالية.

العالية : ما لعينيك؟

الآمر : لا شيء.

العالية : كأنك تبكي.

الآمر : البكاء والفرح في القلب يا العالية.. أنا معك لا أعرف البكاء والحزن.

العالية : صوتك غريب.

الآمر : كلا يا أميرتي.. أراك اليوم فرحة.

العالية : جداً.

الآمر : لماذا؟

العالية شاهدت طيراً برياً جميلاً ؛ فكرني بأهلي في البادية.

الآمر : الطيور إما جارحة فاضحة أو فرحة.

العالية : طير فرح يشبهني.

الآمر : لم تحدثيني عن أهلك في الوطن يا العالية ولم يحضروا إلى هنا.

العالية : أهلي غرقوا في نعيم مولاي.. فزهدوا حتى عن مشاهدتي!

الآمر : أبوك وأمك.

العالية : نعم.

الآمر : وأخوك.

العالية : بكري.

الآمر : اسمه بكري.

العالية : نعم إنه قط البرية الجميل ولكن (تحاول أن تحكي)

الآمر : ولكن ماذا.. تحبينه يا العالية؟

العالية : إنه أخي كيف لا أحبه يا مولاي؟ (تحدث نفسها) ماذا أقول له.. أخي خطفوه.. ومن الذي خطفه مأمون.. أم أنتظر..؟

الآمر : وأعمامك وأولادهم؟

العالية : أعمامي (ترتبك) وأولادهم؟

الآمر : نعم..

العالية : لم أفهم سؤالك يا مولاي.

الآمر : أعمامك وأولادهم.

العالية : لي عم واحد وابن عم واحد.

الآمر : ما اسمه يا العالية؟

العالية : ابن مياح.

الآمر : فارس؟

العالية : فارس وشاعر.. ربيت معه في الحي منذ الطفولة.

الآمر : رقيق؟

العالية : رقيق الأخلاق.

الآمر : ساحر؟

العالية : وافر السحر.

الآمر : تحبينه يا العالية؟

العالية : ماذا تقول يا مولاي؟!

الآمر : أقصد تحبينه كأخيك ما دمت قد تربيت معه.

العالية : بالطبع أحبه كأخي.

الآمر : (يحدث نفسه) لم تخمد في قلبك نار حبه يا العالية.

العالية : ماذا تقول يا مولاي كأنك تحدث نفسك.

الآمر : لا شيء.. لكني أفكر يا العالية أن نُقَق خيمة في صحراء المقطم ونعيش أنا وأنت فقط.

العالية : المقطم؟

الآمر : نعم.

العالية : أخاف يا مولاي.

الآمر : لماذا؟

العالية : يقولون إن روح الحاكم بأمر الله تظهر هناك.

الآمر : يا ليتها يا العالية.. الذين يموتون لا يعودون.. لا تصدقي البلهاء وترددين كلامهم.

العالية : ما بك اليوم يا مولاي أراك حزيناً وأنا سعيدة؟

الآمر : أنتِ سعيدة لأنك شاهدتِ طيراً من البادية، وأنا حزين لأنني.. آه يا العاليةَ الحب عذاب يا صغيرتي الجميلة.

العالية : سنفسد لحظاتنا بالحوار تعال أغنِ لك وتغنِ لي.

الآمر : تعالي يا العالية (يخرجان مع موسيقي)

بكري : (يدخل بكري ومأمون) هذا والله ما حدث اشتقت لأختي واشتقت أن أراها بنفسي، وأن أشاهد القصر الذي بناه الخليفة الآمر لها..

المأمون : اسمع يا سيد بكري.

بكري : أنا سيد بكري؟

المأمون : نعم إني أعتذر وبشدة وأرجوك أن تغفر لي. لقد أخبرتني مولاتي سيدة القصر الفاطمي سيدة مصر الأولى العالية.. أن أستسمحك عذراً وأن تقبل أسفي، وهذه رسالتها وهي تنتظر الرد من ابن عمها. ابن مياح.

بكري : نعم؟

المأمون : سيدتي أخبرتني بكل شيء.. بكل شيء.

بكري : بكل شيء ؟!

المأمون : بكل شيء. أنا سرها. ابن مياح ما به؟

بكري : إن ابن مياح مريض من أجل العالية.. عامان يا سيدي وهو نائم لا ينطق.

المأمون : الحب بلاء وهناء.

بكري : نعم.. نعم .

المأمون : أنا مثلك عند سيدتي العالية سيدتي دائماً تقول أنت يا مأمون مثل أخي بكري.

بكري : أنت رجل طيب (يقبله)

المأمون : خذ (يعطيه كيساً من المال) كيساً من المال.

بكري : ما هذا.. أختي أعطتني.

المأمون : وأخوك يعطيك. المأمون يعطيك.. وإذا رفضت غضبت منك وحزنت.

بكري : لا تحزن هاتِ وأمري إلى الله (يأخذ الكيسين)

المأمون : سأنتظرك هنا بعد أسبوعين، وسأعطيك هدايا كثيرة.

بكري : هدايا كثيرة!

المأمون : لكن لا تخبر أحداً أني أعطيتك المال و الفرسين للعودة.

بكري : حتى أبي؟

المأمون : حتى نفسك.

بكري : (يجري) في أمان الله (يختفي).

المأمون : في أمان الله.

طراد : (يدخل) مأمون..

المأمون : طراد بن المهلهل شاعر العرب.

طراد : مضي شهران ولم أقابل الخليفة.

المأمون : أنت ضيف الخليفة وفي قصر الخليفة.. وتأكل من أكل الخليفة ما الذي يثير قلقك.. ستقابله.

طراد : أعرف أن مولاي مشغول جداً .

المأمون : جداً في شؤون الدولة ومشاكلها وهمومها.. السلطة مسؤولية كبيرة.

طراد : كان الله في عونه.

المأمون : أستأذنك (يخرج) في أمان الله.

طراد : في أمان الله.. هكذا كانت الأمور.. الخليفة يعيش عذاب الحب وأنا أعيش عذاب الانتظار. أريد أن ألقي القصيدة وأحصل على الدنانير وأعود للديار.. لكن الغريب في هذه الحكاية أن الخليفة الآمر؛ أقام خيمة كبيرة في جبل المقطم وجعلها معجزة الزمان والمكان.. وعاش ثلاثة أيام والعالية لم تذهب معه؛ خافت من روح الحاكم بأمر الله أن تظهر في المقطم.

(المكان الخيمة.. يجلس الآمر تظهر روح الحاكم.. يجلس أمامه.. ذقنه طويلة)

(في الليل.. القمر ظاهر وواضح)

الآمر : نام الحراس.. ولاح الفجر.. وعيني لا تنام.. أشعر بالوحدة ها هي الصحراء البادية.. ها هو النسيم العليل.. والهواء وأنت يا العالية لا تحضرين.. تخافين من روح الحاكم بأمر الله (الدخان يملأ المكان) (يظهر الحاكم بأمر الله بعمامة بيضاء والملابس البيضاء).

....

....

الحاكم : (بتواضع) يا ابن الفاطميين.. استيقظ.

الآمر : ما هذا... إني أراك!

الحكام : نعم تراني..

الآمر : جدي الحاكم بأمر الله.

الحاكم : نعم.. وأقول لك استيقظ.

الآمر : أنا مستيقظ.

الحاكم : كلا.. أنت نائم في العشق.. معتقل في أسوار الحب.. محبوس في قفص العالية.

الآمر : (يبكي) تخونني يا جدي.. تحب غيرى.

الحاكم : هذا عذاب الدنيا.

الآمر : أقول لك أحببتها تقول لي هذا عذاب الدنيا!

الحاكم : نعم كم امرأة اغتصبتها. كم فتاة خطفتها. كم جارية فعلت فيها ما يغضب الله؟! إن العالية هي العقاب.

الآمر : العالية هي القلب.. هي الحب يا جدي.

الحاكم : تخدعني أم تخدع نفسك؟

الآمر : تخونني يا جدي.. لا أستطيع أن أقتلها.

الحاكم : كيف تخونك؟

الآمر : جسدها معي وقلبها مع ابن عمها البدوي.

الحاكم : الإناء المثقوب فوق رأسك.. وأنت لا تريد أن تسده أو تلقي به بعيداً .

الآمر : أقتلها؟

الحاكم : غبي.

الآمر : أقتله؟

الحاكم : ساذج.

الآمر : أبيدها هي وأسرتها وقبيلتها، وأدفنهم تحت الرمال كما قال مأمون؟

الحاكم : لن تستريح.

الآمر : ماذا أفعل؟

الحاكم : منذ توليت الحكم وأنت لا تدري بالناس وتركت الأمور لغيرك.

الآمر : أنا تعلمت منك.. أنا وثقت في مسؤول وخان هو العهد...

الحاكم : أنت لست مثلي في شيء. أنا أمضيت وقتي كله مع الناس. أنت بعيد عن الناس.

الآمر : أنا ناسي العالية.. وطني العالية.. حبي العالية يا جدي.

الحاكم : (يبصق عليه) تافه.. أمضيت معك وقتاً خسارة فيك. (يختفي)

الآمر : يا جدي.. يا جدي.. (يبكي وينهار)

....

....

(ضوء النهار)

العالية : (تدخل ومعها المأمون) غير معقول تتركني في القصر وأنت هنا.. جئت مع مأمون.. لنأخذك للقصر.

الآمر : يا سيدة القصر الفاطمي.. أنت تحبين الصحراء والبادية، وأنا أيضاً أحبها تعالى هنا.

العالية : السفراء يسألون عنك.. التجار الأعيان.. الشعراء.

الآمر : وأنتِ؟

العالية : وأنا بالطبع يا مولاي.

الآمر : تسألين عني لماذا؟

العالية : لأنك زوجي.

الآمر : فقط.

العالية : يا مولاي الخليفة.. أرجوك.. أتوسل إليك عد للقصر.

المأمون : نعم يا مولاي الخليفة نحن في احتياج إليك.

الآمر : أنا أنتظر العالية.

العالية : أنا هنا يا مولاي.

الآمر : أنت سيدة القصر الفاطمي.. لكن العالية التي أنتظرها هناك في البادية يمنعها أهلها من الحضور إلي.

العالية : أنا هنا يا مولاي.

المأمون : أرجوك يا مولاي.. أتوسل إليك.

العالية : من أجل العالية تعالى معي.. تعال معي.. تعال يا مولاي.

الآمر : (ينزل ويمشي معهم كطفل وديع ويخرجون) أنا أريد العالية.

(تخرج العالية معه ويظل المأمون بمفرده)

المأمون : غريب أمر الزمان والإنسان.

عجيب أمر الحب إذا كان صادقاً.

....

....

المكان: القصر.

الزمان: بعد ثلاثة شهور.

بكري : (يدخل) السلام عليكم.

المأمون : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. كيف حالك يا بكري؟

بكري : بخير كيف حالك يا أخ مأمون.

المأمون : بخير والحمد لله.. كيف حال ابن مياح؟

بكري : بخير.. الحمد لله نهض من المرض عندما قرأ القصيدة وكتب الرد.

المأمون : أرني الرد.

بكري : ها هو (يعطيه الرسالة المكتوبه على رقعة جلد).

المأمون : بنت عمي والتي غذيتها بالهوى حتى علا واحتبكا.

بكري : أريد أن أذهب إلى أختي.

المأمون : أنت ضيفي لمدة ثلاثة أيام وبعدها يمكنك أن تقابل أختك.

بكري : سأتأخر إذاً؟ (يقاطعه المأمون)

المأمون : تأخر يا رجل أنت ضيفي جهزوا الطعام والحمام.. ضيفي الهمام السيد بكري (يدخل خادم لينحني ويأخذ بكري ويخرج)

بكري : بارك الله فيك بارك الله فيك (يخرج)

الآمر : (يدخل وكأنه خارج من الحمام) مأمون.. مأمون.

المأمون : مولاي كيف الحال؟

الآمر : حمام تمام.. ماء ساخن وعطر جميل.

المأمون : أنت يا مولاي بخير؟

الآمر : نعم بخير.. كنت أدعي أنني مختل يا مختل لكي تعطف على وتحبني وتضمني وتقترب مني.

المأمون : الحمد لله (يفرح) الحمد لله يا مولاي أنك بخير

الآمر : ماذا جرى؟ جاء بكري أعلم ذلك.

المأمون : الله.. مولاي أنت لك عيون من ورائي.

الآمر : عيون من أمامك ومن خلفك.. الخليفة العاقل لا يثق في أحد.

المأمون : ال بكري يحمل الرد.. ها هو.

الآمر : (يمسك القصيدة) أرني ماذا قال ابن مياح.

بنت عمي والتي عذبتها
بالهوى حتى علا واحتبكا
بحت بالشكوى وعندي نهتها
لو غدا ينفع فيها المشتكي
مالك الآخر إليك يدتكي
هالك وهو الذي قد هلكا
شأن داود غداً في عصرنا
مبدياً بالتيه ما قد ملكا

المأمون : البيت الرابع يا مولاي.

الآمر : شأن داود غداً في عصرنا
مبدياً بالتيه ما قد ملكا

المأمون : سافل.

الآمر : يسيء إلي.. يسيء إلي.. لو لم يسيء إلي في البيت الرابع.. لرددت إليه العالية وزوجته منها.

المأمون : و بكري ؟

الآمر : رد إليه الرسالة واجعله يعطيها إليها.

المأمون : يعطيها لها؟!

الآمر : واجعله يعرفها أنك تعرف بأمر الرسالة.

المأمون : وبعد ذلك؟

الآمر : عندما تسألك هل أخبرت مولاك الخليفة.

المأمون : أقول لها لم أخبره.

الآمر : لا قل لها هو يعرف بهذه المراسلات منذ أول رسالة ثم دعها.

المأمون : أمر مولاي.

الآمر : هيا اذهب ل بكري (يضحكان.. يخرجان)

العالية : (تدخل) مولاي.. مولاي.. ليس هنا.

طراد : مولاتي العالية.

العالية : من أنت؟

طراد : أنا طراد بن المهلهل.

العالية : الشاعر العربي الكبير.

طراد : شكراً يا سيدة القصر الفاطمي.

العالية : يا ابن المهلهل.

طراد : مولاتي.

العالية : إني أقول الشعر.

طراد : أعلم يا مولاتي فأنت شاعرة مفلقة.

العالية : لا تبالغ يا ابن المهلهل.

طراد : ألست أنت القائلة.. كم تخفينا بأغصان اللواء حيث لا تخشى علينا دركاً .

العالية : يا ويحي هل وصلت القصيدة لك؟

طراد : الشعر الجيد يصل يا مولاتي بلا استئذان.

بكري : (يدخل) أختاه.. أخت يا العالية.

العالية : بكري.. متى جئت؟

بكري : منذ ثلاثة أيام.

العالية: (بدهشة) منذ ثلاثة أيام.. وأين كنت؟

بكري : في القصر.

العالية : في القصر.. أي قصر؟

بكري : هنا.

العالية : هنا؟!

بكري : عند صديقنا المأمون.

العالية : المأمون.. ماذا تعمل عنده؟!

بكري : قرأ القصيدة التي أرسلتِها.. وقرأ الرد وأعطأني الرسالة وقال إنكِ مثل أخته.

العالية : ربي ارحمني برحمتك.. قرأ القصيدة؟

بكري : نعم وقال ابن مياح شاعر رقيق.

العالية : (تنهار وتجلس) يا إلهي.

بكري : خذي اقرئي الرد.

العالية : (تلقي بها بعيداً) المأمون يعرف كل شيء؟!

بكري : نعم.

طراد : (يأخذ القصيده ويقرأ بصوت مرتفع)

العالية : آه يا ابن عمي.. آه يا ابن مياح.

طراد : ألا بلغوا الآمر المصطفى
مقال طراد ونعم المقال
قطعت الأليفين عن إلفه
بها يسمر الحي بين الرجال
كذا كان أباؤك الأكرمون
سألت فقل لي جواب السؤال

: ما أروع ما قال.
سأغادر القصر في الحال وإلا رقبتي مطلوبة.

العالية : اهرب يا طراد.. ما قلته سيصل إلى الخليفة.

طراد : أعلم أن له آذاناً وعيوناً في كل مكان.. في أمان الله.

بكري : يبدو أني قلبت الدنيا رأساً على عقب خذني معك يا طراد.

العالية : اهرب في الحال يا بكري.

بكري : وأنتِ؟

العالية : لا أَستطيع لو هربت لحرق القاهرة والبادية من أجلي. إني أعرفه.

بكري : أخاف عليك.

العالية : لا تخف علي.. أنا خائفة على الناس. اهرب.. اهرب.

بكري : في أمان الله (يخرج)

العالية : في أمان الله (يخرج)

المأمون : (يدخل المأمون) مولاتي العالية.

العالية : مأمون؟

المأمون : مولاتي.

العالية : هل شاهدت بكري أخي.

المأمون : صديقي.

العالية : وقرأت الرسائل؟

المأمون : نعم.

العالية : وأخبرت مولاك؟

المأمون : إنني أمين على أسرار مولاي لا بد أن أخبره. (تنهار)

....

....

(المكان : الديوان / الآمر جالس)

العالية : (تدخل) مولاي الآمر.

الآمر : العالية.. الغالية.

العالية : مولاي.

الآمر : تدللي يا جميلتي.

العالية : يا مولاي هل قرأت رسالتي لابن مياح.

الآمر : وقرأت الرد.

العالية : (تبكي) أقسم لك يا مولاي أني لم أخنك.

الآمر : أعرف أن النفس أحياناً تغرق في السأم وتجنح للجنون.. وأنا قصرت معك ربما أو تماديت في عشقك بجنون.

العالية : يا مولاي لم تقصر.

الآمر : لا قصرت معك.. يأخذني منك الديوان والأعمال والمراسم فلذلك...

العالية : لا يا مولاي أرجوك لا تقرر شيئاً تندم عليه بعد ذلك.

الآمر : الندم أي ندم ؟ الندم لا يعرفه إلا ضعاف النفوس.

العالية : يا مولاي.. ما تأمرني به سأنفذه.

الآمر : قسمي لي أنك لن تكتبي له شعراً أو تراسليه بعد ذلك.

العالية : أقسم يا مولاي.. اعف عن قبيلتي وأسرتي وأهلي وعنه وسأكون لك (تبكي).

الآمر : إذاً يا العالية أنا وأنت والهودج ولن نخرج منه إلا بعد عام (كأنه التقط فكرة عام) لن نخرج منه... أنت والشعر والحب والغناء.. وتحدثينني يا العالية.. فحديثك أشعار وعيناك أنهار من الضوء يا نور حياتي يا العالية. (يهب واقفاً) لكني لن أسامح ابن المهلهل الذي قرأ القصيدة. آتوني بلسانه (يخرج مع العالية).. (يدخل شخصان عربيان تنزل لافته كبيرة كتب عليها) مطلوب لسان الشاعر ابن المهلهل) (ناس تروح وتجيء أمام الإعلان. يمضي به الشخصان اللذان يحملانه).

(.. داخل الخيمة يجلس الآمر والعالية ويظهران وكأنهما في خيال الظل)

الآمر : الطعام والشراب.

المأمون : أمر مولاي.. (يدخل الخادمان يقدمان الطعام والشراب أمام الخيمة تمتد يد الآمر تأخذ الطعام) (المأمون يصفق) يا مولاي. يا مولاي.

الآمر : ماذا يا مأمون؟

المأمون : الديوان والأعيان.. الكل يسأل عنك منذ عام وأنت هنا والناس والوشايا والإشاعات.. اختفاء الخليفة.. صارت الحكاية سخيفة.

الآمر : هم السخفاء ماذا يريدون من الخليفة؟ الدولة تسير نفسها بنفسها.. الوزير يعرف دوره ورئيس الشرطة وكل موظف يعرف دوره ما المطلوب مني..؟ دعوني مع العالية.

(المكان القصر)

بكري : (يدخل) السلام عليكم مضى عام ولم أرها.

المأمون : أختك مع الخليفة يا بكري في الهودج.

بكري : عام ولا تخرج؟!

المأمون : وهو لا يخرج.

بكري : أبي مريض وأمي ماتت وأبي يريد أن يراها.. وهي لم تر أمها وأنا أريد أن أراها.

المأمون : وابن مياح.. ألم يرسل معك رسالة؟

بكري : ابن مياح سافر إلى الشام يعمل في التجارة.

المأمون : هيه.. يا ولد قل الحقيقة.

بكري : أريد أن أقابل الخليفة.

المأمون : أنا لا أستطيع أن أقابله.. أنت تقابله؟

بكري : إن أختي في عذاب.

المأمون : أختك في نعيم لكن المعذبين هم الناس الذين ينتظرون المراسيم التجار والأعيان والجنود الذين ينتظرون الخليفة الذي سرقت عقله أختك العالية

بكري : وبعد؟

المأمون : لا أدري.

رجل ١ : (يدخل) أين الخليفة يا مأمون؟ (يخرج).

المأمون : مشغول.

رجل ٢ : (يحمل أوراقاً) أين الخليفة يا مأمون؟.

المأمون : مشغول.

رجل ٢ : مع العالية.. يا حول الله مصالح الناس (يخرج).

المأمون : شاهدت بعينيك يا بكري؟

رجل ٢ : (يدخل في ملابس جنود) الجيش يحتاج إلى رأي الخليفة.

المأمون : الخليفة مشغول.

رجل ٢ : الجنود متذمرون.

المأمون : أنا مثلك ليس في يدي شيء.

رجل ٣ : وبعد؟

المأمون : منذ أن شاهد العالية والأمور أسوأ مما كانت (يخرج).

بكري : كل هؤلاء ينتظرونه؟!

المأمون : نعم.. أستأذنك يا بكري.. تعال معي.

بكري : سأنتظرها هنا.

المأمون : على مزاجك قلت لك أنا غير مسؤول (يخرج)

بكري : (يجلس) (ظلام جزئي.. قصر الهودج.. ضوء.. ضحكات الآمر وعالية) كأنك تبكين ولا تضحكين يا

العالية.. أعرف صوتك يا أختي.. أعرف أنك حزينة وليس لنا في القصور مكان.. أمك ماتت وتركت المال تحت وسادتها لم تأخذ منه شيئاً. وأبوك مريض. والإبل ترعي في الصحراء ولا يعرف عددها، وأنا يكفيني قطعة خبز وتمر وقهوة وضحكاتنا معاً. انظري يا العالية.. هذا صقر يطير.. انظري يا العالية.. هذا أرنب بري.. انظري يا العالية هذا حمل ضال انظري يا العالية.. فرس يجري في البرية.. يا العالية.. يا العالية.. يا العالية.

العالية : (من الداخل) هذا صوت أخي بكري.

الآمر : ماذا يريد؟

العالية : لا بد في الأمر شيء.

الآمر : لا شيء دعك من هذا الأبله.

العالية: أرجوك يا مولاي أقبل يديك وقدميك دعني أراه أنه أخي.

الآمر : حامل القصائد.

العالية : أراه وأنت معي.

الآمر : ستفسدين لعبتنا.

العالية : أرجوك يا مولاي.

الآمر : هيا بنا أفسد اللعبة هذا الغبي بكري.

(تخرج العالية والآمر لبكري)

العالية : بكري.

بكري : العالية.
العالية : بكري.
بكري : كيف حالك يا أختاه؟
العالية : (تبكي) بكري.
بكري : أأنت بخير؟
العالية : بخير.
الآمر : نحن بخير مع السلامة مع السلامة (يدفع بكري بعيداً فيسقط) (والآمر يجذب العالية ليدخل بها القصر ويخرج بكري خنجراً من جيبه ويجري نحوه ويضربه)
بكري : خذ واحدة من أجل العالية وواحدة من أجل ابن مياح وواحدة من أجل أمي وواحدة من أجل أبي (يضحك بهستريا).
الآمر : طعنتني يا أبله؟! أتضحك؟ طعنني أخوك يا العالية.
بكري : هيا بنا يا العالية.. هيا نهرب.
العالية : يا إلهي.. يا إلهي.
بكري : (يمسكها من يدها ويشدها) هيا بنا بسرعة.. أبوك مريض يريد أن يراك.
العالية : ابتعد عني.. ابتعد عني.. يا بكري.. (بكري يجري) (تمسك الآمر)
الآمر : قبل أن تهربي معه.. تحبينني يا العالية؟
العالية : أنت زوجي يا مولاي.

الآمر : سيكتب التاريخ عن العالية.. عني أنا وأنت.. العالية والأمير العاشق.

العالية : نعم يا مولاي.. يا مأمون.. يا حراس أين الطبيب؟

الآمر : فات الأوان يا العالية.. فات الأوان.. تحبينني يا العالية ؟ قوليها لم تقوليها أبداً .

العالية : أحبك.. أحبك.. يا ابن مياح

الآمر : ابن مياح؟! يا ويلي (يموت)

المأمون : (يدخل) مولاي.. مولاي.. ماذا حدث؟ ماذا حدث؟

العالية : قتلوه.. قتلوه.

المأمون : مؤامرة.. مؤامرة.. مؤامرة.. قتل الخليفة.. قتل الخليفة (يخرج مسرعاً)

العالية : (تجري) بكري يا بكري (الجثة ملقاة).

طراد : قُتل الآمر بأحكام الله.. وهربت العالية سيدة القصر الفاطمي وراحت إلى ابن مياح وسكنت خيمة ورعت الإبل وعاشت وأنجبت لكن المصيبة أيها السادة أن الإعلان ظل كما هو.

(يدخل رجلان يحملان الإعلان.. مطلوب لسان ابن المهلهل) نعم مطلوب لسان ابن المهلهل.

هذه قصة أجمل قصر في مصر، قصر الهودج الموجود في الروضة في الجيزة على صفحة النيل، والذي يتمايل كالهودج يمينا ويسارا.

وأماما وخلفا، وهو مغلق وتجري فيه الفئران، وهو أعجوبة هذا الزمان... بكت هوي وبكت لامار.

الفصل الرابع
وعندما غاب عنى هواك

كان يا ما كان فى سالف العصر والآوان يحكى أن مصر بعد هزيمة عموري قائد الصليبين وشاور وزير مصر، لم يتجه أسد الدين شيركو لدخول القاهرة، ولكنه بدلاً من ذلك اتجه إلى الإسكندرية؛ ليفتحها، وكان أهل الإسكندرية يكرهون شاور؛ لتحالفه مع الصليبين. إلا أن أسد الدين شيركو وقع في فخ نصبه له عموري الذي حاصره في الإسكندرية بمساعدة أسطول الصليبيين. استطاع شيركوه أن ينسحب بجيشه خارج الإسكندرية، وترك حامية مكونة من ألف رجل يقودها صلاح الدين الأيوبي؛ لتواجه حصار جيش عموري وشاور هناك..

هل كان أسد الدين يحاول التخلص من صلاح الدين الأيوبي لأنه يعلم مدى طموحه للحكم؟ أم هو يريد أن يضحى بألف رجل؛ لعله ينتصر؟

حاول عموري قائد الفرنجة أن يفاوض أهل الإسكندرية ليسلموا له صلاح الدين الأيوبي مقابل فك الحصار ولكنهم رفضوا أن يسلموه لهم أو للخائن شاور.

خبأ أهل الإسكندرية صلاح الدين الأيوبي الذي كان والياً عليها وسكن في بيت جديد في حي اليونانيين بالإسكندرية، وحاول الأهالى تسميته اسما آخر وأطلق لحيته؛ خوفا من خيانة الجواسيس المتواجدين. اكتشف صلاح الدين الأيوبي حينئذ حياة الفقراء بكل ما فيها من مساوىء، وشعر أن الناس في كرب شديد، وأن الأجانب في رخاء ونعيم، وأهل البلاد في شقاء وجحيم.

دام حصار الإسكندرية والحامية ثلاثة أشهر، واضطر شيركو أن يدخل في مفاوضات مع عموري لفك الحصار عن صلاح الدين الأيوبي، وتم

الاتفاق علي أن ينسحب أسد الدين شيركوه بجيشه من مصر وأن تدفع الضرائب من مصر لعموري ملك بيت المقدس في مقابل جلاء القوات الصليبية عن مصر. وكانت هذه المفاوضات هي أول اتصال مباشر بين صلاح الدين والصليبيين. يحسب لصلاح الدين أنه أدار المفاوضات بمهارة. كان مفاوضاً قوياً، وحصل علي جلاء الصليبيين عن مصر.

يقول صلاح الدين عن فترة حصاره في الإسكندرية: "والله لو أعطيت ملك مصر ما سرت إليها، فلقد قاسيت بالإسكندرية من المشاق ما لا أنساه أبداً".

كان في ذلك الوقت لا يدري أن مُلك مصر سيصير إليه بعد سنتين بلا عناء. ولا يعرف حتى الآن لماذا قدم أهالى الإسكندرية له هذه الخدمة، ولماذا كره المصريين..؟

- معقولة يا خالتي؟!
- نعم إن السلاطين والقادة ينكرون فضل الشعب عليهم، وخاصة العسكر يظنون أنهم أصحاب اليد العليا دائما على الشعب. كان صلاح الدين يبغض كتب الفلسفة وأرباب المنطق ومن يعاند الشريعة. فهل تكفي البغضاء سبباً لقتل الناس، وقد قال الله تعالى:

" من قَتل نَفساً بِغَير نَفْسٍ أو فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكأنّما قَتل النَّاسَ جَمِيعاً "

حصار صلاح الدين الأيوبي في الإسكندرية

- الإسكندرية مدينة لا تشبه أياً من المدن، يجرى فيها أنواع من دماء الناس، دم الرومان، والإغريق، والعرب، والفراعنة، والفرس، والأحباش، والنوبيين، وعبيد أفارقة كلها صارت في لحمة واحدة ومزيج واحد؛ أصبح هو الإنسان المصري. وصلاح الدين لا يعرف أن أهل البحر ليسوا مثل أهل الصحراء. فالسكندريون بدأوا في الشعور بالضيق من حصار الفرنجة، وهو عسكري لا يعرف سر نسيم البحر وهمس الموج ومخاطر الإعصار. فطباع السكندريين مغايرة؛ فهم يحبون البحر والخروج على الشاطيء، والجنود يقفون على طول شاطىء البحر يمنعونهم عن السمك، الهواء، الماء، وشواء الذرة على الخشب، التسكع، التجارة. وتوقفت التجارة؛ فالميناء غير مضمون ولا سفن تأتي وتخاطر، والحياة التجارية توقفت فعلا. إسكندرية تترنح جوعا تحت وطأة الحصار الصليبي والمطلوب أن يسلم صلاح الدين نفسه وجيشه للفرنجة، والناس تعيش حالة من البؤس والضيق، وبدأت الناس تضيق من صلاح الدين، فوجوده وسطهم؛ أصبح نقمة لا نعمة. كيف يعيش الناس؟ السكندريون خلطة سحرية من جنسيات مختلفة؛ فأصبح أهلها لا يحبون العرب أحيانا، ولا يحبون الصحراء، ولا الأراضي الزراعية؛ فهم أهل بحر. حاول صلاح الدين أن يجذب أهالي الإسكندرية للجيش معه ضد الصليبين، ولكن معظم أهل

الإسكندرية؛ عرفوا أنهم سيكونون خدما لجيشه، يغسلون الخيول، ويعدون الطعام، ويحفرون الخنادق وهم يرتدون زى الجيش، ثم إن أغلبهم مسيحيون ويهود ويعلمون بالفطرة. أن الصراع على أرضهم على السلطة وليس له علاقة بالدين. كانوا يلقون على صلاح الدين وهو يسير راكبا على فرسه في الأسواق كلماتهم:

- جوعى يا أمير الإسكندرية؟
- هل ثمة أمل يا أمير أن تسلم نفسك؟
- مضى شهر يا أمير والحال طين!
- اذهب وحاربهم وخلصنا مما نحن فيه.

فكر صلاح الدين الأيوبي أن يجتمع بقساوسة الإسكندرية بعد أن سمع ما قاله البابا؛ فقد كانت عيون صلاح الدين في كل مكان.

فقد قال بابا الإسكندرية في قداس يوم الأحد في الكنيسة:

"يا أهالى الاسكندرية تعلمون أنه في أيام عمر بن الخطاب ثم في أيام عثمان بن عفان؛ بدأت الخلافات العربية بين فريقين متضادين. الأول فريق الاستعماريين الغلاة، وهم من أثرياء وتجار بني أمية، مثل عائلة الحكم بن العاص وأولاده الحارث ومروان، وعائلة أبي سفيان وأولاده، مثل معاوية ويزيد، وهم في الأساس كانوا من كبار قريش، الذين حاربوا الدعوة بضراوة بالذات؛ لدعوتها من أجل المساواة والرحمة، وعدم التفرقة على أساس قبلي أو طبقي وخلافه، ومعهم أغلب أكابر العرب العنصريين وأغلب من يريدون الغزو؛ من

أجل المكسب والمغنم في المقام الأول، وبين معسكر المجاهدين المؤمنين بالرسالة كما كانت في بدايتها، وعلى رأسهم على بن أبي طالب وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر وأغلب من أسلم من فقراء أهل البلاد المفتوحة، والكثير من أهل المدينة المنورة أنصار النبي الذين تم تهميشهم بعد وفاة النبي. وقد كان اختلاطهم بأهالي البلاد المفتوحة له عامل أساسي في عدم خلط الأهالي بين الإسلام كدين وبين الاحتلال العربي كاحتلال. إن المصريين لم يقاوموا الغزو العربي، وهو أمر غير طبيعي؛ فالمصريون الذين ملوا من الاحتلال المتواصل فارسي وروماني وبيزنطي، لم يكن ينقصهم احتلالا آخر فضلاً عما سمعوه عن ممارسات الكثير من أفراد الجيش العربي غير المطمئنة، ثلاث سنوات كاملة مرت حتى أتى عام ٦٤٢م حين استسلمت مدينة الإسكندرية المحاصرة دون قتال في مناورة مشتركة سياسية بين عمرو بن العاص وقيرس (المقوقس) لكي يستطيع العرب أن يعتبروا أن مصر أصبحت معهم، لكن منطقة البشموريين كانت قد سجلت أول سطورها في تاريخ المقاومة. وثورة على الحكم العربي لمصر ثلاث سنوات.."

اجتمع صلاح الدين بعد هذا القداس الذي وصله من جواسيسه فقال لهم:

"ما الذي يجرى في الإسكندرية؟! أنتم كبار رجال الدين المسيحي بها، هل نسلم الإسكندرية للأعداء أيها القساوسة؟! مصر الآن في خطر أيها البابا. مصر في خطر. هل تتركون مصر يأكلها الفرنجة وأنتم

تعلمون أن الرومان قد ذبحوا المسيحيين وأهانوهم وأحرقوهم، وإذا دخلوا للإسكندرية سيسلبونكم أموالكم. أنتم رجال الدين الذين تملكون عقول الناس بكلماتكم.."

قام أحد القساوسة وهو رجل فاضل:

- مولاي الأمير.

صاح صلاح الدين:

- اجلس أنا لم آذن لك بالكلام.

جلس القس خائفا مخذولا؛ فهو يعرف أن الرجل لا يحب المجادلة

- أنا أعرف أنكم تحبون مصر.. حافظوا عليها..

هز القساوسة رؤوسهم.. قاموا.. خرجوا..

ثم صاح وهم يغادرون.

- كل الطعام الموجود لديكم في المخازن وفي الكناس أخرجوه، لا أريد أن يخبئ أحدكم شيئا؛ قد يطول الحصار..

كانت الكنيسة توزع الطعام على الفقراء، دون حساسية بين مسيحي ومسلم ويهودي فكلهم مصريون. عم جرجس أكبر تجار الإسكندرية كان ينتظر البابا في الكنيسة؛ ليعرف ماذا تم في الاجتماع، طمأنه البابا وأخبره أن الكنيسة سوف تدفع له ثمن القمح، فهز رأسه وتمتم؛ أدرك بابا الإسكندرية حالة القلق النفسية للرجل صاح البابا:

- يا جرجس مر على الأنبا صاموئيل وخذ ما تريد من مال حقك في القمح.

- حاضر.. حاضر يا أبونا.

وانطلق جرجس إلى الأنبا صامويل؛ ليحصل على المال ومشى..
الآن الإسكندرية مدينة كل الكون؛ بها يونانيون وإيطاليون وسوريون ومغاربة. الإسكندرية لا ترتبط بجنسية محددة.
كان صلاح الدين في ارتباك شديد من أمره، لا يعرف ماذا يفعل؟ كان قراقوش عبده الخصي الوسيم موجودا في القاهرةن ولم يستطع الوصول إلى سيده صلاح الدين الأيوبي في الإسكندرية.
(العام الثاني من حصار صلاح الدين الأيوبي في الإسكندرية)
اجتمع صلاح الدين الأيوبي مع أئمة المساجد في الإسكندرية؛ جلسوا خائفين مرتعدين، بعضهم حزين، وبعضهم يستعد للمديح.
قام أحد الشيوخ صائحا:
- يا مولاي صلاح الدين أنت ذو العقل الواسع الدقيق العميق، وأنت السيف الذي يفصل بين الحق والباطل، وأنت أعماق الضمير؛ جئت لتصحح الأوضاع بين الأهواء والقيم والغواية، وتضع الشرائع والقوانينن وتضبط العادات والتقاليد، وأنت أرسلك الله لنا الواحد الذي لا إله غيره ولا متسلط سواه ولا حاكم من دونه ولا مشرع إلا إياه، أنت فرقان بين عهدين عهد الباطل وعهد الحق؛ لتضع شكلا جديدا للدولة. إن الله أرسل للبشرية موسى وهارون وها هو يرسل لنا صلاح الدين وقراقوش أنبياء عصرنا.. عاش صلاح الدين.
هتفت الجموع خلفه
- عاش صلاح الدين

قام شيخ آخر وقال:

- بسم الله الرحمن الرحيم (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون) صدق الله العظيم. يا مولاي.. علينا أن نهجم على الكنائس ونستولي على أموالها.

رد صلاح الدين الأيوبي:

- لا.. سيغضب هذا الفرنجة ويحرقون الإسكندرية ونحن فيها، وأسطولهم في البحر يحاصرنا.

قام شيخ آخر

- أقترح أن نسلمهم ثلاثة آلاف مسيحي في ملابس جنودك ونقول إنهم جنود صلاح الدين؛ فيقتل المسيحيون بعضهم بعضا.. ويفك الحصار.
- لا.. عيونهم هنا في كل مكان، وما أدراك أنهم يعلمون ماذا نفعل الآن، ومن منكم سينقل لهم الأخبار، وربما ضموهم إلى صفوفهم وازدادوا قوة.

ثم هب صلاح الدين وهم واقفا:

أنا أتيت بكم؛ لأخبركم عليكم أن تصبروا الناس، تحثونهم على الصبر، وتشدوا من عزمهم، ولا أريد صراعا بين المسيحيين والمسلمين واليهود المصريين في مصر. الوقت صعب وحرج، ولا أريد فوضى في هذه البلاد. الصبر ثم الصبر.. ثم الصبر..

....

....

في كل مساء يقوم بعض السكندريين بالكتابة على الحائط كما كانوا يفعلون مع الحاكم بأمر الله، كتبوا عبارات:

- **ارحل ودعنا في حالنا.**
- **وجهك شؤم علينا.**
- **عد إلى الشام بلادك..**
- **قائد فاشل.**
- **يا جبان ارحل.**

لكن صلاح الدين الأيوبي لم يحرق سكان المدينة، يكتم غيظه لم يفعل مثل شاور ويحرقها ١٤ يوما. ولكن كره الإسكندرية بل مصر كلها كلما دهنوا الجدران المكتوب عليها الشتائم؛ كتب عليها السكندريون من جديد، مرة باللغة العربية، ومرة باللغة القبطية.. وكانت عيونه تخبره كل يوم بما يجرى في تقارير. الكل يفتن على الكل. الكل يبيع الكل من أجل المال أو شوال قمح إنه الحصار.. وبعض الأخيار في انتظار. يدعون الله في المساء، وفي الصباح، وفي كل صلاة: "ربنا واجعل لنا مخرجا كما جعلت ليوسف، ويونس وهو في قلب الحوت، ولمحمد وهو في الغار محاصرا بالأشرار، عليهم جميعا السلام".

من ابتلاء إلى ابتلاء تاريخ مصر يسير. وكأنها استجابة لدعاء موسى عليه السلام "اللهم اشدد على قلوبهم، واطمس على أموالهم.." والمصريون يؤمنون بأن الله يحرسهم دونا عن كل بلاد العالم أجمعين. بينهم حب غريب عجيب وحانى، وفي نفس الوقت كره

بغيض ومدمر، لاتعرف هل يحبون حاكمهم، أم يكرهونه وينسونه ولا يتذكرونه. صلاح الدين الأيوبي حائر في هذا؛ فقال في رسالة إلى عمه "إن ذاكرة شعب مصر كالزير المثقوب" فكيف اكتشف الثقب هذا الرجل الداهية.

(العام الثالث لحصار صلاح الدين الأيوبي في الإسكندرية)

جلس صلاح الدين الأيوبي أمام قاضي الإسكندرية وسأله:

هل سيقوم المسيحيون المصريون بخيانتي والثورة علينا؟

- الخوف من المسلمين أيضا.
- وهل قام المسلمون بثورات؟

نعم.. هنالك ثورات أخرى في عهد العباسيين قبل أن نصل في النهاية إلى مصر، وثورة البشموريين الأولى في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، ثورة الحسين بن على رضي الله عنه على حكم يزيد الأموي، وثورة عبد الله بن الزبير بن العوام على عبد الملك بن مروان، وثورة عبيد الله المختار الثقفي على عبد الملك بن مروان، الثورة المستمرة للخوارج على الأمويين، ثورة زيد بن زين العابدين على هشام بن عبد الملك، والثورة الفكرية للقدرية على فقهاء الخلافة الأموية عامة، وعلى هشام بن عبد الملك خاصة..

قال صلاح الدين للقاضي غاضبا:

- أنا أحدثك عن ثورات المسيحيين في مصر على المسلمين التي حدثت.

قال القاضي:

- عدة ثورات، ثورة القبط في الحوف الشرقي، وثورة القبط في الصعيد، ثورة القبط في سمنود ورشيد وفيرونيا شهيدة الجمال، وثورة القبط في سخا، وثورة القبط في ولاية موسى بن علي بن رباح، وتحويل العرب الكنائس إلى مساجد.
- إذا.. دع الأمر لي سأجتمع بالبابا والحاخام شكرا لك.

اجتمع صلاح الدين أولا مع حاخامات اليهود وكبار تجار الإسكندرية..

جلس اليهود كبارهم وصغارهم أمام صلاح الدين الأيوبي.. لحظات صمت وترقب. لعب في ذقنه، ثم نظر إلى الحاخام الكبير وقال له:

- أنت رجل صالح مستجاب الدعاء مثل بلعام.. فهل تعرف بلعام بن باعوراء؟
- نعم أعرفه..
- حدثني بما تعلم عن بلعام.

استغرب الحاخام وقال له:

- بلعام بن باعوراء بن إيد بن مارث بن لوط، كان من الكنعانيين. نسبة إلى كنعان بن حام، وهو اسم أعطاه بنو إسرائيل لفلسطين

في الزمن القديم؛ لأنها الأرض الموعودة لنا من الله، وهى تمثل لنا نهاية المطاف لتشتتنا، وتنقلنا من مكان لمكان بعد خروجنا من مصر، ووصفنا بالتائهين، بلعام ينتسب إلى مدينة بلقاء، وبلقاء نسبت إلى اسم مليكها الأول وكان اسمه بالق بن صافوراء، وكان اسمهم الجبارين لأن سكانها يتسمون بالقسوة والتجبر والشدة..

- هز صلاح الدين رأسه و قال: أكمل و ماذا أيضا؟

واصل الحاخام حديثه قائلا:

حاول موسى بن عمران عليه السلام محاربة الجبارين، ونزل أرض كنعان التابعة للشام، وكان مع موسى عليه السلام جند كثر أقوياء؛ فجاء أهل البلاد إلى بلعام وكان إحساسه الديني ضعيف، ولكنه كان يمتلك سر اسم الله الأعظم، الذي إذا دعا به؛ تمت له الاستجابة.. فقالوا له:

- أنقذنا من موسى الذي يريد أن يحتل أرضنا ونحن قومك وبنو عمك وجيرانك، وليس لنا مكان آخر غير هذه الديار، وأنت رجل مجاب الدعوة من السماء. انصحنا يا بلعام ادعوا لنا الله فأنت مجاب؛ حتى لا يحتل موسى أرضنا.

صرخ بلعام بن باعوراء.

- تبا لكم، هذا نبي الله ومعه ملائكة السماء ومعه أناس مؤمنون.. كيف أدعو عليهم وأنا أعلم الكثير؟! إن فعلت هذا ذهبت دنياي وآخرتي..
- أرجوك ساعدنا نحن أهلك.

تعب منهم وحاول أن ينام وفى المنام شاهد ملاكا يحدثه:

"يا بلعام كيف تدعو الله على نبي من الأنبياء ألا تخجل؟!"

قام من النوم مفزوعا.. ارتشف رشفة ماء محدثا نفسه:

"يبدو يا بلعام أنه ردّ السماء على طلب قومك..."

وفى إحدى الصباحات حضر كبار التجار إلى بيت بلعام أثناء غيابه، كلّ واحد منهم محمّل بهدية لزوجته التي طالما حلمت بالثراء؛ فهي مثل كل النساء تهوى الذهب والملابس، وطلبوا منها أن تقنعه بالدعاء على موسى وأصحابه؛ وافقت الزوجة بلا تردد، لقد أفقدها بريق الذهب عقلها؛ أذعنت لسلطة المال. بدأت تلحّ على زوجها بلعام إلى أن حققت مبتغاها. وكيف إن كيدهن عظيم. قرّر بلعام تحت تأثير أنثاه الذهاب إلى الجبل والدعاء على موسى. ركب حماره واتجه نحو الجبل لكن الحمار وقف في الطريق مرة، نزل بلعام وصرخ فيه مرة، ثم مشى خطوتين ووقف فصرخ فيه مرتين، ثم تكرر وقوفه لثالث مرة؛ فنطق الحمار قائلا:"هل تريد أن تحرقني؟ الملائكة وضعت النار أمامي؛ فعاد إلى قومه وأخبرهم بما حدث، وأنه لم يدعُ على

موسى؛ فهددوه وحاصروا بيته، وهجرته زوجته. كان بلعام يعرف اسم الله الحقيقي وإذا نطقه استجاب الله له؛ فدعا على موسى بالتيه أربعين سنة باسم الله الحقيقي، وتمت له الاستجابة؛ فتاه موسى وقومه..

سأل موسى الله مناجيا:

- يا رب بأي ذنب أوقعتنا في التيه أربعين سنة بدعاء بلعام؟ لقد سمعت دعاءه علي، اللهم أسألك أن تنزع منه الاسم الأعظم لك والإيمان؛ فاستجاب الله له فنزع منه المعرفة، وقال تعالى في قرآن المسلمين ((واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين))
- إذا هي ليست أرض الصليبين؟
- نعم.
- إذا أرضكم وأرض الجبارين وأرض المسلمين؟ أنتم أهل الذمة يهود مصر وتجارها وسكانها منذ عهد موسى، بل وقبله في عهد يوسف، تتمتعون بالمال والحلال. هذه الأرض تتعرض إلى الهجوم والحصار ليس بسببي؛ بل طمعا في أموالكم، ويجب كلنا أن نتوحد من أجل مصر، وعلينا جميعا الصمود والثبات؛ لفك هذا الحصار الذي سوف ينتهي بأي شكل. وأقترح أن نوقف الحملات الصليبية، ونوقف الصراع بالتفاوض مع الصليبين. وأنا أعلم أن

لكم رجالكم ووسائلكم المختلفة للاتصال؛ فقد عرفت أن بعض التجار اليهود سافروا إلى فرنسا وألمانيا، وتركبون السفن من الإسكندرية إلى هناك. أنتم من هذه البلاد. يوسف مصري بدوى من بني إسرائيل، وقد ولي خزائن مصر، ونبيا لها، وجاء موسى وهو مصري يتدين بالدين اليهودي، وأنتم جزء من أهل مصر الأصلاء، وأنتم من استقبلتم المسيحيةن ومن استقبلتم الإسلام، وأنتم جزء من أهل مصر؛ يجب أن تساعدونا.في مواجهة الغزو الأجنبي. ونحن المسلمون أعطيناكم الأمن والأمان صح؟

لم يرد أي واحد منهم. كان الحديث من طرف واحد هو المتحدث، وعندما هموا وانصرفوا؛ نادى صلاح الدين على أكبر تجار الإسكندرية:

- بنيامين.

- نعم.

أنت من تجار مصر اليهود سكندري، تذهب كل عام إلى فرنسا وألمانيا؟

- نعم.

- أريدك أن تتفاوض مع عمورى ورجاله؛ للإفراج عنا وفك الحصار عن الإسكندرية، سندفع الجزية لهم.

- أمر مولاي.

ذهب بنيامين للتفاوض باسم صلاح الدين مع الصليبين فقال عموري:

- اسمع يا بنيامين سنفك الحصار؛ بشروط أن يسافر صلاح الدين مع عمه أسد الدين إلى الشام، ويتركوا مصر، وأن تدفع مصر الجزية لنا.

ذهب بنيامين إلى صلاح الدين، فوافق صلاح الدين على شروط الصليبين، و أفرج عن صلاح الدين الأيوبي من الإسكندرية، وتسلم الإسكندرية للصليبين، وصالح صلاح الدين الصليبين وأجرى معهم المعاهدة، ورد إليهم الإسكندرية، وتم تنفيذ شروطها برجوع أسد الدين وصلاح الدين إلى دمشق. في آخر ذي القعدة من سنة اثنتين وستين وخمسمائة هجريا؛ واستعلى الفرنجة على أهل مصر وشرطوا عليهم أن ينزلوا بالقاهرة، وأن تكون أبوابها بأيديهم؛ لئلا تدخل عساكر نور الدين، وفرضوا ضريبة تحمل لهم كل سنة فأجابهم صلاح الدين على هذا. هكذا كانت الإسكندرية تحت طوع الفرنجة، والقاهرة تحت قيادة المستنصر وشاور وصلاح الدين وقراقوش وأسد الدين شيركوه. مصر التي تقسم وتجزأ منذ أسطورة إيزيس وأوزوريس. بين ست وأوزوريس. من يحكم شمال مصر ومن يحكم جنوبها. ومثلما قسمت بين حورس ابن أوزوريس وعمه ست، وظلت تقسم أيام الفراعنةن ثم يأتي من يوحدهان ثم تتجزأ. يتجزءون.. أفلا يبصرون..

....

....

الزمان : نهاراً .

المكان : قصر أسد الدين.

دخل شاور وسأل الخدم:

- أين سيدكم أسد الدين؟ أبلغوه أني قد حضرت.

وكان حوله ثلة من رجاله. وإذ به يسمع صوتاً من الداخل:

- هو ليس هنا فى زيارة للإمام الشافعى.

فالتفت؛ وجد صلاح الدين بشحمه ولحمه أمامه.

فقال ساخرا:

- غير معقول لا أصدق عيني، لقد نجوت يا صلاح الدين من أيدي الفرنجة! الحمد لله على سلامتك. سمعت أنك شربت الويل من أهل الإسكندرية، المصريون فراعنة أنت لا تعرفهم؟

فأغتاظ صلاح الدين وضاق صدره؛ فأمر حراسه صائحاً :

- اقبضوا عليه.

صرخ شاور:

- أنا وزير الدولة! ماذا تفعل يا صلاح الدين، أيها الأحمق الدموي، لو فعلتها؛ ستكون مجنونا!

التف الحرس حول شاور، ونزعوا أسلحة حراسه؛ فأخذ شاور يبرطم بالشتائم، فاغتاظ أكثر صلاح الدين وقال:

- أنا أحمق ودموي ومجنون؟! اقبضوا عليه..

في تلك اللحظة؛ هرب حرس شاور، واتجهوا إلى قصر العاضد؛ لعله يبعث من ينقذه.

....

....

الزمان : ليلاً

المكان : قصر العاضد

ولم ينفذ صلاح الدين أمر قتل شاور إلا بعد مشاورة عمه أسد الدين والعاضد.

صاح العاضد لحراس شاور الفارين:

- ماذا تقولون؟ قبض صلاح الدين على شاور وقيد يديه وقدميه؟!

أخذ العاضد يضحك ضحكات هستيرية.

رأى العاضد أنها فرصة ليتخلص من الأمير الفاطمي شاور بيد صلاح الدين، وبالتالى سيقتل صلاح الدين على يد رجال شاور، ويتخلص من الاثنين مرة واحدة، حيث إن الأمراء الفاطميين وأتباع شاور؛ لن يتركوا الأمر كذلك، وربما يثأرون بقتل صلاح الدين؛

فأرسل العاضد سرا إلى الأمير أسد الدين يطلب منه العفو عن شاور؛ بل يطلب منه رأس شاور.

....

....

الزمان : ليلاً.

المكان : قصر أسد الدين.

يقف شاور مقيداً أمام صلاح الدين الأيوبى الذي يمسك في يده رسالة من العاضد؛ فيشعر شاور بالخوف، فيهمس وهو يرتعش:

- هذه رسالة من الخليفة العاضد أعرف رسائله.. ماذا يقول؟
- ماذا تتوقع أن يقول؟
- يطالبك بالعفو عني فوراً .

صلاح الدين ضاحكاً :

- لا والله.. يريد رأسك، وأنا عسكري أنفذ أوامر القادة؛ وسأقطع رأسك الآن غير آسف أو نادم، وسيحمل رأسك الغلمان من هنا حتى قصر الخليفة؛ ليرى الناس رأسك.
- أنا لا أصدق هذا! أنت تمزح.. أنت تمزح يا يوسف.. أليس اسمك يوسف؟

في تلك اللحظة؛ أخرج صلاح الدين سيفه وقطع رأس شاور، وأمر الغلمان بحملها إلى قصر الخليفة العاضد.

وقف الناس في دهشة على الجانبين يشاهدون رأس شاور والمنادي يقول:

- هذه رأس شاور الوزير الفاسد قتله صلاح الدين.

ففرح المصريون بذلك، وأمر أسد الدين الناس بنهب دار شاور؛ فنهبت كلها من البلطجية والعامة والدهماء، واستباحوا نساءه، وكان ذلك عام ٥٦٤هجرية. وانتقم المصريون منه وهو ميت؛ باستباحة زوجته وأسرته وأهله وجواريه. قيل إن صلاح الدين ألح على عمه

بقتل شاور والتخلص منه. نعى الخليفة العاضد شاور وقال: " مات شاور، أبو شجاع شاور بن مجير الدين بن نزار بن عشائر بن شاس. قتله يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان الملقب بصلاح الدين. وإن أبا صلاح الدين وأهله من (دوين) وهي بلدة في آخر أذربيجان وأنهم أكراد روادية، والروادية بطن من الهذبانية، وهي قبيلة كبيرة من الأكراد، وكان شاذي جد صلاح الدين، قد أخذ ولديه أسد الدين شيركو ونجم الدين أيوب وخرج بهما إلى بغداد، ومن هناك نزلوا تكريت، ومات شاذي بها وعلى قبره قبة داخل البلد. ولد صلاح الدين سنة ٥٣٢هـ بقلعة تكريت، لما كان أبوه وعمه بها، والظاهر أنهم ما أقاموا بها بعد ولادة صلاح الدين إلا مدة يسيرة، ولكنهم خرجوا من تكريت في بقية سنة ٥٣٢هـ التي ولد فيها صلاح الدين أو في سنة ثلاثة وثلاثين؛ لأنهما أقاما عند عماد الدين زنكي بالموصل.

هل مصر ساحة للطامحين؟ مصر مرافئ وشواطئ للحالمين وأصحاب الطموح، حتى العبد كافور طمح للحكم وحكمها!

في قصر الخليفة العاضد اجتمعت الجواري وبينهن "لامار" و"هوى" كانت الجواري فرحة منشرحة سعيدة؛ بسبب قتل شاور.

قالت واحدة: خلصت الدنيا من شرير كبير، وعن قصة اغتياله صدرت كم قصة!

واحدة تقول: إنه أرسل أخاه إلى ميدان القتال وذهب إلى دار أبيه حيث زوجة أخيه تسكن؛ واغتصبها في غياب أخيه، وخافت أن تحكي

أو تشكو. وبين الحين والحين يذهب إليها؛ حتى تعودت عليه، وأن أخاه هو الذي قتله هو وزوجته، ليس صلاح الدين الأيوبي.

أما الإشاعة الأخرى تقول إنه اغتصب أخته ليلة سفره للقتال! إنه سكر وذهب إلى بيت أبيه فجران وفتحت له الباب؛ فقبلها وضمها إليه واغتصبها. وإنها هي التي قتلته. وليس صلاح الدين الأيوبي.

قالت إشاعة ثالثة تقول إنه طلب الزواج من ابنة أحد قادة جيش صلاح الدين، وكانت كردية جميلة فاتنة. اسمها زهرة ، فرفض أبوها، وكانت تتولى دارا لمساعدة الفقراء، فذهب إليها في الدار، وأغلق الباب عليها في الدار؛ واغتصبها. وخافت أن تخبر أباها، وظل يفعل هذا بين الحين والآخر، إلا أن حارس الدار وهو شاب يسمى نعمان كان يحبها، سألها ماذا يفعل الوزير عندما يأتي إلى هنا؟ فبكت وحكت له؛ فقرر الشاب نعمان قتله أثناء قدومه وخلع ملابسه، فقد خبأته زهرة في صندوق؛ فقتله ووضعوا جثته في صندوق. وإن صلاح الدين لم يقتله. وزعت البنات الحلوى احتفالا باختفاء شاور. جاءت السارية فرحة خافت البنات قالت السارية:

- مات هذا الوغد الذي كان سبباً في انهياري، هو الذي عاقبني بأن أمارس الجنس مع امرأة وأمامه كل ليلة لمدة شهرين؛ تعودت على هذا، وحرمني من أكون مثل باقي النساء؛ كل هذا لأني رفضت أن ينام معي. أنا التي قتلته وأرسلت رأسه إلى الخليفة العاضد بالله؛ زغردت النساء في داخل القصر، وزغردت النساء

في حواري مصر ووزعن الشربات، والناس تهلل كأنه عيد. ولم يظن المصريون أن خلف كل قيصر يموت يأتي قيصر آخر جديد.

وصل الخبر إلى حارة اليهود، خرج من الحارة عثمان فرحا وأخذ يصيح:

- جاء الحق وزهق الباطل. وهو يسير في السوق وبينما الناس في هرج ومرج، رأى رجلا طويل القامة شاحبا أغبر الملابس غريبا عن البلاد؛ اقترب منه عثمان وقال له:
- أنت غريب؟
- أيوه.
- اسمك؟
- أبو بكر، أبحث عن ابنتي لامار، عطرها يصيب الرجال عبر الهواء بدوار، وهواء بحر عشقها نار في روح الرجال؛ تجعل قلوبهم تطير وتصعد حتى سابع سماء. إن عشقها يهزم الرجال، وهوى قلبها لا يعرف هزيمة. هي بحر يهدهد القلوب قبل العيون، وصوتها به نبرة خفية تتحرك؛ فتحرك ظلمة الروح للنور، قبلاتها على وجنتي سكر ولؤلؤ خفى، لا يتذوقه إلا رجل يعبر بحر الطيران، ويدق قلبك إذا رأيتها وهي طير وليس له إلا جناحها المكسور، وبدقة قلبها ترقص العصافير، وهي وطن للعشق، أبحث عن ابنتي لامار. وقف عثمان مذهولا أمام الرجل:
- كل هذا في ابنتك.. أين هي؟
- خطفوها.

كان هو أبو بكر والد لامار. لقد جاء بقدميه إلى أرض مصر؛ كي يحضرها لأمها فطيمة، لترتد بصيرة؛ فقد أصبحت عمياء من كثرة البكاء.، وبينما هو يسير معه في السوق قابل عثمان سرور بائع الطيور، الشاب الفلاح البسيط الذي ورث عن أبيه مهنة بيع الطيور المذبوحة دواجن وبط ووز وحمام. قال عثمان:

- يا واد يا سرور خد عمك أبو بكر عندك لحد ما يشوف بنته.
- حاضر يا سيدنا.

قال أبو بكر لنفسه: " آه لو وجدتها هنا قد تزوجت أميرا مصريا؛ سوف آخذ ثوبها إلى أمها" في تلك اللحظة كان الخليفة العاضد بالله وضع رأس شاور في صينية كبيرة أمامه، وأخذ ينظر إليه:

- ها قد ذبحت أيها النذل. ألم أقل لك توقف عن الشر؟ لم تسمع الكلام واستمر شرّك يحرق الناس!

قام يركل الرأس بقدميه

- يا غبى ها هو صلاح الدين الأيوبي الكردي يقطع رأسك، واستأذن مني، سألني.. نعم سألني هل أقطع رأس شاور؟ قلت له نعم؛ وافقت، نعم وافقت؛ لأنك حقير ونذل ولص تسرق أموال الناس وتسرق أموالي. كم بيتا سرقت وكم بيتا بنيت.. تتفق مع البيزنطيين ومع الرومان ومع أي عدو لي.. أيها الوغد الحقير.

ركل رأس شاور مرتين

- هل أخذت رأيي في أي قضية، تحرق القاهرة، وتمنع الناس من إطفاء الحريق، انظر الناس ترقص في الشوارع بفرح أيها الحقير.

....

....

الزمان نهارا.

المكان قصر صلاح الدين.

يقف عثمان بين يدي صلاح الدين هاتفا:

- سيدي القائد صلاح الدين للناس جنة في الآخرة ولك أنت جنة بمفردك؛ سيمنحك الله، هذا حقك؛ لقد خلصت مصر من لعنة تمشى على الأرض اسمها شاور. والله والله أنا ممن يدعو لك ليلا ونهاران وممن يعشقون اسمك ويسبحون لله أولا ثم لك. أنت المخلص لمصر من الاستعمار والشر والدمار.

ابتسم صلاح الدين الأيوبي له وقال له:

- يا عثمان أنا أريدك أن تقوم بحملة على الناس الذين يحبونك بتفهم هذا الوضع.
- نعم.
- سأجعلك في قصر الخليفة العاضد؛ تكون مساعدا لقراقوش.
- إنه رجل صالح.
- ولذلك عليك الانتباه.
- لكني لست عسكريا..
- أعرف.

- إذا ماذا سأفعل؟
- ستقوم بالصلاة، وقراءة القرآن، وعلاج الناس بالقرآن.
- وأنام في القصر؟
- لا ستنام في بيتك، تذهب في الصباح وتمشى في المساء بعد صلاة العشاء، وتبلغ قراقوش بكل صغيرة وكبيرة تراها.
- أمر مولاي.

....

....

الزمان: ليلا.

المكان: دكان سرور بائع الطيور.

يجلس أبو بكر يتناول العشاء في دكان سرور وسط رائحة كريهة من الطيور وعدم النظافة، قدم له سرور الطعام؛ جلس يأكل بنهم، ويشرب من كوز ماء غير نظيف:

_ تبا لهذه الحياة.

قال سرور:

- اسمع يا عم تعمل هنا معي، وتنام في الدكان؛ حتى يرزقك الله بابنتك ويرزقني برزقك.
- أشكرك.
- سنأكل سويا، وتنام مقابل عملك، إذا فاض المال؛ سأعطيك.

- إن شاء الله.

فجأة ظهر "رشيد" شيخ الجبل ومعه رجاله، وطلب من سرور عدة دجاجات وطيور يذبحها ويعدها في الحال، لمح رشيد أبا بكر فقال:

- من هذا؟

- رجل غريب يبحث عن ابنته اسمه أبو بكر.

- إذا هو لي.. احمل الطيور يا أبا بكر، واصعد معي الجبل، هيا يا رجل.

- حاضر.

شيخ الجبل هو رشيد الدين سنان بن سليمان بن محمود، رشيد يحب مصر بطريقته الخاصة، يراها بلا فقير غلبان، وأن الفاطميين والعسكر الذين يأتون لحكم مصر يسرقونها. أما رشيد فقد جمع رجالا من كل أنحاء مصر من المقهورين والعصاة والزناة واللصوص؛ قرر سرقة الأثرياء وتوزيع النقود. ويعيش في الجبل. رشيد يشترى سلاحه من شيحا. مشى أبو بكر مع رشيد ورجاله إلى دكان شيحا.

شيحا حداد صانع سيوف. ويقال سيف من صنع شيحا لمهارته في ذاك الزمان. زمن شيحا الحداد التعبان الأعزب، الذي كان فقيرا ودكانه يقع في سوق الحدادة بجوار سوق النخاسين. أتت الرياح بما لا يصدقه عقل ولا جان؛ إذ إن قام بعض الزعران ذات يوم بالهجوم

على الجواري الحسان مع نخاس يدعى رعشة، وحين حاول أن يستنجد بالشرطة؛ جرت الجواري، واختبأت جارية أرمينية جميلة في دكانه؛ فخبأها تحت كومة قش، وفى الليل ألبسها ملابس رجال وأخذها إلى الدار، وأضاء مصباح الزيت، ولأول مرة تلمس يده السوداء المتسخة بالحديد هذا الجلد الأبيض الناعم، والعيون الخضراء؛ فأخذ يمرح في حقول عينيها الخضراء، وكأن الله منحه هدية؛ رفع رأسه إلى السماء وبكى وقال :

- يا الله أنت أرسلت لي مع جبرائيل حورية؛ لأنك تعلم أنى فقير ومعدوم، ولست ماهرا في الحب. يا ربي أنا شيحا الحداد الفقير لم ألمس جسد امرأة من قبل، يا الله أنا لم أسكر إلا مرتين، وشربت الخمر مرتين، مرة على حساب التاجر عصفور، ومرة على حسابي. يا رب اجعلها زوجة صالحة لي وتنجب لي ولدا أو بنتا، وأني سأسمي هذه المرأة الأرمينية دنيا زاد..

وبعد عام أنجبت له ولدا أسمر وسيما، أصرت دنيا زاد على أن تسميه ضوء المكان صاح فيها:

- ضوء المكان! الناس يقولون يا بو ضوء، ولا يا بو المكان؟!
- دلعه بمصباح.
- حلو مصباح..
- بس ابني اسمه ضوء المكان.

- مصباح.. أنت لا تعرفين المصريين يادنيا زاد، الاسم ثقيل..
- أنا سأعلمه يقولها ويصر عليها..
- أنت حرة.
- أيوه حرة.

عندما تزوج شيحا من دنيا زاد؛ انقلب حاله حال، فقد ذاق لحم الجسد الأبيض الناعم؛ فبدأ في سلسلة من الزيجات كلهن بيضاوات شقراوات، وخلف من الأولاد الصبيان والبنات ثلاثة وثلاثين ولدا وفتاة، واشتهر في كل مصر باسم شيحا الحبيب أبو مصباح أو ضوء المكان. أما ضوء المكان الذي كبر؛ أصبح من شياطين الإنس والجان..

فشل شيحا في أن يجعل ابنه ضوء المكان حدادا. الفتى لايحب مهنة أبيه، فشل أن يجعله سقاءً أو نجارا. وظل الفتى ضوء المكان معظم الوقت في شوارع القاهرة من مشرقها إلى مغربها، ولم لا.. القاهرة مدينة العجائب، ويعرف أسرارا لا يعرفها أحد، وهناك مثل شعبي يقول: " من مشى كثيرا على قدميه؛ عرف أكثر ممن ركب عربة أو فرسا" أما أمه دنيا زاد حاولت جاهدة أن تثبت ابنها في أي مهنة أو صنعة؛ ففشلت. تعلم أن روحه برية متمردة غاضبة بلا هدف. كان يعرف بيوت القاهرة بيتا بيتا، وخاصة بيوت الأغنياء والأثرياء، التجار

والأعيان، وبيوت الدعارة السرية، وبيوت أخرى حبيسة فيها النساء الزوجات السريات للكبار من التجار والمسئولين.

كاد أن يحفظ أسماء كل نساء مصرن ورفض الزواج. فقد كان يحلم بالزواج من أنثى جميلة لم يسبقها في جمالها أحد، كاد أبوه شيحا أن يجن، أما أمه دنيا زاد تقول: "دائما الولد عاطل، واليد العاطلة نجسة" ونالت شهرة في بيع وصنع خبز ساخن بطريقة جميلة.. فقد كانت تستكفي بنفسها ماليا، وأحيانا يمر عليها شيحا؛ ليأخذ منها ما ادخرته من البيع ويشكو لها الحال. شيحا الآن ليس له عنوان. فله بيوت عدة وبنات وأولاد كثر، ويقال إنه خالف الشرع وأصبح لديه عشرة نساء على ذمته، وحين يواجهه أحد بالسؤال ؟ أنت كده خالفت الشرع يا شيحا! يقول: " كلا وما ملكت أيمانكم، وهذا ما ملكت أيمانى. كان القاضي الفاضل عبد الرحيم علي البياتي سيفا مسلطا على شيوخ الأزهر، الجالين الموالين للحكام، وكان عثمان الذي يتنفس كذبا مثل الأمير شاور، مثل الخليفة العاضد، مثل الجميع؛ هو من يفتي للزواج والطلاق.. وقال إن الله ذكر مصر في القرآن، لا تخافوا عليها، هو سيدافع عنها، استريحوا يا مصريين ولا تدافعوا عن بلادكم. ألم يذكرها في القرآن؟ ولم يذكر بلداً غيرها؟ ناموا واستريحوا يا مصريين. وكان القاضي الفاضل يكره هذاالكلام ويوبخه دوما..

وقف رشيد أمام دكان شيحا صارخا:

- شيحا..

خرج شيحا مهرولا خائفا مجيبا:

- نعم يا سيد الناس.
- أين السلاح؟
- في الحقيقة غير متوفر الآن.
- أعرف أنك تزوجت منذ أسبوع.
- أصل.
- احترم نفسك.
- حاضر .
- كم امرأة تزوجت؟ مائة؟
- لا أعرف عددهم..
- أين السلاح؟
- أعطني فرصة أسبوعا..
- أين ابنك مصباح؟
- لا أعرف أقتله لو فعل لك شيئا..
- لا أنا أحبه أريده أن يساعدك..
- والله.. والله لو نزل جبريل على الأرض ليقنعه؛ لن يفعل..
- أعطيك ثلاثة أيام فرصة؛ لتجهزه، وإن لم تفعل؛ سأقطع عضوا غاليا من جسدك وأعلقه على باب الدكان، وأنت تعرف ماهو؟

- اجعلهم أربعةَ أيام..
- ثلاثة.

نظر إلى رجاله وفجأة وقعت عيناه على أبو بكر..

- ما اسمك؟
- أبو بكر.
- ماذا تعمل؟
- لا عمل لي.
- من الآن يا أبو بكر أنت تعمل مع شيحا هنا في الدكان، وأجرك عندي، اعمل معه، ساعده راقبه ثلاثة أيام؛ ليجهز السيوف، وساعده، فاهم؟
- حاضر.. والطيور التي في يدي؟
- أعطها لهذا الرجل.

يشير إلى أحد رجاله. يقوم أبو بكر بتسليم الطيور إلى أحد رجال رشيد..

مضى رشيد إلى الجبل. وقف شيحا مرتبكا أمام أبو بكر الذي ظنه من أهل الجبل. قال له:

- أنا لا أستطيع في ثلاثة أيام صنع مائة سيفا..
- نعم.
- أنت تعرف؟
- لا أعرف.
- أين ستقيم ثلاثة أيام؟

- لا أعرف..
- تعال معي إلى البيت نأكل لقمة والصباح رباح..

....

....

المكان: في بيت شيحا.

الزمان: ليلا.

البيت في حارة ضيقة مثل حواري مصر، كان المصريون يبنون البيوت في شكل حارات ضيقة؛ حتى يكون هناك ظل يحتمون به من حرارة الشمس. دق باب البيت الخشبي المتهالك؛ اقتربت دنيا زاد الأرمينية الأصل الباب، وهي تحمل مصباح زيت. وبصوته الأجش قال:

- افتحي الباب يا بنت.

فتحت الباب، لمحت أبو بكر بجوار شيحا؛ خبأت وجهها بالطرحة التي على رأسها..

- معك رجل غريب؟
- لا ليس غريبا، هذا أبو بكر.
- أبو بكر من؟
- مساعدي الجديد..

ما إن دخل إلى صحن الدار، وجلسوا إلى العشاء على الطبلية؛ حتى قفز عليهم من سطح الدار شاب أسمر وسيم قوي العضلات..

- مساء الفل يا جماعة.

أجابت دنيا زاد وهي تحمل طبقا من طبيخ طعام ساخن.

- أنت جيت يا منيل؟

قدم الشاب يده إلى أبو بكر.

- أنا مصباح، هذا اسم الدلع، واسمى الحقيقي ضوء المكان، الابن البكري لهذا الرجل الجميل عم شيحا، وأنا أكبر إخوتي ال٣٦ الذين لا يحفظ أبى أسماءهم..

رد شيحا:

- يا فاشل يا صايع يا ضايع ياعاطل..
- نعم..
- أبو بكر تركه سيد الجبل رشيد يلزم لمساعدتي، وعاوزك تساعدني، نعمل مائة سيف في ثلاثة أيام؟
- جيد.
- كيف يا روح أمك أصنع مائة سيف في ثلاثة أيام.؟!
- سأساعدك وسأحضر لك إخوتى كلهم.
- كيف؟
- بالقوة بالعصا، ماعليك أنت...
- وأنت.
- أنا سأراقبهم وهم يعملون، أشرف عليهم....

- يا ويلي منك.
- وحد الله ياعم الحاج، خلينى أكلم عم أبو بكر. أنت إيه حكايتك ياعم احكي لي.

....

....

الزمان: ليلا.

قصر الجواري الملحق بقصر العاضد.

تجلس لامار مع هوى عند حافة الشباك، تنظر في الفراغ كأنها تشم الورد من البستان، ولكن ليس هناك وردا ولا رائحة بحر ولا نسيم! ماذا تشم تلك الفتاة الغريبة الأطوار؟! هكذا قالت هوى في نفسها، ثم أوقفت تدفق الأسئلة وقالت لها:

- ماذا تشمين يا لامار؟
- إني أشم ريح أبي؟
- نعم!
- أبي رائحته هنا أشمها، هنا في مصر..
- مجنونة أنت يا بنت؟!
- أنا لست مجنونة، أبي هنا في هذه البلاد.
- لا حول ولا قوة إلا بالله، طيب نامي يا بنت، الصباح رباح..

- هرب النوم من عيني؛ لقد شممت رائحة أبي، فهي مثل الخبز الطازج، والقمح في الحقول، أبي الذي يطعم العصافير كل صباح ويسقيهم الماء، أبي البسيط مثل الليمون والكمون، ويحب كل كائنات الكون. بكت هوى..

....

....

المكان : قصر العاضد

فكر الخليفة العاضد في أن يلقي صلاح الدين في فتنة أخلاقية، فقد أشار عليه شاور قبل موته؛ أن يعينه مسئولا عن أمن الجواري في القصر الخاص، حيث بلغن أكثر من عشرين ألف جارية من أجمل بنات العالم، وكانت بعضهن تقمن علاقات جنسية مع بعض جنود الحراسة؛ نظرا لأن الخليفة لا يستطيع مضاجعة عشرين ألف امرأة! وبدأت سمعة نساء القصر تتلوث من هنا ومن هناك..

فكر صلاح الدين الأيوبي في اختيار مساعد له، ووقع اختياره على بهاء الدين قراقوش. هو أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الأسدي الملقب ببهاء الدين، قراقوش معناها بالتركية" النسر الأسود" والأسدي؛ لأن قراقوش العبد المعجزة لسيده أسد الدين شيركو. في البداية هرب قراقوش من سيده من وسط أرمينيا واتجه نحو دمشق حيث اشتراه أسد الدين شيركو الأيوبي بماله، وسمى باسمه (بهاء

الدين قراقوش الأسدي) وانضم إلى صفوف المماليك التي يملكها الأيوبيون. تدرب وتعلم على أعلى المستويات، وكان خصيا أبيض؛ وأصبح من خدم أسد الدين شيركو، وحرصا على ما فيه، تم تعيينه من قبل صلاح الدين بصاصا ومسؤولا، وبدوره قام هو ولأول مرة في التاريخ بتعيين نساء بصاصات؛ يفتن عما يدور في مخادع النساء في القصر، بل وامتد الأمر إلى مصر كلها؛ حتى أن صلاح الدين الأيوبي كان يعرف هل نامت أي امرأة مع زوجها أم لا. كان قراقوش يتجول في القصر الحريمي بأمان؛ فهو خصي ومهندس بارع، وغبي بقوة في شؤون الحياة. كان صلاح الدين يستمتع بالحكي عن أخبار نساء القصر، ومغامرات الحراس والنسوة، والتنكر والهرب والحيل. وما أمتع الضحكات حين نتحدث عن النساء. ومنع قراقوش النساء من المرور في الأجنحة بالقصر إلا بإذنه. وبدأ صلاح الدين الإعداد لخطة انقلاب على الدولة الفاطمية؛ فقام بتعبين قراقوش كبيرا لشئون القصر العام والخاص، فأبدى همة غيرة و كفاية في كل ما أسند إليه، وتقدم في الحظوة حتى غدا رجل صلاح الدين الأول والذراع المعجزة..

....

....

المكان: دكان شيحا الحداد.

الزمان: ظهرا.. أثناء تناول وجبة الغداء.

يجلس ضوء المكان مع أبي بكر. يبكى أبو بكر وهو يتناول قطعة بصل وجبنه قديمة، يتذكر لامار، نظر له ضوء المكان قائلا:

- صف لي ابنتك يمكن أجيبها لك؟ صف؟

- ابنتي ليس لها مثيل تحبها العصافير، الكلاب لا تنبح عليها، والقطط تسير على خطواتها، والورد يتفتح إذا مرت بجواره.

ينظر له ضوء المكان أو كما يسميه الناس مصباح في دهشة:

- أنت يا رجل تتكلم جد؟

- نعم؟ عمري ما كذبت وأكذب ليه؟

- تعتقد أن ابنتك هنا في مصر.

- نعم.

- صف لي بنتك طويلة قصيرة، نحيفة سمينة، في وجهها شامة أو علامة نغازتين.. بيضاء سمراء..

- هي لا تشبه أحدا.

- يا رجل..

انفجر ضاحكا.

جاء شيحا وصرخ:

- أعمل لكم قهوة أحسن؟ وبلاش شغل، ونقعد نحكي حكايات..

- بنتغدا يا أبي.

- الغداء ربع ساعة.

- طيب.

....

....

المكان: جناح الجواري.

الزمان: عصرا.

تجلس هوى بجوار لامار.

الليل يمر بطيئا وغريبا وعجيبا؛ يفضح ما بنا من أشواق وأوجاع وأشياء، الليل يعرف معنى البهاء والهمس وسر العاشقين، ويغفله الأغبياء. تذكرت هوى جدتها سكر العجوز البيضاء العمياء، التي لا تعرف في الدنيا إلا حكايات النساء اللائي خدعهن الهوى، وتخلى عنهن الرجال. وأصرت أن تسميها هوى؛ حتى تذكرها ليلا ونهارا بقصص النساء والبنات اللائي تركن شرفهن في لحظة هوى؛ وحتى تحميها من عشق الهوى، وتذكرت أن جدها الذي كان يناديها "نوال" ويكره اسم هوى، وتخطّفها الحنين إلى دفء أمها ولماساتها الحانية.. رأت هوى كيف هربت الجواري من قصر شاور بعد قتله، ويقال إن البيوت السرية للدعارة؛ تلقفت بعضهن، وبعضهن حاولن الهجرة والسفر خارج البلاد ومعهن بعض المال، وبعضهن غرقت بهن المراكب. لعلّه كتب على النساء الجميلات الشقاء دائما..

....

....

مشهد

السهروردي وصلاح الدين ولامار

- **السهروردى هو أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي، ويلقب ب"شهاب الدين"، اشتهر بالشيخ المقتول؛ تمييزاً له عن صوفيين آخرين. وأبو الفتوح فيلسوف إشراقي، شافعي المذهب، ولد في سهرورد الواقعة شمال غربي إيران، قرأ كتب الدين والحكمة، ونشأ في مراغة، وسافر إلى حلب وبغداد، حيث كان مقتله بأمر صلاح الدين؟**
- **كيف قتله ولماذا؟**
- **نسب البعض إليه فساد المعتقد؟**
- **كيف يكون وهو كاتب؟!**
- **سمي في الغرب بشهيد الرأي، تعلم في أصفهان (إيران)، ثم واصل دراسته في ديار بكر (تركيا)، ثم انتقل إلى بلاد الشام، واستقر أخيرا في مدينة حلب (سوريا) على عهد الملك الظاهر ابن صلاح الدين الأيوبي. أمضى سنوات حياته الأولى في طلب العلم والمعرفة، فطاف بعدة مدن كانت تحسب جغرافيا على فارس الإمبراطورية قديما كمراغة بأذربيجان، وأصبهان في وسط إيران، والأناضول بتركيا حاليا. أحسن استقباله أمراء دولة السلاجقة. كانت للسهروردي اتصالات عدة بشخصيات هامة في العلوم الفلسفية والدين بمراغة، فقد التقى بمجد الدين الجيلي الذي تلقى**

عنه أصول الحكمة والفقه، وجرت بينه وبين فخر الدين الرازي صاحب التفسير الكبير مناظرات ومساجلات وملاسنات. وكان قد سبق وأن قرأ البصائر النصيرية في المنطق لابن سهلان الساوي على يد الظهير الفارس بأصفهان، وفي أصفهان درس فلسفة ابن سينا؛ فترجم له إلى الفارسية (رسالة الطير). ثم سافر إلى حلب حيث ألقى رحله متقربا إلى ملكها الظاهر ابن صلاح الدين الأيوبي، غير أن هذا التقارب لم يدم طويلا، ورأى الفقهاء في أن السهروردي يحمل أفكارا فاسدة؛ ستضر بعقيدة الملك الظاهر، فحذروا صلاح الدين من عودة الحركات الباطنية إلى الساحة ممثلة في شخص السهروردي، الظاهر وهو بحلب شاب يقال له الشهاب السهروردي، وكان الظاهر يعرف الكيميا وشيئا من الشعبذة والأبواب النيرنجيات؛ فافتتن به السلطان الظاهر، وقربه وأحبه، وخالف فيه حملة الشرع، فكتب إليه أن يقتله لا محالة؛ فصلبه عن أمر والده وشهره، وكان من أشجع الناس وأقواهم بدناً وقلباً، مع ما كان يعتري جسمه من الأمراض والأسقام، ولا سيما في حصار عكا، فإنه كان مع كثرة جموعهم وإمدادهم لا يزيده ذلك إلا قوة وشجاعة، وقد بلغت جموعهم خمسمائة ألف مقاتل، ويقال ستمائة ألف؛ فقتل منهم مائة ألف مقاتل.

واتهم السهروردى من العلماء الأقل منه علما؛ بأنه باطني ولا يستبعد أن تكون هذه هي التهمة الرئيسية التي قتل من أجلها، على أساس أن الحلاج قتل من قبل؛ بسبب التهمة نفسها.

عندما وصل الأمر إلى صلاح الدين الأيوبي؛ استدعى ابنه الظاهر:

- خبرني ما الأمر؟
- أمر هذا الشيخ الذي يسمى السهروردى.
- ما فهمت. ماذا به؟
- هو شيخك؟
- نعم ماذا به؟
- إيراني؟ يعني شيعي هو؟
- هو شافعي؟
- لا أصدق.
- لماذا؟
- ماذا يقول في كتبه؟
- النور هو أصل الأشياء، ومبدأ الوجود، وإن الله هو نور الأنوار. وإن الظلمة ما هي إلا وجها معاكسا للنور، وكلما انحدر الوجود؛ اتجه نحو الظلمة، ومن واجب الإنسان أن يترقى صعوداً؛ حتى يفنى في المصدر النوراني.
- وهذه العقيدة ألا تشبه عقائد أخرى غير مسلمة؟

- هي نظرية التقابل بين النور والظلمة التي ادعاها هي النظرية نفسها في عقيدة (الين واليانغ) في ديانة الصين القديمة. فاللون الأبيض في هذه العقيدة؛ يرمز إلى النورانية الروحانية، واللون الأسود؛ يرمز إلى المادي الظلماني، وفلسفته عبارة عن مزيج بين الأفكار الصوفية والأنظار الفلسفية...

- ماذا يكتب هذا الرجل؟

- كتب ما يقارب أربعين مصنفا للسهروردي خاصا بالفلسفة الإشراقية وما يسميه بالحكمة وأهمها مصنف (حكمة الإشراق) الذي يتحدث في المنطق والإلهيات والهياكل النورانية. وهو كتاب يظهر حقيقة فلسفته الإشراقية. وقد ترجمه بنفسه من اللغة العربية إلى اللغة الفارسية. وله رسالة في اعتقاد الحكماء ورسالة (غربة الغربية) وهي قصة كتبها بعد قراءته لقصة حي بن يقظان لابن طفيل؛ فتأثيرها انعكس على نفسه لذا كتب قصة مثلها. وترك كذلك عدة أعمال أخرى مثل: مؤنس العشاق، وهياكل النور، والبارقات الإلهية، والمناجيات، ورسالة النمل، وصفير سيمرغ. في مدينة حلب السورية كتب أهم أعماله (حكمة الإشراق) وكتاب (اللمحات) وكتاب (التلويحات)، وكتاب (المقاومات) وكتاب (المطارحات)، إضافة إلى العديد من الكتيبات

والرسائل. اطمئن يا مولاي الرجل يدعو إلى وحدة الوجود، وهو ممن نظم لنظريتها المتكاملة...

....

....

الزمان: ليلة الحسم..

المكان: قصر صلاح الدين في الشام.

القصر حيث الشموع والستائر تبدو شاحبة، ورائحة زهر دمشق تنبعث في الحجرة، والليل نجومه تترقب والقصر، كأن جدرانه خائفة. بهدوء ونعومة؛ فتح الباب الظاهر ودخل وقبل يد أبيه صلاح الدين الأيوبي:

- حمدا لله على سلامتك يا أبي.
- سلمك الله.
- كيف حال مصر؟ تركتها في يد قراقوش؟
- نعم هو خادم وفي، ولكن الناس تشكو منه مر الشكوى.
- هو الذي يصلح مع المصريين في التعامل معهم.
- هههههههههه نعم.. لا تخف على الناس؛ فمصر ذاكرتها بالزير المثقوب، لا تحتفظ بذكرى أي شيء، وتنسى كل شيء البشر قبل الحجر.
- ما أخبارك أنت وأخبار الحكم والناس؟
- كل الأمور على ما يرام.

هب صلاح الدين واقفا وركل بقدمه صينية بها إبريق ماء ورد

- ليس هناك أي شيء على ما يرام.
- ما الذي وصلك يا أبي.
- أنت ابن عسكري ورجل عسكري، نحن نتسامر مع أهل الشعر والفكر.
- نعم.
- والجلوس مع أهل الكتب يفسد العقل.
- نعم
- لا تقل لي نعم.. نعم.
- ماذا حدث يا أبي؟
- أنت.

أمسكه صلاح الدين وهو غاضب من ثوبه عند رقبته

- أنت وريثي ولن أسمح لأحدهم يخرب رأسك فهمت؟
- نعم.
- لا يوجد أنبياء بعد محمد.
- صح.
- لا يوجد استخدام العقل في الإيمان، نحن أهل نقل، ما قاله السابقون نحن معه.

- نعم.
- ما يقوله السهروردى استخدام العقل في الإيمان خطأ؟

صمت.

- وأن الله حر يرسل أنبياء بعد محمد خطأ؟

صمت

دار صلاح الدين في الحجرة وفى حركة عصبية، وأخذ يلعب في ذقنه

- الله نور.. هو يقول الله لا يصفه أحد من البشر والتحديد كفر؟

صمت من الظاهر

- هذا الرجل فتنة.

صمت من الظاهر.

- اسمع أنت أمام خيارين..
- يا أبي، اجلس معه، حاوره، ناقشه لا تسمع لأحد!
- ليس عندي وقت للهراءات ولمن يلعبون بالكلمات. أنا أحرق كتب الشيعة في مصر مليون مليون كتاب؛ لأتخلص من هذه الأفكار يظهر لي هذا السهروردى؟!
- هو..

(مقاطعا)

- أنت أمام اختيارين، إما تكون وريث عرشي، وإما دم هذا الرجل؟ اختر الآن؟

صمت من الظاهر

- نحن أمة نقل لا عقل، نؤمن بالله كما قال السابقون، والله لا يوصف بأي شيء.

صمت

- اختر الآن يا ابن صلاح الدين؟
- وماذا سيقول الناس إذا قتلته.
- نعقد محاكمة والقضاء معنا، ارفع مرتبات القضاة أربعة أضعاف، ووزع على كل واحد قطعة أرض، وعين أولادهم في الدواوين.
- والتاريخ ماذا سيقول عنا؟!
- أنت أحمق، التاريخ نحن نكتبه..
- كيف.. المؤرخون هم الذين يكتبون؟
- بالمال نشتري الكثير من المؤرخين، ويكتبون لنا ما نريده. فهمت؟ أنا خصصت مؤرخا يكتب تاريخ أسرتنا ويكتب تاريخي.
- من؟
- القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن شداد، ويكتب كتابا جميلا "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" اسم جميل.
- ولكن يا أبي!

- اسمع من أبيك، هذه أمة لا تقرأ، وكما قلت للسلطان نور الدين محمود زنكي عندما قال لي: عقل مصر، قلت: أمة ذاكراتها كالزير المثقوب. انظر إلى مصر، نسي الناس العاضد، نسوا الفاطميين الذين حكموهم ٢٢٠ سنة، أمة ذاكرتها كالزير المثقوب!

صمت

- السلطة تحتاج فيها أن تنسى قلبك مع عدوك، وأن يكون لك بصاصون حتى من النساء؛ لتعرف عن الرجال ما لا يعرف، لتحقر الرجل بالحقائق عن خاصيته؛ فيصبح مطيعا. وعليك بشرطة قوية للعقاب، وعليك بقضاء تجزيه العطاء.

صمت

- أنت أجرِ محاكمته أمام الناس؛ حتى تأخذ المهابة ويخافوك، واقتله بالقانون. أتحب أن أرسل لك قضاة من مصر؟ لدينا فيها الكثير فهم سلاحنا في الحكم.
- عندنا كثيرون متوفرون يطلبون الود.
- حسنا.. حسنا..
- إذاً نحاكمه في أكبر مساجد حلب.
- كما يرى أمير المؤمنين صلاح الدين؟

في تلك الليلة الشؤم، دخل الأمير الظاهر على الشيخ السهروردي، وهو يعلم أن للرجل مقامه. وتردد في أن يخبره بالأمر. نظر له السهروردي

- أعرف أن أهل حلب انقسموا حولي، بعضهم يرى أني كافر زنديق ومجنون فاسد العقيدة..
- الأمر قد تجاوز كل هذا.
- هات ماعندك هل أمر السلطان صلاح الدين بقتلي؟
- لا. مناظرة في مسجد حلب الكبير بينك وبين الفقهاء.
- ضحك السهروردي، هم الغالبون يا أمير؟
- لا أعتقد. أنت صاحب علم واسع.
- لا يغلب العلماء إلا الجهلاء وأشباه الفقهاء.
- ماذا تعتقد؟
- ستكون نهايتي مثل الحلاج، تذكر هذا.. الصلب.
- لا يا معلمي، أنت ستفوز، هم حفنة من الجهلاء يخاطبون عامة الناس الأجهل منهم.
- لم أتوقع أن تكون نهايتي هكذا.
- لقد طلبت من أمير المؤمنين صلاح الدين أن يلتقي بك؛ فرفض.
- أعرف هو لا يحب الفقهاء ورجال العلم؛ لكثرة كلامهم وقلة أفعالهم.

عرفت حلب كلها أن السهروردي سيعقد مناظرة مع العلماء؛ اكتظ المسجد بالعامة، وجلس السهروردي على دكة، وجلس العلماء والفقهاء أمامه على دكة أخرى، وجلس الأمير الظاهر بن صلاح الدين الأيوبي في كرسى في المنتصف، ثم بدأت المناظرة، صاح الظاهر:

- هذه مناظرة وليست محاكمة، وعلينا أن نتوخى الحذر والحوار الموضوعي. تفضلوا.

قام الفقيه الأول يتمايل يمينا ويسارا بمسبحة كبيرة..

- سنكون في منتهى الموضوعية يا مولاي، أنا لن أسألك إن كنت شيعيا أم لا؟ ولكني سأسألك من كتبك، مما كتبت.
- تفضل.
- في كتابك حكمة الإشراق كنت تحمل فكرا صوفيا إشراقيا، وقد تجلت فكرته الإشراقية إذ جمعت فيه آراء فلسفية كثيرة، وكان منهجك الصوفي لا يختلف عن منهج الصوفية العام، الذي يستمد أفكاره من فلسفات كثيرة شرقية وغربية. فبالإضافة إلى ما يحمله من عقيدة النور والظلمة المعروفة في الديانة المجوسية القائمة على أساس الاعتقاد بأن النور هو أصل الأشياء، ومبدأ الوجود، وأن الله هو نور الأنوار، وأن الظلمة ما هي إلا وجها معاكسا للنور، وكلما انحدر الوجود؛ اتجه نحو الظلمة، ومن واجب

الإنسان أن يترقي صعوداً ؛ حتى يفنى في المصدر النوراني. وهذه الأفكار هي أساس العقيدة الهندوسية والطاوية والمجوسية والبوذية المسماة بالفلسفات الشرقية، كما تأثر هذا الرجل بالفلسفة اليونانية الإشراقية وفلسفة فيثاغورس، وكانت جميعها مصدر عقيدته. فنظرية التقابل بين النور والظلمة التي ادعيتها، هي النظرية نفسها في عقيدة (الين واليانغ) في ديانة الصين القديمة. فاللون الأبيض في هذه العقيدة؛ يرمز إلى النورانية الروحانية، واللون الأسود؛ يرمز إلى المادي الظلماني، وفلسفته عبارة عن مزيج بين الأفكار الصوفية والأنظار الفلسفية.

- ربما هناك تشابه.
- إذاً اعترفت يا رجل.

قام الفقيه الثاني قائلا:

- فلسفة الإشراق التي اعتمدتها يا سهروردي كنظرية صحيحة؛ كانت أساس عقيدتك، ومصدر إلهامك، وإلهام طائفة من الصوفية معتبرين الاستبصار والمكاشفة طريقا لتلقي الوحي واستشفاف الغيب، وعلى أساس ذلك بنوا عقائد وهمية خارج الأطر الدينية الصحيحة سموها الروحانية الخيالية، صح وهذا خطأ.
- لكن..

قام الفقيه الثالث

- إن فلسفتك الإشراقية تعتبر إحدى النماذج الحية؛ التي يظهر فيها التداخل بين الفلسفة العقلانية (المشائية) وبين فلسفة التصوف وتشابكها بالفكر الإشراقي المتعدد الأوجه (الزرادشتي، الفيثاغوري، الأفلاطوني، والهرمسي والبوذي والهندوسي)

هنا قام الرابع:

- أنت يا سهروردي وبعض حكماء المسلمين قد ضللتم طريق الفضيلة، وزاغت أبصاركم عن أخلاق الحكماء الأوائل؛ بتعاطيهم الخمور، وإقبالهم على متاع الدنيا؛ حتى غرقوا في الريبة والفجور، وراحوا يطلبون المجد من طريق جمع المال وتملُّق السلطان.

قال الخامس:

- ورآك الناس خياميا يعاقر الخمر مثل عمر بن الخيام..
- أنا لم أعاقر الخمر.
- كل شعرك ينبئ عن هذا.. الكؤوس والخمر.
- قلت إن الله قادر على أن يبعث نبيا بعد محمد.
- نعم.

وعندما وجهت له هذه التهمة أثناء المحاكمة لم ينكرها جملة، بل حصر دفاعه في إثبات قدرة الله على فعل ذلك.

- إن الله قادر على أن يخلق نبيا؛ لأنه لا حدود لقدرته.

قال أحدهم:

- وقولك هذا يفضي بمعنى نهاية نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، وأنها ليست الخاتمة، والاعتقاد ببقاء أبواب النبوة مفتوحا بعد محمد؛ يعد بمثابة نهاية للإسلام برمته، لأن عقيدة المسلمين تقوم على أنه لا نبي بعد محمد.

ولتوهم صلاح الدين أن السهروردي يفتن ابنه بالكفر والخروج عن الدين. انتهت المناظرة وأصدر الفقهاء فتوى بأن السهروردى زنديق كافر (من بحث عبد الفتاح بن عمار عن السهروردي)

- ماذا حدث بعد ذلك يا خالتي، قتلوه؟ هل قتلوه؟

- اختلفت روايات الباحثين في قضية إعدام السهروردي والطريقة التي تمت بها، فقيل إنه قبل إعدامه خُيِّرَ في كيفية قتله؛ فاختار أن يموت جوعان فمنع عنه الطعام؛ حتى لفظ أنفاسه، وذكرت بعض الروايات الأخرى أنه قتل بضربة سيف، وذهبت بعض الروايات إلى أنه تم حرقه، وفي رواية أخرى قيل إنه خنق بوتر، ويقال بل حبسه بين حيطين؛ حتى مات كمدا، وذلك في سنة ست وثمانين وخمسمائة، ولكن لا توجد رواية صحيحة يمكن الاعتماد عليها تثبت كيفية قتله. وتضاربت الروايات كذلك عن المكان الذي أعدم فيه، أكان في حلب أم في مصر؟ غير أنهم اتفقوا على تاريخ الإعدام الذي كان سنة ١١٩١م.

....

....

المكان القصر الأيوبي

- الزمان ليلا.

صاحت زوجة صلاح الدين الثانية الخاتون عصمة الدين، من أبرز الشخصيات النسائية التي لعبت دوراً مهماً في مرحلة حرجة من تاريخ الأمة، وذلك أثناء الهجمة الصليبية الشرسة على العالم الإسلامي، حيث ساهمت بشكل غير مباشر..

وقفت أمام صلاح الدين هامسة:

- قتلت العلماء؟!
- علماء؟ أي علماء؟
- لست أنت؟
- القانون المحاكمة؟

كانت تعرف أن الناس قد ضجت من بحر الدم الذي قد نزف في مصر من صلاح الدين، وأن الناس تخافه، حتى هي وافقت على الزواج منه؛ خشية على أولادها أن يقتلهم أو يدمرهم، وهي تعلم أنه يريد أن يرتبط بها ليس من أجل جمالها فقط؛ ولكن من أجل أن يضمن أسرتها أن تمنحه الوصول.

نظرت له وقالت:

- لماذا لم تعفُ عنه؟

- القانون يا خاتون..

وورد في السيرة الزِّنكية لمؤلفه د. علي محمد الصَّلاَّبي أنّ عصمة الدين؛ ظلّت في قلعة أبيها في دمشق حتى وقع عدد من التغيُّرات في الخريطة السياسية للعالم الإسلامي، كان لها أثرها الكبير على حياتها، أبرزها محاولات البطل نور الدين زنكي الذي انتهج مع الإمارات الإسلامية سياسة التآلف والتناصح؛ فتحوّل الصراع بين دمشق وآل زنكي إلى محاولات للوحدة والتقريب، وتردّدت المراسلات بين نور الدين ومعين الدين أُنُر حاكم دمشق، واستقرّت الحال بينهما على أجمل صفة، ولتأكيد هذه العلاقة خطب نور الدين من «معين الدين أُنُر» ابنته عصمة الدين؛ ووافق الأخير، وكتب كتاب العقد في دمشق بمحضر من رسل نور الدين في شهر شوال، وما إن تّم إعداد الجهاز؛ حتى قفل الوفد عائداً وبصحبته ابنة معين الدين.

- نِعْم الزوجة

- لم يكن التحالف مع معين الدين أُنُر هو الغرض الوحيد من التقدّم للزواج من عصمة الدين، وإنما السمعة الطيبة التي كانت تحظى بها، إذ قال عنها المؤرخون ومنهم ابن كثير في «البداية والنهاية»: «كانت من أحسن النساء وأعفّهنّ وأكثرهنّ خدمة، متمِكّة من الدين بالُعوة الوثقى»، هذه السيرة دفعت صلاح الدين بعد وفاة نور الدين؛ ليتقدم لخِطبتها ويعقد عليها، فكانت له

نِعْم الزوجة. قال أبو شامة المقدسي صاحب كتاب «الروضتين في أخبار النورية والصلاحية»: «وفي آخر صَفَر تزّوج السلطان بالخاتون المنعوتة عصمة الدين بنت الأمير معين أُنر، وكانت في عصمة نور الدين رحمه الله تعالى، فلما توفي؛ أقامت في منزلها بقلعة دمشق، رفيعة القدر، مستقلة بأمرها، كثيرة الصدقات والأعمال الصالحات. فأراد السلطان حفظ حرمتها، وصيانتها وعصمتها؛ فأحضر «شرف الدين بن أبي عصرون» وعُوله، وزوّجه إياها بحضرتهم أخوها لأبيها الأمير سعد الدّين مسعود بن أُنر بإذنها، ودخل بها وبات عندها، وقرن بسعده سعدها». كما ذكر ابن كثير في تاريخه «محبة صلاح الدين لها، وأنه كان يكتب لها أثناء مرضه في حران كل يوم كتاباً طويلاً».

- كما تميزت الخاتون عصمة الدين برجاحة العقل، اكتسبتها أثناء نشأتها في بيت والدها حيث اطّلعت على أوضاع أمتها، وأدركت حجم المخاطر التي تتعرض لها وتفاعلت معها، مما انعكس على حياتها الزوجية مع نور الدين زنكي الذي كان كثيراً ما يأخذ برأيها.. ومن القصص الطريفة التي تروى أن نور الدين شبهها ذات مرة بالقاضي الفاضل؛ لرجاحة عقلها وسداد رأيها - وكان قاضياً حكيماً ووزيراً من الوزراء - فابتسمت الخاتون عصمة

الدين وقالت لزوجها: «ولكني أجمل منه». كما ذكر الإمام الذهبي: «أن صلاح الدين كان يَصْدُر عن رأيها».

- أثمر زواج الخاتون عصمة الدين من نور الدين زنكي عن ابنة وولدين، هما أحمد الذي توفي طفلاً والصالح إسماعيل الذي توفي عنه أبوه وهو بعد غلام؛ فاهتمت أمه عصمة الدين بتربيته ولم تفسده بتدليلها، كونه ابنها الوحيد، بل عملت على تأهيله للقيام بالأعباء العِظام التي تنتظره.
- فَمَلَك الشام والجزيرة بعد وفاة أبيه سنة ٥٦٩ هـ، وكان عمره إحدى عشرة سنة، وتلقّب بالملك الصالح. اشتُهر بتقواه وورعه، ذكر المؤرخ ابن الأثير في كتابه «الكامل في التاريخ» أنه رفض الأخذ برأي الأطباء في شرب شيء من الخمر للتداوي عندما ألّحت عليه علة «القولنج» - التي أودت بحياته - فقال: "لا أفعل حتى أستفتي الفقهاء. فاستفتى، فأفتاه فقيه من مدّرِسي الحنفية بجواز ذلك، فقال له: أرأيت إن قدر الله تعالى بقرب الأجل أيؤخره شرب الخمر؟ فقال له الفقيه: لا، فقال: والله لا لقيت الله سبحانه وقد استعملتُ ما حّرمه علّي؛ ولم يشربها" فُتوفي رحمه الله ولم يبلغ العشرين من العمر.
- كانت الخاتون عصمة الدين تُكثر من تدارس القرآن وقيام الليل وتجتهد في الطاعة; ذكر ابن كثير في تاريخه أنها نامت ليلة عن

وِرْدها فأصبحت وهي غَضْبى، فسألها نور الدين عن أمرها، فذكرت نومها الذي فوّت عليها وِرْدها، فأمر نور الدين عند ذلك بضرب الطبول في القلعة وقت السَّحَر؛ لتوقظ النائمين حينذاك للقيام، ومنح الضاربين أجراً جزيلاً . كما كانت الخاتون عصمة الدين نموذجاً للمرأة الصابرة؛ ذكر الدكتور ياسر نصر في كتابه «فجر أمة» أنها ظلت وزوجها نور الدين صابرين على قضاء الله وقدره لمدة عشرين عاماً، ولكن صلاح الدين كان يكره نور الدين محمود زنكى ويخافه.

- ففى ذات مرة جلس مع قادة الجيش وكان نور الدين محمود زنكى قد طلبه للذهاب للحرب ضد الصليبيين فصاح صلاح الدين:
- مصر تحتاجني وأنا لا يمكن أن أترك الأمور، هو أعمى.. وأحمق متصلب الرأى؛ فقام أبوه أيوب وصفعه على وجهه أمام القادة، وقال له: "هل جننت أن تسب سيدنا وقائدنا؟!" وبعد أن فض الاجتماع قال أبوه:
- هل جننت؟ سينقلون كلامك له، وقد يعزلك عن الجيش ويأخذهم وتظل بلا جنود!
- إنهم جنودي يحبونني.
- يا بنى، إذا واجهته بجيش؛ سيذهبون إليه ويقبلون التراب تحت قدميه فالولاء له.

- كيف معقول؟!

- ألم يذهب معاوية بفرقة جيش لقتال علي بقيادة عمرو بن العاص؛ فذهب الجند إلى علي بن أبى طالب، ورفع علي السيف؛ ليقتل عمرو بن العاص، ففكر عمرو؛ وخلع سرواله أمام علي وأراه عورته؟ وكان علي حيي؛ فأحرج، فتركه؟ لا أريد أن أراك تخلع سروالك أمامه ويتركك.

صمت صلاح الدين وفي اليوم التالي اجتمع بالقادة وعدد كبير من العسكر، وأخذ يمدح في نور الدين محمود زنكى بقصائد مدح وأبوه يجلس بجواره.

- وفكر صلاح الدين أن يتزوج أرملة نور الدين؛ حتى يخلع سرواله أمامها. وتحت صورة نور الدين وعلى سريره فقد علم أنه قبل وفاته بيوم كان يعد العدة؛ ليأتى إلى مصر ويخلعه، ويعين قائدا جديدا بدلا منه، وحتى يتقرب من الأمراء بزواجه منها.

- كان نور الدين من مجدّ ِدي حركة الجهاد في الأمة في القرن السادس الهجري، ومحاولة إصلاح المجتمع والنهوض به، وفي سبيل ذلك؛ أوقفت أموالاً طائلة على أعمال الخير وتعليم الأمة وتربيتها، ويقول عنها عبد القادر بن محمد النُّعيمي الدمشقي في كتابه «الدارس في تاريخ المدارس»: «هي من أعف النساء وأعصمهن وأَجَلهن في الصيانة وأحزمهنّ، متمسكة من الدين

بالعروة الوثقى، ولها أمر نافذ ومعروف وصدقات ورواتب للفقهاء، وذلك سوى وقوفها على معتقيها وعوارفها وأقاربها».

- وُصِفَت الخاتون عصمة الدين بأنها فقهية في المذهب الحنفي، ولشدة اعتنائها بهذا المذهب؛ بنَت المدرسة الخاتونية سنة ٥٧٣ هـ على مذهب الإمام أبي حنيفة بدمشق بمحلّة كانت تُعرف بحجر الذهب، وقد اهتمت بها؛ وتكفلت بتمويلها مادياً عن طريق الوقف، وتسخير إيراداته للمدرِّسين والطلبة، ولقد توالى على التدريس في هذه المدرسة مجموعة من أكابر علماء الفقه الحنفي.
- هكذا كان بيت عصمة الدين بيت قيادة، أسرة يتوق أفرادها لتحرير بيت المقدس، ويحملون بين جَنَباتهم هَمّ الإسلام ونُصرته... كم نحن بأمسِّ الحاجة إلى الاسترشاد بهذه النماذج، وإسقاطها على واقعنا روحانياً وفكرياً وتربوياً
- خاتون: تعني السيدة، ولا تطلق إلا على النساء العفيفات الشريفات ذوات الأصل والحَسَب والنَّسب، وهو لقب كان يطلق على زوجات وقريبات الملوك الأتراك، وقد استعمله السلاجقة وملوك خوارزم.
- وكانت خاتون عصمة الدين تعلم أن العلاقة بين صلاح الدين وزوجها على فتور أصلاً بسبب قتله الحشاشين والإسماعليين

والشيعة، وكل من تمسح بأهل البيت من المريدين منذ أن تولّى صلاح الدين الحكم في مصر...... ثم شفع فيهم خاله شهاب الدين محمود بن يكش، فقبل شفاعته فصالح صلاح الدين الشيعة بعد قتلهم وصالح الحشاشين، وكان يعرف صلاح الدين.. وأن القتل والقتال هما الطريقة الوحيدة المتاحة لتحقيق ذلك؛ لهذا سفك الدماء. لقد تغاضى عن نذره بأن يدخل القدس بالسيف، ولم ينتقم لسكان القدس الذين أبادهم الفرنجة عندما احتلوها. ترك الفرنجة يغادرون المدن المفتتحة بما يملكون، بل كان يوصلهم لمأمنهم ويساعد الضعفاء منهم. من يصدق؟ بل بالاتفاقية ومعاهدة..

....

....

كان ياما كان.. بنت اسمها هوى

من هي هوى؟

- بنت البصرة، قليلة الحظ، قليلة الحيلة، ألقت بها المقادير، ها هنا يستقر الأمر في مصر، تباع في سوق النخاسة والجواري، ها هو العالم الهمجي؛ يفرض على البشر العبودية. البصرة مدينة العلم القديمة، والحكمة الرزينة، تخلع ثوب الأمان، تسرق وتخطف الفتيات الجميلات منها؛ وتباع في السوق. وفي كل يوم تستيقظ

هوى؛ لتقاوم اغتصاب رجل لها، سواء كان مسؤولا أو حارسا أو جنديا أو خادما أو أميرا، تلك هي حياة النساء، مقاومة التحرش والاغتصاب والانتهاك. لكنها لا تنسى أبدا ليلة أن انتقم منها شاور لهروبها الدائم منه، وتبرير وتحوير الحوار؛ فقام بتكليف مجموعة من الزعران، هم الفرقة الخاصة في جيشه؛ بخطفها ليلا من القصر، وتم اغتصابها من رجل مقنع وهي مقيدة اليدين والقدمين. وقال لها شاور وهي تنزف:

- الذي لا يحترم شاور ياما يشوف.

أخذت تبكي..

وبعدها بأيام قُتل شاور.. نعم قتل...

وتذكرت الماضي وكيف عندما طلبت منها أمها أن تذهب لحمل جرة ماء؛ راحت لتقابل حبيبها بالقرب من نهر شط العرب، كان اسمه فادي وقال لها:

- تعالي نتمشى شوي.
- حاضر.

وبالقرب من شط العرب كانت تقف المركب التي بها القراصنة؛ فهجموا على فادي وهوى، أمسكوا بها وكمموها، كتفوه وضربوه، ثم جروا إلى البحر حيث السفينة التي تقل الأسرى العبيد، وقام آخر رجل يتجه للمركب بإلقاء صرة مال لفادي الذي يصرخ من الألم، وهي

تتجه بعيدا، شاهدت فادي ينهض من على الأرض وهو يمسك صرة المال ويفتحها.

وظل السؤال، هل باعها فادى؟ هل اتفق مع القراصنة؟ ماذا قال لأمها وأبيها عما جرى وما كان..؟

فادي ذهب إلى أبيها باكيا وادعى أنها خطفت أمامه، وأنه حاول أن يحميها، وبكى وصار حديث بنات البصرة، لكن عجائز البصرة من الرجال لم يقتنعوا بكلامه، ولم يصدقوه، وظل يظن أنه سوف يغتنم فرصة ويعرف نساء جميلات، لكن الأمور لم تكن كما يهوى؛ فقد خافت منه الفتيات الجميلات. خفن أن يقتربن منه، أصبح رمزاً للشؤم. تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن آه يا ويلي..

هوى تكره الرجال كلهم، لكنها مثل كل البنات؛ تحلم بحب لم يحدث في الخيال. بفارس شجاع يحملها على حصان أو ناقة فارهة، ويطوف بها حول العالم أو المدينة أو الحي..

دخلت الحجرة لامار

- أين أنت؟
- هنا.
- الدنيا بتخرب.. يمسكون الجواري وجواري تهرب
- أعرف.
- تعرفين؟ لا بد أن نهرب أو نفكر في حل.
- أين نهرب وعيون قراقوش في كل مكان؟
- أي مكان.

- المطبخ.
- المطبخ!

فكرت يا هوى أنا وأنت نذهب إلى المطبخ مع الخادمات، ونرتدي ملابسهن، ونقبل أيدي الست عدلات رئيسة الطباخات. لو خرجنا وهربنا؛ سنباع ونتسول! دعينا نكون هنا في المطبخ مع الخدم أفضل لنا.

- والله فكرة جيدةن وسننام مع الخدم.
- أفضل من أن ننام في بيوت الدعارة، ونختطف بين أيدي غرباء.

....

....

مصباح يختطف السارية

ضوء المكان أو مصباح يرى أن كل شيء في القاهرة مباح ومستباح، معقول وغير معقول، غريب وعجيب، موجود ومفقود، هي القاهرة التي لا تهدأ ولا تنام. كان مصباح أو ضوء المكان كما سموه بلا شهادة ميلاد؛ يسير كل ليلة بحثا في بقايا الليل عن أنثى غاضبة من زوجها. رجل سكير، لص دجاج، تاجر يذهب إلى بيت دعارة في الليل. ضوء المكان؛ كاشف أسرار الليل وأحداث القاهرة. ففي كل ليلة حكاية، ولكل حكاية بداية ونهاية، أو بداية بلا نهاية، أو نهاية بلا بداية، وهكذا الدنيا. وهكذا القاهرة، من يعيش فيها هو في ورطة؛ فلا يستطيع أن يكرهها أحد، ولا ينفك من سحر التنوع البشري والحياتي. وبينما هو يسير بجوار القصر؛ وجد امرأة تسير وتغطي وجهها بطرحة سوداء رقيقة، لكن عطرها كان ملفتا؛ اتجه نحوها وحاول إيقافها بطريقته... هرش في رأسه هامسا وهو يسير خلفها:

- بس. بس. بس بس.

لم ترد

- يا بنت ردي علي. أنت يا بنت.

لم ترد

حاول أن يمسك يدها؛ دفعته بعيدا..

- أنت جُننت؟

- من أنتِ؟

- العب بعيد يا ولد..

- ألعب في أي مكان. وأنا أريد أن العب معك.. عروسة وعريس؟

- من أنت يا هلفوت يا صعلوك؟

- ما عندي فلوس ولا ذهب.

- أريدك أنتِ.

- أنت جنيت؟

- لا..

- شوف بنت صايعة وضايعة زيك.. تقول لها هذا الكلام.

- أنت؟

- اخرس يا صايع.

صفعها على وجهها.

- لمي نفسك.

- أنت بتضربني؟!

- وأقطع لسانك كمان..

أمسكها وجذبها من يدها وهي تقاوم، ودخل بها إلى خرابة بها كشك حقير به مصباح زيت ضعيف؛ دفع الباب وأخرج ساكنه رجلاً عجوزاً.

قال له آمراً:

- عم حنفي.. أنا والست بتاعتي متخانقين، عن إذنك شوية، وروح أنت عند ابنك الليلة دي نام.
- حاضر.. استغفر الله.. استغفر الله.

قالها الرجل العجوز ومضى، أغلق ضوء المكان الباب عليها وعليه، خلع قميصه، وهي ترتجف، وخلع ملابسها وشدّها إليه وهي تصرخ، أطفأ لمبة الزيت وهى تتأوه وتصرخ. بعد أن هاج وماج وصعد وهبط وأدهشها واندهشت؛ جلس بجوارها يبكي.

نظرت له في دهشة. يبكى بحرقة وهي صامتة.

- ما بك يارجل؟

- أنا نذل وجبان ومجرم، سامحينى أنا حيوان وغير آدمي لا أعرف لماذا أفعل هذا؟
- اسمك إيه يا ولد؟

نظر إليها بخبث وهو يمسح دموعه

- سامحينى عندما أرى امرأة جميلة؛ يركبنى شيطان اسمه عفران، أهجم عليها، وأخطفها ولازم أنام معاها. سامحينى..
- سامحتك اسكت.. اسمك إيه؟
- اسمي مصباح، أبى يناديني مصباح، وأمي تناديني ضوء المكان.
- أنت عجبتني يا ولد.

- أنت لو عوزتي أي حاجة؛ تعالي وأسالي عني؟ أنت متجوزة مين؟
- غير متزوجة.
- مطلقة؟
- لا.
- أبوكِ مات وأمكِ مشلولة وأنت بتصرفي عليهم؟
- أنا جارية الخليفة العاضد؟
- يا خرابي..
- اسمع.. دعني وسأحضر لك حين احتاجك.
- وعد؟
- وعد.
- وما الضمان أنكِ ستأتين لي مرة أخرى؟
- لأنك عجبتني قلت لك يا هجمى.. بس استحمى.
- أنا لا استحم غير مرتين في السنة.
- ههههههههههه.

....

....

- ماذا جرى لهوى ولامار؟
- السلطان صلاح الدين تم تعيينه وزيراً على مصر بعد أن توفي أسد الدين شيركو، في ٢٦ مارس عام ١١٦٩م / ٢٥ جمادي

الآخر ٥٦٤ هجرية، وكان عمر صلاح الدين وقتها لا يزيد عن اثنين و ثلاثين عاماً .

من الآن فصاعداً ؛ انتقل مركز القوى للعالم الإسلامي إلى مصر، استمر فيها إلي أن هزم العثمانيون الأتراك سلاطين المماليك؛ نقلوا هذا المركز إلى اسطنبول بعد ٣٥٠ سنة.

أرسل نور الدين محمود زنكي إلى صلاح الدين؛ يأمره أن يقوم بتحويل البلاد إلى المذهب السنين والدعاء للخليفة العباسي في خطبة الجمعة بدلاً من الخليفة الفاطمي، لكن صلاح الدين استمهله حتى يتوفى الخليفة العاضد المحتضر؛ لكن نور الدين رفض التأجيل وخشي أن يكون صلاح الدين يماطل؛ فهدده أنه سوف يسير إليه بحملة، وأرسل إماما سنياً من الموصل إلى مصر في ١٠ سبتمبر ١١٧١ م؛ فاعتلى المنبر في مسجد القاهرة ودعى للخليفة العباسي بدلاً من الخليفة الفاطمي. قام صلاح الدين قبل الانقلاب بعدة خطوات، فقد كان يؤمن بأن الشيعة كفار، وهو لم يكن متعمقا في الدين، ولكن السنة أغلبهم؛ ينظرون للأمر هكذا، وكذلك الشيعة. هكذا المسلمون لم يحسموا الأمر ولكن.. ماذا فعل صلاح الدين قبل الانقلاب؟

سرح الدعاة للمذهب الفاطمي، ولم يصرف مرتباتهم، وألغى مجالس الدعوة، أزال مظاهر المذهب الشيعي في العبادة مثل الأذان بحي على

خير العمل، وألغى صلاة الضحى، وألغى كلمة علي ولى الله من على صك النقود.

منع صلاة الجمعة في الجامع الأزهر وجامع الحاكم، أمر بالخطب والدعاء لنور الدين في الجوامع، ضرب العملة باسم الخليفة المستضيء وبأسم نور الدين محمود زنكى على الوجهين، وألغى تدريس المذهب الشيعي.

جعل همه في دعم مذهبي الشافعي ومالك، وجعل لهما مدارس في أحياء مصر.

(المرجع دكتور شاكر مصطفى صلاح الدين الأيوبي ص ٩٢)

أسبوع الانقلاب على العاضد بعد صلاة المغرب

استدعى صلاح الدين الأيوبي مؤتمن الخلافة؛ فأخبر مؤتمن الخليفة العاضد فقال له "لا تذهب له، سيقتلك كما فعل مع شاور، ولا تخرج من القصر". لكن المؤتمن قام في منتصف الليل بالخروج إلى قرية قريبة من القصر، فأخبر الجواسيس صلاح الدين الأيوبي فأرسل له أناساً قتلوه، وأتوه برأسه، وجعل زمام القصر بيد قراقوش المؤتمن على القصر، كان جيش مصر أغلبه من النوبيين والسودانيين وقلة من البربر في شمال إفريقيا وأرمن وشاميين، وكانت أربع قوى في مصر من الجيش المنصورية والريحانية والميمونية والحسينية، وكانوا خمسين ألفا، وساروا إليه في دار الوزارة؛ لقتله، فبادر أخوه شمس

الدين فخر الدين بإطلاق المجانق، وأمر الفاطميين بحرقهم بالمواد الملتهبة وإلقائها عليهم، وحتى على شرفات القصر الفاطمى والعاضد به (المرجع ابن الاثير ج١١ ص٣٤٦ وأبى شامة ج ٢ ص ٤٥١ - ٤٥٢).

قال العاضد لا بد من ضحية، فقال أحد مساعديه السودانيين هم يقاتلون صلاح الدين دفاعا عنا، فقال له أطردهم إلى بلادهم. وحرق صلاح الدين الأيوبي السودانيين في حارتهم والحي الذي يسكنون به؛ بسبب إخلاصهم لمصر وللعاضد بالله.

سيحرقني هذا المجنون صلاح الدين فقال له اطردهم يا صلاح الدين؛ فطردهم صلاح الدين بل وحارب السودان في بلادهم... وأمر بهاء الدين قراقوش بحبس الخليفة في غرفته وعدم الخروج منها، وسألوه ماذا تريد أن تشرب وأن تأكل فقط، ولا يخرج للعامة أو أي شخص كان. فهم العاضد أنه انقلاب عليه، وأن صلاح الدين الأيوبي قد خانه. أمر صلاح الدين الأيوبي فرقته من الجيش المرتزقة بمحاصرة مساجد الفاطميين الشيعة الاسماعيلية أثناء صلاة العشاء، وإغلاق الأبواب عليهم وإضرام النار في المصلين والشيوخ. كان التفكير والقرار فاجرا وقاسيا. ودائما قادة العسكر يناديهم، همس "لهم السلاح بالشر". قام جيش صلاح الدين الأيوبي بمحاصرة كل الحسينيات والمساجد والجمعيات الاسماعيلية وأحرقوا الناس وهي تصلي وجرى الأهالى إلى المساجد؛ لإنقاذ المحترقين، لكن العساكر منعوهم. العسكر آه يا مصر آه يا قاهرة. وحرق ١٦ ألف مسلم

شيعي مصري في المساجد، وفي القصر الفاطمي قصر العاضد، تم قتل وتشريد ومحاصرة ثمانية عشر ألفا. (المرجع المقريزى الخطط ج ٢ ص ٣٩٦) وهم موظفون من كل لون ودين وجنس، وعمال القصر من العبيد الصقالبة البيض، والسودان السود، والخصيان وغير الخصيان وهم الأستاذون (جمع أستاذ وهي كلمة فارسية تعني الأسطى الماهر) ويشرف عليهم الأساتذة المحنكون (أي الذين يلفون العمم حول وجوههم من تحت الحنك) وهم الخاصة، وهو يلقب بالأمير وكان بعض الوزراء والخلفاء في داخل القصر يقيمون (المرجع بن الأثير ج١١ ص ٣٤٥ و٣٦٤ والمقريزى ح٢ ص ١-٢). أشعل فيك شاور النار ١٤ يوما؛ بسبب أن أحد الرعاع سبه أثناء مروره في السوق، ومات الآلاف، ثم أشعل شاور في بيوت الأثرياء والفقراء في مدينة الفسطاط النار، ومات المئات، وكان الحريق هذه المرة؛ كى يمنع دخول الصليبين إلى القاهرة العاصمة الجيدة، فحرق العاصمة القديمة وأهلها. لكن صلاح الدين الأيوبي أحرق في تلك الليلة ستة عشر ألف مصريا شيعيا؛ بحجة أنه يحارب الإرهاب الشيعى، وأنه يحافظ على الإسلام والمسلمين. آه يا مصر يا وجع القلب المحموم والمهموم، آه يا صراخ النسوة والأطفال خارج المساجد... آه من هذا المشهد المريع. شاور الشيعي يحرق مصر مرتين وها هو صلاح الدين السني يحرقها بفظاعة تفوق الخيال؛ صار المشهد مرعبا، بكاء وعويل، وأعلام ترفع للخليفة العباسى، وأعلام الدولة الفاطمية تحرق، وفئران تحرق مع البشر، ورائحة اللحم المشوي. وكان شاور يستمتع

بالمشهد، شاور يصيح الله أكبر. السودانيون كانوا جزءا كبيرا من جيش مصر في عهد رمسيس الثاني، وظل الأمر حتى في عهد الفاطميين، ففي عهد العاضد بالله آخر ملوك الفاطميين ولولائهم وإخلاصهم، قاموا بالهجوم على صلاح الدين الأيوبي وفرقته؛ فخاف منهم، فحرق شرفة قصر العاضد؛ فخاف العاضد من جنون شمس الدين أخو صلاح الدين يحرق القصر بالنفط؛ فقال له صلاح الدين:

أصدر أمرا بأن السودانيين ليسوا من جيش مصر ويتم طردهم وأنهم غير مصريين.

ولأن شعب مصر يصدقون الفرعون ظالماً أو مظلوماً فقال العاضد للسودانيين أخرجوا من بلادنا يا كلاب؛ فخرج السودانيون.

فقتلتهم فرقة صلاح الدين، أما الشعب ضربهم على قفاهم وأهانهم بقسوة؛ من أجل فتوى الخليفة. كانوا حوالي عشرين ألفاً، قبلها بساعات كان السودانيون يحاربون من أجل الحفاظ على مصر من مؤامرة صلاح الدين. اقرأ المقريزى الخطط ج ٣ ص٣ وابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٥٥ وأُنر أبو شامة في الروضتبن ج١ ص ١٧٨ عذرا لشعب السودان العظيم ضحيتنا.

جرت الجواري من القصور والبيوت. كانت ليلتها لامار تزور جارية صديقتها تحررت اسمها أسمهان، وقد تزوجت من تاجر معروف، وخرجت من البيت مسرعة متجهة إلى القصر، فقابلها ضوء المكان الذي كان يتسكع في شوارع وحارات مصر، صاح

- قفى عندك يا بنت.
- بنت في عينيك.

أسرعت الخطى إلى الطريق خائفة مرتعدة

- قلت لك قفى يا بنت .

وقفت وهي ترتجف.. نظر لها مندهشا

- سبحان من خلق وصور.
- ايه ايه؟
- ما هذا الجمال. يا بنت شو الجمال هذا؟

تتركه وتمشي

- لن تمشي.
- أمسكها وجذبها من يدها وهى تقاوم ودخل بها إلى خرابة بها كشك حقير به مصباح زيت ضعيف.. دفع الباب وأخرج ساكنه رجل عجوز

قال له آمرا:

- عم حنفى أنا والست بتاعتى متخانقين عن إذنك شوية وروح أنت عند ابنك الليلة دى نام
- حاضر.. استغفر الله استغفر الله

قالها الرجل العجوز ومضى أغلق ضوء المكان الباب عليها وعليه خلع قميصه وهى ترتجف وخلع ملابسه وشدها إليه وهى تصرخ

- يا مجنون

وهى تتأوه وتصرخ.. لكنه قد هاج وماج وصعد وهبط وهى تصرخ

جلس بجوارها يبكى

نظرت له في دهشة يبكى بحرقة وهى صامتة تبكى

- أنا نذل وجبان ومجرم سامحينى أنا حيوان وغير آدمى لا أعرف لماذا أفعل هذا؟

نظر إليها بخبث وهو يمسح دموعه

- سامحينى عندما أرى امرأة جميلة يركبني شيطان اسمه عفران؛ أهجم عليها وأخطفها ولازم أنام معاها. سامحينى، لم أعرف أنك عذراء إلا الآن.

- لن يسامحك الله.

شعر بالحزن لأول مرة في حياته؛ حين رأى دم بكارتها..

- تتزوجيني يا بنت..

- اخرس لو أنت آخر رجل في العالم؛ لن أفعل.
- اسمي مصباح، أبي يناديني مصباح، وأمي تناديني ضوء المكان. أنت اسمك إيه؟
- اخرس.. عاوزة أمشي. سيبني أمشي.
- لا حاتجوزك الآن.
- لا.

جذبها من يدها وسار بها وهي تجهش بالبكاء إلى بيت عثمان، ودخل عليه الدار.

نظر عثمان له وإلى لامار

- أنت عرفت بيتي ازاي؟
- أنت لو استخبيت تحت الأرض حاعرف.
- خير يا مصباح؟
- عاوز اتجوز البنت دي.

نظر لها وهي غارقة في البكاء

- أنت بنت مين؟
- أبوبكر.

وكأن الاسم لصق في رأسه؟

- من أي بلد؟ من نجران اليمن؟ وباعوني للخليفة العاضد.
- أنت جارية العاضد؟
- نعم.
- ما اسمك؟

- لامار.
- انتظري هنا.

جذب عثمان ضوء المكان أو مصباح من يده، وانتحى به جانبا:

- اسمع يا ولد أنت وقعت في مشكلة.
- أي مشكلة؟
- صلاح الدين ترك أمر الجواري لقراقوش وإذا عرف....
- عرف ماذا؟
- شكلك اغتصبت البنت.
- أصلها حلوة وأنا تلميذك.
- شوف، سيبها عندي كام يوم وأنا ارجعها القصر من باب الخدم، لا من شاف ولا من دري.
- ها ها ها العب غيرها يا عثمان، لو تركتها هنا؛ سوف تغتصبها وتهريها يا قاتل النساء.
- اخرس.
- والحل؟
- نرجعها أنا وأنت للقصر الآن.
- طيب.

عادا إلى لامار، نظر لها عثمان:

- أنت لا تريدين الزواج من مصباح؟
- لا.
- ما الحل إذا ماذا ترغبين؟

- أروح للقصر.
- موافق بشرط؟
- ماذا؟
- لا تخبري أحدا بما جرى. وعد؟
- وعد.
- لا تخبري قراقوش.
- حاضر.
- إذا هيا بنا، اغسلى وجهك ببعض الماء، وتعالي نوصلك للقصر.
- حاضر.

وبالفعل ذهبا بها بالقرب من القصر ليلا، ودخلت القصر جريا، وذهبت إلى غرفة هوى التي تقابلها وتحتضنها بلهفة.

....

....

الزمان/ ليلا

المكان/ شوارع القاهرة.

درجة الحرارة ٣٠

يسير عثمان ومعه ضوء المكان نظر له عثمان:

- حرام عليك.
- إلا أنت، أي حد يقول حرام إلا أنت!

- وتريد أن تتزوجها؟
- البنت حلوة قوي
- اخرس.

....

....

المكان/ شرفة قصر العاضد

الزمان/ ليلا.

كان النساء والأطفال يصرخون ويجرون وسط الدخان، وآشعة نيران تحرق القاهرة تعانق السماء والمكان و الزمان. من أين أتت هذه النار؟ أم هي وجع النيل والتراب! صاح صلاح الدين تطهري يا مصر. كان صلاح الدين الأيوبي يجلس على كرسي الخليفة، في شرفة القصر يرى النار من بعيد في ليل القاهرة الحزين. مضت ساعتان أو ثلاث أو أربع وأكثر وهو يلعب في مسبحته متوترا، ويلعب في ذقنه متوجسا، ولا يسمع عويل الأرامل وبكاء الأطفال.. ثم هب واقفا.. صائحا:

- يخرج الآن شيوخ الأزهر يطوفون في الشوارع يقولون جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا.

جرى أحد مساعديه إلى الخارج؛ لينفذ الأم، ثم التفت إلى صوت أقدام قراقوش..

- اقبض على كل أمراء الفاطميين.
- قبضت عليهم.

- اقتحموا قصورهم جميعا، واجمعوا كل النساء وبيعوهم في أسواق العبيد؛ حتى يتفرقوا ولا يتجمعوا أبدا.

ضحك

حرق شاور الشيعي المصريين ١٤ يوما وعاقبهم بالحرق، ومات آلاف، وحرق صلاح الدين الأيوبي المصريين، حرق في ليلة ١٦ ألف وعاقبهم بالحرق. كأن المصريين شعب قدره أن خلقه الله للحرق. دخل صلاح الدين غرفة نوم العاضد وجد طبلا كبيرا؛ فسخر منها وقال الخليفة الغبي" كان يلعب على طبلة هكذا" وضرب بالعصا على الطبلة فخرج غازات من بطنه (زرط) بقوة فأمسك السيف ومزق الطبلة. فدخلت وطفا جارية العاضد صارخة من كسر الطبل.

قال صلاح الدين:

- طبل للعب..

قالت:

- طبل لعلاج الغازات في البطن، صنعت في الهند للقولون المتعب.
- لم أفهم!
- هي للعلاج من المغص.
- هذا هرج ومرج. الدولة لا تحتاج إلى طبل ومزمار.

بعد ذلك أمر صلاح الدين بالدعاء للخليفة العباسي في خطبة الجمعة، و أخفى الخليفة الفاطمي العاضد المخطوف في حجرته في

القصر، وحيدا في حجرة منعزلا بلا علاج ولا رعاية. فقد هرب من هرب حتى الأطباء؛ خوفا من القتل، والجوارى هربن أيضا؛ خوفا من البيع أو الاضطهاد. قال صلاح الدين الأيوبي كلمته الشهيرة في التاريخ "دعوه يموت في سلام"

وقتل العاضد في ١٠ محرم عام ٥٦٧ هج. / ١١٧١ م وهو الخليفة الفاطمي الرابع عشر وآخر الخلفاء الفاطميين، وانتهت بموته الخلافة الفاطمية في مصر، التي استمرت حوالي ٢٠٠ عاماً. توفى العاضد في ليلة عاشوراء ليلة مقتل الحسين وليلة خروج موسى من مصر مع جيشه وموت فرعون غرقا. وفي الجنازة خرج صلاح الدين وتقبل العزاء؛ لأنه راعي مشاعر الناس. وقال الخبثاء مثلا: " يقتل القتيل ويمشى فى جنازته"

ذهب صلاح الدين إلى قصر الهودج ووجد القصر يتمايل يمينا ويسارا أماما وخلفا كالهودج؛ صاح صلاح الدين :

- ما هذا الذي يحدث؟! القصر يتحرك!
- نعم كالهودج.

نظر صلاح الدين إلى قراقوش:

- طبل ثم قصر يتحرك كالدمية! كيف ينامون؟
- يا مولاي.
- كم تكلف هذا؟
- يقولون أعجوبة الدنيا.

- أموال المسلمين.
- نعم يا مولاي.
- كم قصر لديهم هؤلاء الفاطميين؟
- كثير من القصور.
- ابدأ بهدم هذا القصر بعد تفريغه من التحف.
- أمر مولاي.
- أما الأهرامات الكثيرة؛ اهدم بعضها وابنِ قلعة كبيرة.

ضحك قراقوش وبالفعل هدم ٣٦ هرما في الجيزة؛ لتبنى القلعة والجسور لها..

وأيضا تم هدم أجمل قصر في مصر، كان في منطقة الروضة بأمر صلاح الدين وكان مقاما على ماء النيل.. وهو ما لم يتكرر حتى الآن.

....

....

المكان/ المطبخ قصر العاضد.

الزمان/ ليلا.

تجلس هوى تحتضن لامار.. وهي تبكي. قالت هوى:

- يا بنت اسكتي وجعتى قلبي!
- آه يا أبي أنت فين؟
- سيبي أبوكي في حاله. انسي يا بنت أبوكي.

- انسى إيه؟ دا شرفي وازاي انسى أبويا وأمي وأهلي؟!
- اوعي تفتكري إن الشرف دا بس يا بنت.
- ماذا تقولي؟
- إحنا مش حنسيب ثأرك؛ لازم ننتقم منه.
- كيف؟
- نخصيه. سوف نخصيه، لا يقدر على امرأة مرة أخرى.
- أنا غلبانة. لا أقدر. أنا ضعت.
- لا تخافي، لن يمسك أحد بعد الآن، ولا تقولي أنا غلبانة. لا توجد امرأة غلبانة خلاص.
- خلاص.

....

....

تولي صلاح الدين حكم مصر منفرداً بعد وفاة الخليفة العاضد ولقب بالسلطان الناصر صلاح الدين بدلا من يوسف (وحكم بعدها مصر ٢٢ عاماً تقريباً). كان أول قرار إغلاق الجامع الأزهر بأمر صلاح الدين الأيوبي؛ لأنه ينشر المذهب الشيعى، وتحول الأزهر إلى مخزن، وحوله التجار إلى مخزن للبضائع وإلى ممر يمر التجار منه والناس. بعد تولي صلاح الدين حكم مصر منفرداً، طلب منه نور الدين محمود زنكي أن ينضم إليه في هجومه الكبير علي الكرك، ولكن صلاح الدين لم يكن في عجلة من أمره، وأراد إنزال الرعب في قلوب أهل القصر،

وأن يتولاهم الخوف والذعر، وظهرت على الناس أمارات الوحشة والإنكسار والمذلة. وهنا دعا صلاح الدين صديقه بهاء الدين قراقوش وزوده بأوامر لمواجهة الحالة الجديدة. ومنها أن تزداد عنايته بالقصر، فلا يخرج منه شيء، ولا يدخله شيء إلا بإذنه، ومنها أن يضاعف الحيطة من أهل الخليفة الفاطمي وذوي قرابته جميعاً ، وأن يخرجهم من القصر بطريقة ما. فكر بهاء الدين قراقوش نقل الأمراء الفاطميين إلى مكان يسمى (دار برجوان)، وهي دار واسعة كبيرة بالحارة المسماة بهذا الاسم من حارات القاهرة إلى اليوم. وعلى الفور أمر بهاء الدين قراقوش بعزل رجال القصر الفاطمي عن النساء؛ حتى لا يتناسلوا أو يكثروا! فيساعد ذلك على أن يعيدوا الدولة الفاطمية. قال له السلطان صلاح الدين :

" أما الجواري والعبيد فلك أيها الأمير أن تطلقهم، ولك أن توزعهم، ولك أن تطلق البيع فيمن بقي منهم بعد ذلك كله؛ حتى لا يزدحم بهم القصر الفاطمي"

وبهذه العبارة ختم السلطان صلاح الدين الأيوبي حديثه الذي ألقاه على مسامع الأمير بهاء الدين قراقوش، ثم تركه يعود إلى القصر؛ ليتولى بنفسه تنفيذ هذا الأمر.

فعاد الأمير بهاء الدين إلى القصر. وفتح عينيه يومئذ على نور تجل عن الوصف، هو خزائن القصر من ملابس وجواهر، إلى قلائد ودرر،

إلى ياقوت وزمرد، إلى مصوغات ذهبية وأوان فضية، ومنسوجات مغربية وهندية، وصوان صينية، وأخرى منقوشة بالميناء، إلى قطة ثمينة من الخزف، إلى تماثيل عظيمة من البللور على هيئة الوحش والطير، إلى حلل وثياب، إلى عقود من الزبرجد والجوهر الذي لا نظير له في العالم إلى بسط خيطت بالذهب والفضة، إلى ستائر وأغطية من الديباج قد نسجت فيها الرسوم الفاخرة والصور الرائعة، إلى كؤوس من حجر غال يسمى (حجر اليصب) يقال إن للأمراء والملوك، لتوضع فيها الأشربة المختلفة، فيتغير لونها إن كان بها شيء من السم، ولا يتغير لونها إن خلت من ذلك. ذلك كله عدا الأسلحة والسروج والخيم والجلود إلخ...

وأما العرش الفاطمي نفسه، فكان مرصعاً بالدرر والجواهر، وكانت عتباته مغطاة بالذهب الخالص. وكان يتردد على سمعه ما قاله له صلاح الدين الأيوبي ..

لقد وضعت يا قراقوش يدك على كنوز ليس لها نظير في العالم كله؛ فاحرص على هذه النفائس كلها، وضاعف عنايتك بها؛ حتى تصير إلى صاحب الحق الشرعي فيها، وهو مولاك السلطان صلاح الدين.

....

....

المكان/ سوق المدينة.

الزمان/ ليلا.

جاء رشيد سنان سيد الجبل وشيخ العرب عند دكان شيحا؛ ليحمل أسلحة ويدفع ثمنها، ويتفقق على أسلحة جديدة. نظر إلى شيحا

- **عاوز سلاح تاني.**
- **يا سيد الناس خلاص مات شاور.**
- **جاء صلاح الدين وقراقوش.**
- **جاء ينقذنا.**
- **ينقذنا بالدم وحرق الناس أثناء الصلاة وقتل الناس! رجل يحب الدم.**
- **ولكن؟**
- **ولكن لماذا المصريون يحتلون من هذا وذاك؟! سنقاومه.**
- **وعساكره تخدم الإسلام.**
- **كل جنود صلاح الدين ليس فيهم مصري ولا عربي، ويحارب من أجل أحلامه.**
- **لا أفهم؟**
- **هو كردى وكل جنوده ليسوا عربا، هم من القوقاز وجراكسة وأكراد. هم أشرار يقتلون الرجال والنساء من أجل الحكم..**
- **لم أكن أعرف هذا.**
- **كيف حال أبي بكر؟**

خرج من داخل الدكان أبو بكر

- أنا هنا يا سيد الناس.
- كيف حالك؟ وجدت زوجتك؟ قالوا لي جئت تبحث عنها هنا في مصر.
- ابنتي يا سيدي..
- اه نعم.. ابنتك. ستجدها إن شاء الله.

وفجاة يطّل مصباح من الحارة

- يا حارة أنا جيت..

صاح رشيد

- وطي صوتك يا واد
- من؟؟ المعلم رشيد سنان سيد الجبل! سيد الناس.

حال البلاد والعباد

فكر قراقوش في أن يرتب أموره الداخلية؛ فأمر بإلغاء كل الموظفين المتزوجين في مصر والبقاء على العزاب، قام البعض بتطليق زوجته حيث وجدها فرصة، وكان أولهم عثمان طارد الجان وصاحب الكرامات..

في هذه الأثناء اعتذر صلاح الدين الأيوبي لعمه أسد الدين شيركو، عن المشاركة في الهجوم على الصليبين وتعلل بمرض والده أيوب شادي..

وقال صلاح الدين لعمه إنّه يجب أن يتصدى أولاً للفتن الداخلية التي كانت تحاك ضد دولته الوليدة، ومنها محاولة بعض الشيعة العلويين إعادة الخلافة الفاطمية الشيعية، ومنهم عمارة اليمني شاعر الفاطميين، الذين تآمروا ضد صلاح الدين، واتصلوا بملك صقلية النورماندي ودفعوا إليه بالأموال؛ ليهاجم الشواطيء المصرية بسفنه، حتي إذا خرج صلاح الدين من القاهرة ليتصدى لهجومه؛ يقوم المتآمرون بالوثوب على بقية جنده في القاهرة ويعيدون الخلافة الفاطمية. ولكن صلاح الدين علم بمؤامرتهم، فبعث بمدد للحامية العسكرية في الإسكندرية؛ ليصدّ الهجوم الصليبي، قبض على مدبري الانقلاب وأعدمهم ومنهم عمارة اليمني...

....

....

- قراقوش هو نائب صلاح الدين في حكم مصر. عّينه صلاح الدين الأيوبي مرسوما نائباً عنه على حكم مصر؛ فأوامر قراقوش هي أوامر صلاح الدين الأيوبي. استولى قراقوش على كراسي العرش الفاطمي نفسه بصفته نائبا عن صلاح الدين الأيوبي؛ فاشتدّ الصراع مع السهروردي والقاضي الفاضل ورشيد.

أما صلاح الدين لم يمكث في مصر وانتقل إلى دمشق بعد عام؛ ليحكم الشام ومصر بدلا من عمه، ويبدو أنّه كره مصر. وأخطر ما تّم هو إبعاد الذكور عن الأناث من الفاطميين المصريين، وطرد كل

مصري تزوج من فاطمية أو العكس وفصلت العائلات عن بعضها؛ حتى يحدّ من تزايد الفاطميين، ويستبعدوا عن حكم مصر.

....

....

ما حدث وما جرى في مصر أم العجائب

- انقسم الناس في كل الحارات، وفي كل حارة وقف بعض الزعران يسأل الداخل إليها. من خالك علي أم خالك معاوية؟ ويذبحه.
- لم أفهم.
- إذا قال خالي علي يذبحه...لقد كان سكان الحارة من السنّة.
- وإذا قال خالي معاوية؟
- يذبح إذا كانت الحارة أهلها شيعة.
- لم أفهم!
- انقسمت الحارات، حارات يسكنها الشيعة، وحارات يسكنها السنة، والكلّ يقتل الكلّ. وعلى باب كل حارة زعران تقتل الشيعة والسنة...
- يا ويلي يا خالتي.
- وحدثت حالة رعب في البلاد بين المصريين، وخاف المسيحيون واليهود من انتقال العدوى وأن يذبحوا على يد المسلمين؛ فأصبحوا لايسيرون إلاّ في جماعات، ولا يسيرون فرادى! فالسير جماعات أضمن....

- وماذا حدث لهوى ولامار؟
- اختبأتا في المطبخ مع الطباخات

كان وقتها قراقوش يصول ويجول في البلاد.. وأول ما فعل فصل النساء عن الرجال من أمراء الشيعة؛ حتى لا يتكاثروا مرة أخرى، وحتى لا يتزوجوا من بعضهم. كما طرد كل الموظفين المتزوجين بحجة أن الزواج يعطل الموظف؛ فقرر عثمان طلاق النساء وهذا الأمر جعله كارثة. أشاع عثمان أنه أعزب وطلق النساء علانية؛ حتى يقترب من قراقوش وصلاح الدين الأيوبي.

....

....

ذات ليلة

في السوق / حارة شيحا / حارة الحدادين.

مرّ عثمان الذي أصبح قاضيا على القاهرة، بعد أن أعجب به صلاح الدين الأيوبي، ودخل دكان شيحا الحدّاد صانع السيوف والأسلحة..

- مساء الخير يا شيحا.
- مساء النور يا حضرة القاضي.
- المصريون لا يحتفظون بسرّ.
- مبروك المنصب.
- جئت إليك في أمر هام.
- تفضل.

- جئت ناصحا لك.
- تفضل.
- قراقوش وصلاح الدين قّررا الصعود إلى الجبل؛ حتى يتخلصوا من العصابات التي هناك، وأوّلهم رشيد سنان شيخ الجبل وأتباعه..
- أنا ليس لي شأن به.
- كيف يعني؟! أنت لك شأن كبير عنده، أنت تصنع له السلاح هو ورجاله، أحذرك من الآن فصاعدا لا يوجد زعران ولا رجال عصابات ولا الجبل. وأنا أخشى أن يتهموك بالتعاون معه.
- أنا لست قاطعا للطريق، ولم أحمل سيفا مع أني أصنعه.
- أنت تحمل شيئا آخر يا رجل. كم امرأة تزوجت ياشيحا؟
- فاكر عندما جاءت دنيا زاد؟
- أنا خائف عليك يا شيحا... لو قبضوا عليك وجاءوا بك عندي لن أتردد في الحكم عليك، ولو وصلت أخبارك إلى قراقوش؛ سيذبحك ويلقي بلحمك للكلاب.

قاطعه شيحا

- إيه.. إيه.. ياعم أنا ليس لي شأن بصلاح الدين ولا قراقوش ولا رشيد وأنت تعرف هذا جيدا.
- لكن رشيد يقول نحن مصريون وصلاح الدين كردي أي غريب عن مصر، وهذا الكلام يغضب صلاح الدين.

- إلاّ صحيح يا عثمان هل صحيح أن جيش صلاح الدين لا يوجد به عرب أو مصريون والكّل جراكسه وأكراد ؟!
- ليس لي شأن ولا شأن لك. نحن المصريون من يتزوج أمي أقول له يا عمي.
- نعم يا عمي عثمان.
- تسخر مني؟
- لا أسخر قل ما عندك...
- قلت.
- سأقول يا عمي للكل. الكل عمي..
- صح.. شاطر.. أين ابنك الملعون مصباح أو ضوء المكان؟ هذا الولد شيطان!
- لعنة الله عليه متغيب منذ يومين، وأِّمه قلقة عليه وتبكي ليلا ونهارا.
- أمه دنيا زاد؟

التفت إليه غاضبا:

- لماذا تحفظ اسم زوجتي؟!
- لا يوجد اسم امرأة جميلة في بّر مصر إلا و أعرف اسمها.
- ماذا تقول؟

حاول عثمان تهدئته:

- أنا مأذون وإمام مسجد ومعالج بالقرآن، وأعالج النساء من الجنّ والعفريت، وأيضا صرت قاضيا، وأعرف أشياء كثيرة عن نساء مصر، لو كتبتها؛ لاتّسعت لتأليف مجلد، كما أعرف كثيراً عن رجالها.

- آه آه

قالها بغيظ شيحا

حاول عثمان أن يهدئه مرة أخرى:

- قل لدنيا زاد يقول لك القاضي عثمان، إنّ ابنك مثل القطط له سبعة أرواح، ولن يموت، ولو مات؛ كان زمان برّ مصر كلّها عرف. خذها في حضنك وطّمنها.

وفجأة اقتحم المكان ضوء المكان

- أنا هنا يا حارة الحدادين.

فرح شيحا بقدومه لكنه كتم فرحه.

- جبنا في سيرة القط جاء ينط.

قال عثمان بحزم:

- أين أنت يا ولد يا مارق يا فاسد؟ ياعاصي الوالدين شيحا ودنيا زاد، يا فاجر. هات لي سيخ حديد أكويه.

ضحك ضوء المكان... لو أنت شاطر امسك السيخ، وسترى أين سيكون؟

- تهددني؟!
- اترك هذا الكلام الفارغ. مبروك سمعت أنك أصبحت قاضيا عند صلاح الدين أو قراقوش، وأكلت عقل صلاح الدين بقصيدة أظن سمعتها من قبل قلتها لشاور.
- اخرس يا سافل.
- طيب خرست.

جلس مصباح أو ضوء المكان بجوار أبيه، وعثمان على عتبة الدكان، أخرج قطعة أفيون وقدمها إلى عثمان:

- خذ.
- ما هذا؟
- مزاج.. فص أفيون.
- حرام يا ولد.
- لا تقل لي أنا حرام. أناأعرفك وأنت تعرفني قل هذا لغيري. هذا صنف جديد؛ سيجعلك مثل الحصان في السرير..
- طيب..

أخذها ووضعها في الجلابية.

قال ضوء المكان:

- إلا قل لي، سمعت أنك طلقت ٣ نساء صحيح؟!
- الواجب في سبيل مصر.

- في سبيل قراقوش وصلاح الدين.
- وأطيعوا الله ورسوله وأولي الأمر منكم.
- خذ هذا مزاج آخر.

وأخرج لفافة أخرى وقدمها له

- ما هذا يا ولد
- قطعة حشيش في سبيل الحب.

ضحك عثمان:

- ماشي.. هدية مقبولة منك ياشيطان.
- تلميذك.
- أنت فاسد أما أنا لا.
- أنت تفسد بلد يا عمي عثمان.

نظر له مبتسما بغيظ ثم قال:

- أين كنت يا ولد منذ يومين؟
- في مشوار.
- ما دمت قلت في مشوار، إذا أنت كنت في الجبل عند رشيد سنان. لا تقرب هذا الرجل. أنبهك.. قراقوش سيقوم بحمله مع جنود صلاح الدين على الجبل سيقتلهم كلهم.

ضحك ضوء المكان:

- سيهزم يا عم عثمان.

- من الذي سيهزم يا ولد؟
- اسمه إيه؟ هذا الذي اسمه قراقوش ومعلمه.
- اخفض صوتك يا ابن شيحا؛ الحيطان لها ودان..

هبّ واقفا ضوء المكان:

- ماذا جرى لنا في مصر؟ خوف ودم وقتل في الحارات، هذا مع العاضد شيعي، وذاك مع صلاح الدين مع السنة، وهذا مع الخليفة الفاطمي، وهذا مع الخليفة العباسي. والبصّاصين نساء ورجال. كل المصريين؛ أصبحوا بصاصين!

ابتسم عثمان ساخرا:

- إلا أنت؟
- أنا ماذا؟
- اسمع يا ولد.
- نعم.
- أنا ممكن أكلم لك قراقوش يعينك بصاص، ويعطيك كل شهر كيسا من المال.
- أعوذ بالله!
- ماذا تقول؟
- أقول أعوذ بالله.

- يا ولد أنت ستنقل بعض الأخبار فقط. ماذا قال فلان، ماذا فعل علاّن.
- تريدني أن أعمل فتّان؟! أفتن على الناس يا عّم عثمان!
- أقول لك خذ كيساً من المال تقولي حرام!
- ألا يذكر القرآن أنّ الفتنة أشدّ من القتل يا عم عثمان؟
- يا ولد هذه خدمة للوطن.

نظر له ضوء المكان مبتسما :

- قل لي.. ما أخبار البنت التي وصلناها إلى القصر؟
- التي اغتصبتها؟
- لم أكن أعلم أنّها عذراء. اخفض صوتك.
- حيوان أنت كلب. البنت كادت تموت من البكاء.
- اخفض صوتك أبي يسمع. والله قلبي تمزّق عليها، وأفكّر فيها ليلا ونهارا.
- والله؟
- ليلاً ونهاراً كأنّي أحببتها.
- أنت حيوان لا تعرف الحب.
- تلميذك.
- اخرس.. استقم وتزوّج.
- يا رجل.. هاتها وأتزوجها.

فجأة اقتحم المكان رشيد سنان شيخ الجبل ومعه ثلاثة من رجاله ملثمين، وعند وصوله فكّ اللثام:

- سلاُمه عليكم.

هبّ الجميع احتراما وارتعد عثمان... نظر رشيد لهم حتى وقعت عيناه على عثمان صاح فيه:

- أنت هنا يا حيوان؟

ارتجف عثمان ونظر إليه:

- الله يسامحك.. يا سيد الناس.
- سيسامحني. لكن أنت الله لن يسامحك.
- ادعُ لي.
- أنت نصّاب ومغتصب نساء، وخنت وبعت مصر للأكراد.
- أنا من أكون لأبيع مصر؟ وكيف أبيعها؟
- تعاونت مع أعداء مصر.
- من أعداء مصر.
- قراقوش وصلاح الدين.
- هم جاءوا من أجل الإسلام؟
- دع الإسلام يدافع عن نفسه..
- هم حكّام البلاد الآن بعد الفاطميين.
- خرجنا من حفرة وقعنا في بئر! من العاضد لصلاح الدين يا قلبي لا تحزن. وهذا القراقوش لعنة من السماء. أنت خائن لذلك

عيّنوك قاضيا. أنت قاضي على القاهرة ووصلني أنك تقوم بتجنيد وتعين بصاصين له.

- لا والله من أكون لأجنّد الناس!

نظر رشيد إلى ضوء المكان:

- قل يا ولد ألم يعرض عليك أن تعمل بصاصا؟
- نعم عرض علي منذ دقائق قبل وصولك.

ارتعدت أقدام وفرائص عثمان... لا.. لا لا سيدي كنت أمزح والله...

انزعج رشيد من كلامه، وشدّه بقوة من ملابسه، وأمسك برقبته:

- اسمع، اخلع ملابسك.
- نعم؟
- أقول ما سمعت، اخلع ملابسك وامش في الشارع كما ولدتك أمك؟ وارجع إلى بيتك عارياً.أنت لست رجلاً .... ولو كنت رجلا؛ اشكني إلى قراقوش، وتعال معه الجبل؛ سأرميك من فوق الجبل أنت وهو، لتتأكد أنّ في مصر رجالا تحت قيادة رشيد سنان.
- ولكن يا سيد الناس!

قاطعه:

- لا يوجد ولكن.. اخلع ملابسك يا عثمان، وقصّر الشر معايا.
- حاضر.. حاضر.. حاضر.

وأخذ يخلع ملابسه قطعة قطعة وهو يرتعد ويبكي ويقول:

- أنا عبد مأمور يا سيد رشيد... اللي يتجوز أمي؛ أقول له يا عمي.

- أمسك رشيد كل ملابسه وألقى بها في الكور الخاص بالحدّاد، وكان عثمان يرتعد أمام منظر احتراق ملابسه في النار. نظر له رشيد شيخ الجبل:
- ارجع إلى بيتك الآن، ولا تحدث أحدا بما جرى الآن. والله والله لو سمعت أنّك قلت حرفا لأحد؛ سأقطّعك وأرمي لحمك للكلاب.
- حاضر حاضر ماذا أقول!
- امشِ امشِ.

جرى عثمان وهو يبكى ويرتجف..

ضحك رشيد ومصباح وشيحا وأصحاب المحلات. عند انتهاء الضحك نظر رشيد إلى شيحا:

- اسمع يا شيحا، لن تصنع لي أسلحة بعد الآن..
- الحمد لله.
- هاها ها أنت خائف من تهديد الكلب عثمان! الكلاب كثر هذه الأيام.

ثم نظر رشيد إلى الحدادين:

- من يريد أن يصعد معي الجبل ويعمل حدادا عندنا؛ سنعطيه ضعف ما يكسب. سوف نصنع أسلحتنا في الجبل. الأيام القادمة سوداء يا مصرين. صلاح الدين سيفعل ما لا تتخيلون مع كلبه قراقوش.

انضم بعض الحدّادين معه. نظر إليهم بفخر:

- مصر، ما زال بها رجال...

نظر إلى شيحا:

- لا تخف يا شيحا بعد الآن.
- حاضر، الله ينصرك.
- سلام عليكم..

....

....

الزمان / ليلا.

المكان/ قصر قراقوش العاضد سابقاً.

يجلس أمامه عثمان يبكي..

- هجم علي بعض الأشقياء من المطاريد من أهل الجبل، وسّبوني وسبّوك وسّبوا الخليفة صلاح الدين.
- هل كان معهم رشيد؟ تذكر جيداً يا رجل؟ ها؟
- لا أعرف ربما كان معهم. أنا لا أعرفه، لو كان معهم كنت عرفت.
- وسبّ الدين؟
- نعم.
- سأقطع رقبتهم وأرميهم إلى الكلاب، سأرسل معك فرقة، اقبض عليهم وآتني بهم هنا.
- أنا مريض يا سيدنا، لا أقوى على ملاحقتهم والمشكل أيضا، أنهم سرقوا أموالي. كيسين مال كل كيس به مائة دينارا.

أخرج قراقوش كيسا من المال:

- خذ واذهب يا عثمان.

خرج عثمان من غرفة قراقوش، وادعى البلاهة، وأخذ يصول ويجول في القصر؛ حتى اصطدم بالسارية. نظر إليها بخجل.

- مساء الخير يا ست الستات.

صرخت والتفتت إليه:

- أنت يا مجرم!

- كيف حالك وحشتيني؟

مدّ يده يمسك كتفها؛ نهرته.

- أنت اتجنيت؟!

- أيّ شخص يرى جمالك؛ يعشقك ويجن.

- اخرس.

- ألا يوجد مكان خلوي يحتوينا؟ نتكلم بهدوء في موضوع هام؛ لأني تعبان.

- هل ذهب عقلك؟

- معي كيس مال خذيه.

- ابتعد عني وامش.

- أريد أن أطمئنّ أنّ العفريت خرج من جسدك هو معذور، أنت حلوة.

- اخرس، خلاص مشي.
- أنا أراه الآن على كتفك.
- اذهب وإلاّ سأصرخ، ويحضر الحرس، ويعلم قراقوش.
- مصيرك ستأتين.

خرج من القصر مهزوماً ، كان يريد حضننا دافئاً في تلك الليلة، مشى في الشوارع ليلاً ، قابل يوحنا قّسيساً معروفاً ومشهوراً :

- إزّيك يا سي يوحنا؟
- ازيك يا عثمان؟
- الحمد لله ازيك أنت؟
- نشكر الرب.
- الحمد لله.. لو أنت عاوز أي خدمة كلمني.
- شكرا.
- أيّ حدّ عليه عفريت أنا بطلّع العفاريت من على البني آدمين.
- وأنا كمان بطلعها.
- بتطلع العفاريت؟
- هههههههه بصرة.

مشى في الحواري بليل القاهرة، وبينما هو يسير قابل ضوء المكان:

- أنت تاني؟
- دي ليلة إيه!

- روح نام يا عثمان.
- وأنت كمان روح نام.
- حاضر.
- سلام.
- سلام.

وبينما يسير عثمان اصطدم بأبي بكر:

- مش تفّتح عنيك؟
- من أنت؟
- أنا أبو بكر
- قابلتك فين؟
- عند شيحا.
- آه اليمني اللي جاي يدور على بنته. اتعشيت؟
- لا والله؟
- خلاص.. تعال معي نتعشا سويا.

ذهب معه إلى بيته..

....

....

المكان/ ليلا.

الزمان /غرفة نوم الطباخات.

تجلس لامار تتلوى أمام هوى وتمسك بطنها

- ما بك يا بنت؟

- بطني.

ردت امرأة:

- البنت دي حامل..

- حامل؟!

قامت لامار وذهبت إلى الحمام تتقيأ.

ضربت هوى على صدرها:

- يا لهوي.. يا لهوي.

ليلة سوداء. وبكاء لامار. اغتصبها هذا الحقير، وهي حامل الآن!

فكرت هوى بسرعة:

- حامل إيه؟ هل جننتم البنت مسمومة..

- والحل؟

- نريد مسهل شربة ملح للأمعاء.

افترقت البنات من حولها، ضمت هوى لامار في أحضانها، وغطتها بشال أحمر مزركش بورد أبيض من حرير، ووضعته على رقبتها وكتفها. كانت الدموع في عين هوى وعلى خديها، في محاولة يائسة أن تمنعها وبين أحضانها لامار تبكي في صمت. قمر حزين هي... في ليلة وسط سحب غائمة.. دموع البنات حكايات.. قالت هوى لها هامسة وهي تضمها في أحضانها:

- اسمعي يا بنت يا لامار، سنحل هذه المشكلة.. اطمئني.
- نعم يا أختي.
- الجنين الذي في بطنك لا بد أن ينزل.
- نعم يا أختي.

وانفجرت لامار في شلال من الدموع، تبكي بحرقة شديدة، وهوى تحاول أن تمنع عنها حزنها، وأن تمسح دموعها. قبّلت جبينها ثم ضغطت على شفتيها تدغدغ حزنها وقالت:

- نحن النساء يا بنت يا لامار غلابة ضعفاء.
- كانت ليلة سوداء، ليلتها كنت ذاهبة أقرأ الكف قرأته قرأته.
- اسمعي ما جرى يا لامار قدر ومكتوب، ولقد وقع وانتهى، علينا الآن التفكير في طريقة نسقط بها الجنين، ومن المؤكد هناك قابلة (داية) موجودة في القصر في جناح الجواري. لا أعرف هل ما زالت موجودة، أم طردها وباعها رجال قراقوش.. وعلى أية حال، لن تنفع امرأة من هنا؛ ستفضحنا وتحكي لواحدة أو اثنتين، وفجأة نصبح حديث الجواري، ويصل الأمر لقراقوش؛ فيبيعنا أو يقتلنا أنا وأنتِ....

مسحت لامار مخاطها في كمها ودموعها تنسال:

- وما الحل؟ قولي. لا تتركيني يا هوى. أنت أختي وصديقتي.

- أنت مجنونة يا بنت كيف أتركك؟ لن أتركك طبعا؛ وسأبحث عن قابلة من خارج القصر.

- طيب يا أختي.

النساء سّر الكون، وسّر الرجال، وسّر المجتمع. تحدثت هوى مع بعض النسوة أثناء الغداء في المطبخ حول القابلات الماهرات فلقد أصبحن قلة. اندفعت امرأة وقالت:

- أعرف واحدة رائعة.

- من؟

- اسمها نديمة لا يوجد مثيلتها، وهي ماهرة وحاذقة، وتشفي النساء من النزيف وأعمال أخرى...

فضحكت النسوة.

- وأين تسكن صاحبتك؟

- في حارة أبو كرات.

ردت واحدة:

- أبو كرات ولا أبو فجل.

ضحكت النسوة....

مدت يدها هوى وهي تأخذ قطعة لحم من الطبق

- قولي لي يا بنت.

- نعم يا هوى.

- وحارة أبو كرات والا أبو فجل فين؟
- جنب سوق الحدادين، بين حارة اليهود وحارة الحدادين زقاق معفن كده هناك.
- حارة معفنة؟
- آه.
- زيك ضحكت النسوة.

قالت هوى:

_ أعطني قطعة بصل؛ حتى لا أشم رائحة العفن. اضحكي يا لامار.

- حاضر.

ابتسمت لامار وهي حزينة. نظرت امرأة عجوز جالسة معهن إلى هوى:

- هو أنت حامل يا بنت يا هوى؟
- يا ريت..

ضحكت البنات ثم نظرت لها هوى:

- لا مش حامل يا حبيبتى.. أنا بسأل عشان سمعت كم واحدة ماتت وهي بتولد.

نظرت المرأة لها نظرة حاذقة، وهي ترفع حاجب وتنزل حاجب، وقد انتهت من طعامها ووضعت فص لبان ذكر في فمها تمضغه:

- سؤالك غير مريح. خدي فص لبان ذكر يغير نفسك بدل البصل. خدي يا بنت يا هوى.

- والنبي يا أختي كفي عن الظنّ السيء دا في كلّ الناس.

قالت المرأة وهي تنظر إليها وإلى لامار:

- بكره نقعد على الحيطة ونسمع الزيطة.

رفعت هوى يدها للسماء:

- إلهي بكره يقطع رقبتك قراقوش.

ضحكت النسوة

....

....

الزمان/ ليلاً.

الليل ستار وحوار وأشياء تشبه أشياء. خرجت هوى ولامار من باب سري للقصر مغطى بالأشجار، ولا يراه من يمر، ولكن يرى الحارس عبد الحكم وهو من أعراب كوم حمادة. قبل يد شاور، وشاور عينه حارساً على هذا الباب؛ حتى يضمن سرّية أفعاله الحقيرة. وكان قراقوش قد غير كل الحراس ما عدا عبد الحكم الذي يحب هوى في سرّه، ويخجل منها ويرفض إغراء أيّ جارية له مهما كان جمالها. كان أبيض الوجه أزرق العينين أشقر الشعر. ويخبئ تفاحة من البستان؛ ليقدمها إلى هوى إذا مرّت...

خرجت هوى ولامار إلى الحواري. الحواري في الليل أشبه بتوابيت يعيش فيها بشر يتنفسون. الضوء شحيح في الحارات والأزقة، قناديل قليلة مضيئة والباقى مظلم. على ناصية الشارع يتمدد كلب بادية عليه ملامح الإرهاق والخمول؛ لا يبالي بالمارة الغرباء ولا ينبح فيهم. أمامه قطة منشغلة ببرتقالة جافة صغيرة ملقاة بجانبها. على قارعة الطريق فأر، يتحرك يميناً ويساراً أمام القطة والكلب. توليفة غريبة بينهم تكشف رتابة الحياة وثقل الليالي... هنا القاهرة.. مّرت المرأتان تغطيان رأسيهما هوى ولامار، وترتديان عباءتين سوداواتين، مّرت بجوار حارة اليهود وحارة الحدادين، ووجدت زقاق أبو كرات، وقفت البنتان أمام الزقاق، في هذه الأثناء مّر السقّاء بجانبهما يحمل قربة ماء، قالت هوى:

- والنبي يا اخويا.
- نعم يا ست.
- دا زقاق أبو كرات؟
- هو نفسه عاوزه مين؟
- تعرف بيت الستّ نديمة؟
- طبعا.. أنا ذاهب إلى البيت الذي يجاورها تعالا معي.
- هيا يا أختي.

سارت المرأتان الغريبتان عن المكان في أزقّة القاهرة أم الحكايات والأساطير، قطّتان جريحتان، وردتان مقطوفتان من بلاد بعيدة إلى هنا، وجاءتا إلى أرض غير أرضهما، جرحان ينزفان..

الحارة متسخة مظلمة، رائحة كريهة، يبدو أن أحدهما يعمل دبغ جلود داخل بيته، رائحة لا تطاق، والزبالة في كل مكان على مدّ البصر...

وقف السقاء أمام الباب ودقّ بيد حديدية..

- يا ست نديمة يا ست نديمة..

نظر إليهما:

- الظاهر نامت. أكيد عندكم حالة ولادة مستعجلة.

- آه يا اخويا..

نظر للشارع وأمسك حجرا وألقى به على سطح البيت:

- يا ست نديمة إصحي من النوم، فيه شغل قادم إليك، رزق وجاي.

جاء صوت من الداخل لامرأة شبه نائمة:

- من الذي يدقّ الباب؟

- ألا تعرفين صوتي؟

- لا.. لا أعرف.

ابتسم للفتاتين:

- نائمة لا مؤاخذة. أنا خليل السقا.

- عندي مياه يا خليل.

- افتحي الباب، فيه زبائن قادمين لك؟

- حاضر.

فتحت الباب. والباب قديم بمزلاج غريب.

والذى لا تدريه لامار وهوى، أن إحدى العيون من البصاصين لمحهما أثناء خروجهما من القصر، وأخبر قراقوش بأنّ هناك امرأتين خرجتا من القصر، وأنّه تابعهما حتى زقاق أبو كرات.. فجنّ جنون قراقوش وبعث بفرقة إلى زقاق أبو كرات؛ لتفتيشه بيتاً بيتاً. خوفاً من الإرهابيين الشيعة الذين يتحينون الفرصة للانتقام. هكذا كان الشيوخ يقولون أيامها أن الشيعة إرهابيون.

فتحت نديمة الباب:

- اتفضلوا.

تقدمت هوى بعد أن نزعت الشاش من فوق وجهها:

- كيفك يا خالتي؟

- بخير، خير؟

- نحن نريدك؟

- فيه عندكم واحدة بتولد؟

- لا..

- موضوع آخر.

- خير.

حاولت هوى تهدئة الموقف

- مساء الخير يا خالتي.
- مساء النور يا عيون خالتك، اتفضلي قولي.
- مش تقعدينا وتعزمينا على كوب ماء؟
- اتفضلا اجلسا.

جلستا.. كان البيت مظلماً خشباً قديماً مع الطين تنبعث منه رائحة بخور، حصيرة على الأرض ممزقة لكنها نظيفة، وطبق فول وبصل مع طبق مش (جبنة قديمة)..

قالت نديمة:

- خير يا ست؟

أخذت هوى تحكي لنديمة ما جرى للامار بالتفصيل؛ ظنّا منها أن المرأة سوف تشفق عليها وتساعدها بقوة. لكن نديمة العجوز الغجرية التي تفترش التجاعيد وجهها الأسمر وعلى ذقنها وشم أخضر، اعتدلت ونظمت الطرحة التي على رأسها وقالت:

- حرام والله، حرام والله ما يحدث، حرام.
- نعم.
- حرام أن ينزل الجنين دا عمره ٤ شهور!
- يعنى إيه؟
- مرت أربعة شهور وانقطع الطمث عنك ولم تشعرى يا بنت؟!

- والله ما انتبهت لحالي.
- حرام أمّوت نفس صارت روحاً .
- نحن نتحمل الموقف أمام الله.
- ممكن تموت هي والولد.

قالت لامار:

- أموت أموت أفضل من أن ألد طفلا.
- يا حبيبتي أنت تموتين، وأنا أدخل السجن؟!

قالت لامار:

- أقبل يديك وقدميك.

ارتمت لامار تحت أقدام نديمة، وراحت تبكي بشدة، والمرأة العجوز تنظر إليها باستغراب، وقد أغرقت دموع لامار قدميها.

- بس يا بنت.. قطعت قلبي.
- يعني؟
- كم ستدفعين يا بنت؟

أخرجت هوى من صدرها قطعة حلي ذهب وقدّمتها إلى نديمة، وضعت نديمة القطعة في صدرها وسألتها:

- ذهب حقيقي والا مزوّر؟
- حقيقي يا خالتي، هذا هدية من أميرة فاطمية.
- طّيب.

- والله غالية الثمن، وأنا لم أسرقها، بل قدمت لي هدية.

قامت نديمة وافترشت فرشا رخيصا غامق اللون من جلد

قالت:

- نامي يا بنت.

نامت لامار وهي ترتعش.

قالت نديمة:

- سأقف على بطنها، وأنت يا بنت تمسكين الوسادة في فمها؛ حتى لا يسمع الناس صراخها.

وبينما هم يستعدون دقّ الباب بعنف وصوت خيول في الحارة وصراخ جنود.

صوت قائد عسكري وهو يدقّ باب نديمة.

- كله يقف افتحي الباب؟

ارتعشت نديمة؛ هبت لامار واقفة.

- يا لهوي أنت أميرة يا بنت؟! دول جنود قراقوش.

- لا والله أنا جارية في المطبخ.

- قامت نديمة بسحب الحصيرة وفتحت بابا في الأرضية يؤدي إلى سرداب أسفل البيت. انزلي أنت وهي على السلم ولا حركة تحت.

- حاضر.

- نزلت البنتان على سلم السرداب وأغلقت الباب، وفرشت الحصير، وفتحت باب الدار، وجدت العسكر الذين اقتحموا البيت يفتشونه.
- ماذا جرى يا ابني؟

لم يرد..

- ماذا حدث يا ابني؟
- فتشوا البيت جيدا..
- هربت جاريتان من القصر، وقالوا إنهما في حارتكم.
- وأنت تبحث عنهما عندي؟
- نفتش الحارة بيتا بيتا.
- ماذا فعلتا؟
- ربما تكونان من الشيعيين الإرهابيين، نحن نحارب إرهاب الشيعة.
- حارب يا ابني الله ينصرك. فتش يا بني سيبني أصلي

جلست على سجادة صلاة، افترشتها على باب السرداب وأمسكت المصحف. أخذت تقرأ القرآن بصوت ناعم وهادئ وخبيث، وتمثل الضعف.

- فتش يا ابني فتش..
- ما في شيء أيها القائد؟

لم يجد الجنود أي شيء خرجوا، أغلقت نديمة الباب. ولم ينتبه الضابط الغبي أنّها كانت تمسك المصحف بالمقلوب...

بعد ساعة، وبعد أن اطمأنت العجوز من خروج الجنود من الحارة وهي تنظر من ثقب الباب، تنفست الصعداء؛ وفتحت غطاء السرداب وقالت:

- هيا يا بنت.

- حاضر.

خرجت هوى ولامار من السرداب المعفن المليء بالفئران أسفل الدار، لقد أصابهما الهلع.

- يلا يا بنت أنت وهي.

هّمت لامار بالاستلقاء على ظهرها مرة أخرى، فصاحت نديمة:

- لااااااا امشي أنت وهي.

- ازاي؟!

- خذي ذهبك يا نحلة، لا أريد عسلك ولا قرصك..

- خير بس!

- الخير أنك تمشي أنت وهي.

- يا خالتي.

- أنا لست خالتك يا روح أمك..

- بس.

- ما بسش، يلا بره بيتي....

ثم نظرت إليها:

- الولد دا لن ينزل سيعيش مهما فعلت، وستقولين في المستقبل قالت نديمة...
- كيف؟
- هذا له عمر. ربّك أراد...
- ابن حرام.
- أنظري لكلّ الناس الذين حولك يا بنت هل تعرفين ابن الحرام من ابن الحلال؟ ربك هو الذي يعرف.
- لا.
- اذهبا.

خرجت الفتاتان مكسورتان. لكن هل هوى أصرّت على أن لا تقبل بالهزيمة مهما كان الثمن؟ عادت البنتان إلى القصر من الباب السري.

لم تكل ولم تمل هوى، تريد بأيّ طريقة أن تساعد صاحبتها على إجهاض الجنين.

....

....

حديث الصباح:

في المطبخ الطباخات والخادمات يتسامرن كلّ يوم... عرفت هوى أنّ بعض النساء يجهضن أنفسهن بعود ورد، يضعوهن في الرحم فيحدث نزيفاً ؛ فينزل الجنين.

وفى ليلة اختفى فيها القمر؛ فكرت في تنفيذ الخطة، أحضرت عودا من الورد ونامت لامار على السرير، ووضعته في الرحم ظلت الفتاة تصرخ من شدّة الألم، هوى تكتم صراخها بالوسادة، واستمرّ النزيف.

- أين أنت يا أبي أين أنت يا أبي؟
- اسكتي يا بنت.

التفت النسوة حولها لمساعدتها على منع النزيف، وتوقع الجميع موتها؛ فالنزيف لا يتوقف، والغريب أنّ الجنين لم ينزل من بطنها. قالت واحدة:

- ستموت.. يا لهوي.
- أطرافها باردة!
- غطي وجهها روحها طلعت خلاص.

غطوا وجهها وبكت النسوة وانهارت هوى.

جاءت بعد ساعة امرأة تغسلها استعدادا للدفن، عرّتها ألقت دلوا من الماء على جسدها الجميل الممشوق وهي عارية صاحت لامار:

- يا أبي.

صرخت النسوة لا إله الاّ الله.

....

....

الزمان/ ليلا.

المكان خارجي/ سوق الحدادين.

رائحة الحديد وكير النار وضوضاء آخر النهار. يجلس ضوء المكان على باب دكان أبيه شاردا حزينا، يمسك خيزرانة في يده يلعب في التراب. وقف أمامه فجأة عثمان:

- سلاموا عليكم.
- وعليكم السلام.

_ لمحتك على باب الدكان قلت أسلّم عليك.

- فيك الخير.
- أنا ماشي.. سلاموا عليكم.
- وعليكم السلام.

رجع عثمان بعد أن مشي خطوتين:

- ماذا بك يا ولد أبوك مات؟
- زي الجن متجوز جديد واحدة سودانية اسمها وحيدة.
- زعلان إنه اتجوز وأنت لا؟
- لا.. فليفعل ما يريده.
- ماذا بك يا حقير خبّرني، مفلس؟
- لا.. مخنوق.
- تريد مالا؟

يخرج من جيبه خمسة دنانير

- خذ لسه عامل جلسة خروج عفريت من واحدة في زقاق أبو كرات
- لا.. لا أريد مالا.
- لا أنت غير طبيعى!

- ماذا بك إذن، ماذا بك؟
- أقولك وحتصدقنى.

جلس عثمان على الكنبة الحقيرةِ المتّسخة التي بجوار الدّكان:

- قل يا ولد.
- أنا حاسس بالذنب.

وأخذ يبكي، انفجر عثمان ضاحكا.

- ههههه أنت حاسس بالذنب والا بالذنوب؟
- لا، ذنب واحد.
- ما هو قل لي؟

بكى ضوء المكان

- أنا لا أنام يا عثمان والله.
- لماذا يا ولد؟
- صورة البنت التي اغتصبتها، جارية الخليفة؛ لا تفارقني ليلا ونهارا، ودموعها وهي تتوسلني وهي منهارة. كنت وحشا حيوانا.
- طول عمرك.. ليست أول مرّة تغتصب امرأة!
- البنت طلعت عذراء لم أصدقها. والمسكينه تتوسل وتقبل يدى.
- قم وصلِ..
- لن ينظر الله في وجهي.
- قم وصلِ.
- أنت تصلي كلّ يوم وتفعل الفحشاء ليلا ونهارا.
- أنا أفعل الفحشاء وأتوب.

- أنت نصاب يا عثمان.
- أنا يا حقير؟ أنا!
- أنا أبحث عنها حتى أتزوجها.

يضرب كفا على كف متعجبا

- الله الله.. صدقتك أنا يا ولد؟

أمسك القلة وأخذ يشرب الماء

أنا لا أصدق ياضوء المكان أنّك أنت الذي يتحدث. ضوء المصباح بن شيحا ودنيا زاد!

ثم اتكأ عثمان على الكنبة وأطلق ريحا عفنة... صاح فيه ضوء المكان:

- إيه دا؟
- ريح يا ولد.
- أنت مقرف يا عثمان.
- أنت تريد أن تتزوجها صحيح؟
- نعم.
- تريد أن تفهمني أنك إنسان ولك ضمير؟

هبّ فيه ضوء المكان صارخا:

- نعم لي ضمير مثل كلّ الناس. أنا إنسان يا عثمان مثلك؟

قام عثمان يصفق على كفّيه:

- سبحانك يا ربي أنا لا أصدق.
- لا... صدّق.

أمسكه عثمان من جلبابه:

- اسمع يا ولد دعك من هذا الكلام وتعال معي. عندي جلسة علاج لبنت في حارة اليهود، تعال اتعلم لك مهنة، تعال ساعدني وخذ نصف المبلغ.
- أنت عينت قاضيا خلاص؛ ستقبض كل شهر مبالغ من المال، صح؟
- كلام على ورق، قراقوش هو الذي يجلس على كرسي القاضي، أنا أقبض فقط. اسكت وسيبنى في حالي.
- أنت ذاهب إلى حارة اليهود؟ لو شاهدك الحاخام؛ ستكون ليلتك سوداء، هو قال لك لا تحضر لحارة اليهود.
- أنا مطلوب يا مصباح لا أذهب لأتسول!
- الحاخام سوف يؤذيك، اسمع كلامى.
- قلت لك هم طلبونى. أبو الفتاة المريضة جاءني؛ لطلب مساعدتي. أصل العفريت الذي ركبها مسلم لازم أطلعه؟
- وكيف عرفت أنّه مسلم؟!
- من تشخيص أبيها لحالتها.
- الحاخام سيضربك أنت وأباها؟
- الحاخام بخيل ويتاجر...
- اذهب يا عثمان سأنتظرك هنا.
- أنا ذاهب، حضر لنا أكل، خذ خمسة دنانير اشترِ لي ديكاً رومياً وسويه.

ترك عثمان المال على طاولة أمام ضوء المكان وهو في حالة سكون ووجوم.

مّرت ساعة

سمع مصباح ضوضاء قادمة من حارة اليهود، وناساً تجرى خلف عثمان، وعلامات الضرب بادية على وجهه وقفاه. اختبأ عثمان عند ضوء المكان؛ فعاد رجال حارة اليهود أدراجهم...

ضحك ضوء المكان بشدة من منظر عثمان:

- قلت لك ولم تسمع الكلام.

نظر له عثمان:

- أين الديك الرومى؟

أشار ضوء المكان إلى النقود..

- ها هي مكانها.
- تعال نتناول العشاء.
- لا.

قام عثمان وخرج من الحارة إلى ساحة الحسين، فوجد أبا بكر:

- أبا بكر.
- نعم.
- أين أنت يا رجل؟
- أبحث عن ابنتي.
- تناولت العشاء.
- لا.

- تعال تناول العشاء تعال معي.

مشي الاثنان إلى مطعم قريب لشراء لحم مشوي...

يسيران في الظلام وظلهما غريب ويختفيان. يتجلى لك الأول من بعيد طويل أبوبكر، والثانى قصير عثمان، يقل عنه بثلاثين سم.

....

....

الزمان/ ليلا.

المكان/ القصر.

المطبخ... الأراضي متسخة، بعض الأواني هنا وهناك، كلّها نظيفة. في كلّ مساء تسرق بعض النساء الطعام في لفافات لأولادهن، و فاكهة طازجة وضعت على جنب بجوار نافذة بحرية حتى لا تعطب. ويغادرن القصر وتعدن مع صلاة الفجر.

جلست هوى ولامار يتهامسان...

قالت هوى:

- كنت أتمنى أن يكون لي بيت وأولاد مثل هؤلاء النسوة، أعود إليهم في المساء؛ فأرتاح بهم ومعهم من شقاء الحياة وعنائها.

نظرت لها لامار باستغراب:

- هنّ أكيد يتمنين العيش في القصر ونعيمه...

- تقصدين جحيمه.

- ....

- قلنا مات شاور والخوف كلّ ليلة بالقلوب نازل.
- و جاء قراقوش بسذاجته وغبائه القاتل.
- لا بدّ أن نفكر في الخروج من هذه الدوامة.
- والولد الذي في بطنك؟
- وما الحلّ؟
- ما رأيك يا بنت نسافر، نهاجر؟
- إلى أين؟
- إلى بلادنا.. الحقيقية.
- وهل سيرحبون بنا؟ أم سيقتلوننا؟
- لماذا؟
- سيظنون أنّنا بلا شرف.
- إذا نسافر إلى بلد لا يعرفنا أصحابها ولا نعرفهم...

فجأة اقتحمت السارية الغرفة...

- والله أنتم بنات لا أصل لكم ولا فصل...

ضحكت البنتان. و بين قبلات وضحكات افترشت السارية الأرض معهما ثم قالت:

- والله أنا في دهشة منكما هل هناك عاقل يترك جمال القصر والنعيم كلّه ويأتي إلى المطبخ؟

نظرت إليها هوى:

- أنت سعيدة يا سارية؟

صمتت....

- أكيد لا تعرفين للسعادة طعماً.
- إذاً تعالي معنا؟
- أين؟
- نترك هذه البلاد ونهرب؟
- نهرب؟!
- الدّم في كلّ مكان. هذا شيعي وذاك سنّي، الفتنة كبرى.. قصور تنهب ونساء تخطف...
- نعم نهرب.
- إلى أين؟
- أي بلد لا يتحدث العربية؟
- ~~ههههههههههههههههه~~
- نحن نحتاج إلى خطة ودعم من شخص داهية!
- شخص معروف عنه الاحتيال والخبث؛ حتى لا ينكشف أمرنا...

أخذت السارية تفكر في لحظة استرجاع عميقة، وهي تهرش في رأسها، فأزاحت الطرحة من عليه؛ ليظهر شعرها الأشقر الجميل، وانسلت خصلة على جبينها؛ فضربت على ركبتها فرحة:

- وجدته....
- من؟
- تعالا معي.

....

....

الزمان/ ليلا.

المكان/منزل عثمان.

في هذه الأثناء كان عثمان يجلس ويأكل لحما مشويا مع أبي بكر، وسلاطة وفلفل أحمر حامي، يلتهمه عثمان كأنه بارد. حاول أبوبكر أن يأكل قطعة بعد إلحاح عثمان، فصرخ الرجل المسكين؛ من شدة الفلفل وكاد يغمى عليه. أخذ عثمان بصلا مشويا وقطعة لحم على خبز ووضعها في فمه وقال:

- لا يعجبنى طريقة أكلك يا أبو بكر؟
- لماذا؟
- أنت تعمل عند شيحا وتلفّ بعدها الأسواق والحارات بحثا عن ابنتك.
- نعم.
- تحتاج أكلاً .. كُل يا راجل يا طيب.
- حاضر..
- أتعرف يا أبا بكر؟
- ماذا؟
- أنا إنسان بائس قليل الحظ..
- كيف؟

- أنا لو كنت محظوظاً؛ لكنت اشتركت في محاكمة السهروردي، وحصلت على قصر في الشام، وعشرة خيول، وعشر ناقات، وعشرة حمير وعشر جوار.
- لم أفهم؟
- كل قاض شارك في مقاضاة السهروردي حصل على مكافأة، قصر وخيول وجمال، وحمير وجوار كمان.
- آه
- كنت سأطلب استبدال الحمير والجمال والخيول بجوار نساء. يا سلام لما يكون عندك مائة جارية تلعب لعب....
- آه
- أعرف أنّ الله سيدخلني الجنة، وسيقول لي اختر ما تشاء يا عثمان.
- آه
- لا تقل لي آه و آه و آه كلمني، خذ وهات معايا في الكلام...
- هات...

انفجر الرجلان في الضحك. قال أبو بكر وهو محرج:

- أشعر بالإحراج منك، أنت لا تأخذ مني ثمن الطعام يا راجل.

دقّ على الباب

- من؟ من أنت؟

- أبو محمد.

أبو محمد مين؟! كل مصر أبو محمد.

حدث نفسه قليلاً، وقام يفتح الباب، وقبلها أخذ لقمة كبيرة وبها قطعة لحم مشوية:

- لا تأكل إلاّ عندما أحضر..

فتح عثمان الباب ونظر آه:

- من أنت؟

رجل ملابسه رثّة، وشكله فقير، حافي القدمين، ومعه طفل صغير مريض:

- الولد بني محمد تعبان راكبه عفريت.

- آه.

- ولا يكلم أحدا.

- وماذا؟

- والولد جاء بعد عشرين سنة زواج.

- آه.. ماذا تعمل؟

- أنا على باب الله.

- كلنا على باب الله. قل ماذا تعمل؟

- حمّال.

- اسمع، ابنك حمّيه كلّ يوم الفجر واقرأ له سورة المائدة.

- لا أعرف القراءة.
- تعرف الفاتحة في القرآن؟
- آه أعرف.
- اقرأها له ثلاث مرات قبل الحمام، وأثناء الحمام، وبعد الحمام.
- ومن أين أحضر له كلّ هذا الماء؟!
- صب على رأسه ثلاثة أكواب ماء.

أغلق الباب في وجه الرجل وعاد للطعام؛ فوجد أبا بكر لا يأكل وينتظره.

- لماذا لا تأكل يارجل؟
- أنت قلت لي.
- صحيح، أنا بحب اللحم المشوى خاصة الريش.
- أنا بفكّر أرجع اليمن.
- لا.. لا يمن إيه! اليمن بعيدة وأنت صرت بيننا مصريا، استقر هنا وهات الأولاد والبنت بنتك. ما اسمها إيه قلت لي؟
- لامار؟ وأمها فطيمة.
- آه تذكرت.. اسم غريب هي وأمها، الناس هنا تسمي فاطمة ولا تسمي فطيمة.
- نعم.
- كل مد إيديك.

مدّ عثمان يده يأكل. قطّع قطعة خبز كبيرة، وأخذ قطعة لحم نصفها أحمر ونصفها دهون.

دقّ الباب

- ماذا حدث في القاهرة الليلة كلّ الناس راكبها عفاريت؟! من بالباب؟
- أم جرجس.
- آه أم جرجس.

قام عثمان مسح يديه في جلبابه، وراح يفتح الباب؛ وجد أمامه أم جرجس وماري ابنتها تحمل طفلا رضيعا:

- أهلا يا أم جرجس.
- يا عثمان الولد على صرخة واحدة.
- ولد مين؟

أشارت على الطفل الرضيع الذي تحمله ماري (ماري فقيرة ووجها جميل وعيناها زرقاوان)

- الله الله أنت كبرت وتزوجت يا ماري؟

يحاول أن يمدّ يده على كتفها؛ فتنهره أمّها وتدفع يديه:

- إيدك، جت قطع إيدك.
- أنت بتسبيني؟
- نعم أسبك، أنا أقول الولد، تمدّ إيدك على كتف البنت!
- البنت تحمله.

يحاول أن يمدّ يده؛ كي يتحسّس صدر ماري؛ أمها العجوز متنّمرة له فتضربه على يديه.

- احترم نفسك.
- خلاص خلّـِي الولد في البيت، إقري عليه سفر المزامير إنجيل لوقا من ٨ إلى٢١.
- لم أفهم.
- افتحي إنجيل لوقا من ٨ إلى ١٢ سفر المزامير.
- لا أفهم.
- اقري أيّ حاجة حفظاها على الولد.
- إزاي؟
- ملعقة لبن من صدر أمه واقري عليه الأوّل. إذا لم تعرفي سيبيها أنا أعلمها.
- لا.. راجل قليل الأدب الله يلعن الاحتياج. الفقراء لهم الله.

مشت هي وماري.

قال وهو يغلق الباب:

- أنت عرفتي البيت الآن يا مارى، تعالي أي وقت، ويفضل في الليل لأيّ علاج.

أغلق الباب، وعاد وجد أبا بكر نائما بجوار الطعام؛ فقد تعب من البحث والسير.

- لا تنم قم يا أبا بكر لا بد أن تأكل طوال اليوم جوعان، قم معى.

قام أبو بكر وهو يتثاءب من التعب:

- حاضر.

دقّ على الباب.

- يا دي الليلة السوداء! أريد أن آكل أنا لست هنا.

دقّ مرة اخرى.

- الصبح الصبح تعال.

دقّ على الباب.

حدث نفسه يمكن البنت ماري والا أم محمد.

فتح الباب وجد ضوء المكان:

- نعم..

- أنت أكلت؟

- آه أكلت.

- لا لسه باكل خليك عندك. أنا قلت لك روح هات أكل، لم تحضره، الآن جئت لتأكل!

- نعم جعت.

- انتظرني هنا.

أغلق الباب في وجهه ودخل أمسك خبزة ووضع عليها كم قطعة لحم ولفّها وخرج إليه:

- خذ اتعشا عند أمّك، عند أبوك، عند صحابك، سبني في الليلة النحس دي.

- طيب..
أخذ ضوء المكان الخبز ومشي. والشك يملأ قلبه..
ذهب إلى حديقة بجوار مسجد الأنور؛ ليأكل.
كانت هناك ثلاثة أشباح سوداء تتحّرك في الظلام، تتجه نحو بيت ما.
نعم إنها السارية ذهبت مع البنتين لامار وهوى إلى بيت عثمان.
دقّ الباب بهدوء
قال عثمان:
- أسمعت دقّاً على الباب يا أبا بكر؟
كان أبو بكر يشخر.
دقّ الباب مرة أخرى:
- يا أبا بكر سمعت ما سمعت؟
أبو بكر يشخر.
دقّ الباب دقة ثالثة.
في الخارج على الباب
قالت هوى:
- يمكن نام يلا بينا.
ردت السارية:
- هذا ملعون لا ينام..
فتح الباب بهدوء وحذر مواربا ونظر بنصف عين

- من؟
- أنا السارية يا عثمان ومعي نساء.
- معقول السارية إنّها ليلة الهناء!

فتح الباب على مصراعيه، وأدخلهن من خلف ستار يفصل بين الصالة والجار.

- من هنا تعالوا

دخلت البنات الثلاث في حجرة، وأغلق الباب عليهنّ، وخرج مهرولا إلى الصالة:

- أبا بكر اصحى اصحى جاءنا رزق. أنت يا عيني محروم مضت شهور لم تذق لحم نساء!

يشخر أبوبكر وهو متعب:

- أبا بكر استيقظ.. يا رجل اللحمة جاءت.

لا يتّحرك أبو بكر. سحبه من قدميه؛ فانخلع الحذاء في يديه، انفجرت رائحة نتة من قدميه؛ كاد عثمان يغشى عليه. أنت لا تصلح حتى أن تقترب من امرأة. لا تستحم. أف أف حتى أبو محمد لا يريد أن يشترى ماء لابنه؛ ليحميه. تغطي وجهك وتنام هنا أحسن سأذهب لأرى الموضوع.

اتّجه مسرعا إلى الغرفة التي بها النساء الثلاث بعد أن وضع بعض العطر.

فتح الباب وأغلقه وحين استدار وقعت عيناه على لامار

- أنت غير معقول!

أشارت له بذهول:

- أنت لا أصدق نفسي!

صوت عال من الخارج كان صوت ضوء المكان

- افتح يا عثمان، ياعم القاضي افتح.

يهمس عثمان لنفسه:

- ليلة أبوك سودا، كان يوم إسود يوم عرفتك، وعرفت أبوك.

يتجه نحو الصالة يصب ويدفق بعض الماء على وجه أبي بكر حتى يستفيق:

- اصحى.

كان صوت ضوضاء كان الفتى ضوء المكان صاخبا:

- افتح يا عم عثمان، ياعم القاضي.

يفتح الباب:

- نعم عاوز إيه مني؟

- أنا قلق، حاسس عندك نسوان.

- عندي أبو بكر.

ينادي عثمان:

- يا أبا بكر رد

وهو نائم في الغرفة

فزعت لامار

- أبو بكر؟! سمعتما أبا بكر؟

قالت السارية:

- مين أبو بكر؟

- أبي

....

....

المكان/ باب بيت عثمان.

على الباب يقف ضوء المكان سكران يحدثه:

- أقول لك يا عم القاضي، شامم رائحة نسوان.

يردّ عثمان بغيظ..

- يا عم أبو بكر رد علي وارفع صوتك يا أبو بكر؟

ردّ أبو بكر:

- أقول إيه يا سيد عثمان؟

- سمعت يا فقري يا حقير؟ سمعت صوته؟ امشي شكلك سكران، امشي.

- طيب اجعله يقول تاني، أذني مسدودة.

- ليلتك سوداء يا ابن شيحا ودنيا زاد.

التفت للداخل وأمسك الباب بقوة حتى لا يقتحمه ضوء المكان

- رد يا أبا بكر وعل صوتك يا أبا بكر.
- نعم يا سيد عثمان.
- سمعت؟

يمشي ضوء المكان مترّنحا في الحارة، يغلق عثمان الباب، ويجري إلى حجرة النساء، تتجه لامار نحوه وعيناها جاحظتان:

- أنت قلت أبا بكر، وهو رد؟
- أبو بكر من؟
- البنات سمعوا معي وسمعوا صوت رجل!
- تهيؤات.. أنا لم أتحدث مع أحد.

المكان الصالة بيت عثمان، تململ أبو بكر فخلع فردة الحذاء الأخرى:

- تعال كمل أكلك يا سيد عثمان؟

قالت لامار ها هو صوت رجل.

- هذا صوت قادم من الجيران الجدران فضاحة.

نظرت له السارية:

- هل تحلمين بصوت رجل وقلت أبوبكر؟

سمع أبو بكر اسمه من الداخل صاح:

- نعم من ينادينى؟
- سمعت يا عثمان؟
- لم أسمع.

وقفت هوى ونادت:

- يا أبا بكر.

رد أبو بكر:

- نعم يا سيد عثمان صوتك أصبح ناعما لماذا؟!

- ها رد

- اه دا صوت عفريت أحضرته، ولم أصرفه، يلعب معكم.

قالت السارية:

- عفريت في عينك.

همست البنات لبعضهن وفى صوت واحد صاحوا:

- يا أبا بكر يا أبا بكر.

رد أبو بكر:

- نعم.. نعم فيه إيه؟

- سنخرج لنرى.

وقف ومد ذراعيه؛ ليمنعهن.

قال وهو يرتجف:

- نعم في الحقيقة هناك رجل في الخارج.

نظرت لامار للفتاتين:

- ألم أقل لكما!

- وهو الذي يرد عليك وعلينا الآن؟

- نعم.
- هو هنا في البيت في الصالة؟
- نعم.
- أريد أن أراه الآن.
- ترى ماذا؟ لو شممت رائحة قدمه؛ سيغمى عليك! هذا رجل كبير السنّ يبحث عن ابنته جاء من اليمن.

صرخت في وجهه ودفعت الباب إلى الصالة:

- أبي أبي، أبويا، أبويا هو.

فوجئ الأب المسكين بلامار تجرى نحوه:

- أبي أبي.
- لامار! لامار، لامار، لا إله الا الله، أنا في حلم ولا علم، لا إله الا الله، لامار، لامار أنت هنا حيّة؟!
- أبي.

احتضنها وظلاّ يبكيان بحرقة أمام ذهول عثمان. والسارية وهوى يضربان عثمان على رأسه.

- أنا حمار قال لي اسمها لامار، وهي قالت اسمى لامار، ولم أنتبه! والله لم أنتبه.

وهكذا وجدت لامار أباها، وهنا وقف عثمان وشم عطر جسدها؛ فانبهر فقال له:

- أبا بكر زوجني بنتك على سنة الله ورسوله، وسأشتري لك داراً، واذهب وهات أمها وأخواتها هنا.

نظرت له لامار:

- هل جننت؟ أنا لا أتزوج من رجل نصاب وكذاب وأفاق!

- الله يسامحك يا بنت الناس.

قالت السارية:

- أنت رجل غير منضبط وأخلاقك زبالة.

- سأتوب على يديها، أعطونى فرصة ولن أسكر.

قالت هوى:

- وعلاج النسوان والعفاريت؟

- سأتوقف من الساعة دي.

جذبته من يده لامار بعيداً عن أبيها وقالت له:

- أنا حامل هل تعلم؟

- خير وبركة الواد دا رزق من السماء؛ حيكون ابني وأسميه أمل.

- عثمان؟!

جلس على ركبتيه أمامها:

- اديني فرصة وشوفي؛ حدفع مهرك لأبوك دارا وحمارا وألف دينار، ومرتب كل شهر.

تخشى لامار أن يكون جمالها نقمة وتصير حديث الناس، الزواج هو الخلاص والنجاة لكثير من البنات. تبتهج البنات بالوهم أن العريس هو الفارس القادم؛ يخطفهن على حصانه الأبيض أو الأسود أو البني. يجرى بهن بعيدًا، قد يكون الحصان أعمى فلا يعرف مكان قصر أحلامهن؛ فأجد نفسي في كوخ أو في الفراغ، صحراء جرداء، أبحث عن حلمي، ولن أجده أبداً؛ فتكون الأماكن هي الأحلام المؤجلة، أو المهزومة.

جلست لامار تفكر وقالت:

- نصيبي وقسمتي.

أغلق الباب عليه وعليها صارت لامار نصيب عثمان.

لم يخرج من الدار ثلاثة أشهر.

فى الشهر الأول جاء إليه حوالي مائة حالة من النساء اللائي ركبهن جن كان؛ يفتح الشباك ويقول:

- ما فى جن أنا بطلت خلاص. توبنا إلى الله.

فى الشهر الثاني

جاء إليه صنقر مساعده فى دار القضاء الفارغة بالمرتب؛ استلمه من عتبة الباب وقال له:

- قل لقراقوش إني مريض بمرض معدي، ولن أخرج إلا بعد الشفاء، وكل يوم هات لي من السوق الخضار، وقربة ماء، وفاكهة وكيلو لحم مشوى.

فى الشهر الثالث

جلس على الفراش وأمامه لامار وقال لها:

- أعرف أنا لا أستحقك، أنت تستحقين أميرا، وزيراً، ملكاً، والله لو كتبت عنك ديوان شعر، فهو قليل، وأنا لا أعرف الشعر.

لم يسكر، لم تأتِه غواية النساء. قالت له:

- لا بد أن تذهب للعمل، ثلاثة شهور كفى، كفى يا عثمان؛

فخرج وظهر للعامة.

....

....

الزمان/ بعد عامين.

المكان/ ساحة في القاهرة.

مواطنون يجرون هنا وهناك.

أصوات : قراقوش في السيدة.

صوت : مثلما بنيتم الأهرامات؛ تبنون القلعة لصلاح الدين. هكذا قال قراقوش.

....

....

الفصل الخامس
لامار و ضوء المكان

الزمان : ليلاً .

المكان : أمام بيت القاضى عثمان وعليه علقت فوانيس.. مدخل الحارة

صوت١ : قراقوش في الجيزة.

صوت٢ : قراقوش خرج من الفسطاط منذ ساعة.

صوت٣ : قراقوش ترك القاهرة وقادم إلى هنا.

: يدخل ضوء المكان

ضوءالمكان : قراقوش.. قراقوش.. كل الناس تستيقظ وتنام قائلين قراقوش.. ماذا حدث؟ ما الذي يجرى؟ ما له قراقوش؟ ألا يوجد في مصر غير قراقوش! يا إلهى ألم يعد في مصر رجال؟! ما يحيرني فعلاً كيف اختاره صلاح الدين الأيوبي؟ ولماذا هذا بعينه اختاره نائباً له يحكم البلاد، ويتحكم في العباد! عينه على مصر وسافر إلى الشام. وما لى أنا؟ (يهرش في رأسه) (يفتش في جيوبه ويخرج ما فيها حيث لا يوجد شيء) أنا مفلس. وماذا بعد؟ ماذا أفعل؟ (ينظر يمينه ويساره فيجد بيت القاضي) هذا هو بيت القاضي؛ فلأناديه وأزعجه.

(ينادي) يا عمي القاضي، يا عمي عثمان. يا قاضي الجيزة.

عثمان : (يفتح الشباك في الدور الثاني يظهر له وذقنه مصبوغة بالأسود) من ينادي على القاضي؟

ضوءالمكان : أنا ضوء المكان ابن شيحا. حبيبك مصباح، والله زمان، نسيت العيش والملح!

عثمان : (مغتاظاً من النافذة) وماذا تريد يا بن شيحا الحداد في هذه الساعة؟

ضوءالمكان : أريدك يا عمي القاضي عثمان. فين أيام زمان رايح وجاي على الدكان.

عثمان : (مغتاظاً) الصباح رباح يا بن شيحا.

ضوءالمكان : المشكلة صعبة يا عمي القاضي، لا تتحمل الصباح.

عثمان : إن كنت تشكو أحداً أو أحد يشكوك فالصباح رباح، تعال غداً إلى الديوان.

ضوءالمكان : (يضيق وهو يحرك جيوبه في الهواء للجمهور) يا عمي القاضي الأمر عاجل ولا يتحمل الانتظار! انزل في الحال. فيه واحدة راكبها شيطان وعندها فلوس أكوام تعالَ طلعه.

عثمان : أنا نائم، ليس لدي وقت لهذا، بطلنا الشغلانة دي(يغلق النافذة) طلعه أنت يا بن شيحا الحداد.

ضوءالمكان : الله. الله. ما هذا؟! أتغلق النافذة في وجهي وتتركني هكذا! يا للعار. (يصيح بصوت عال) أين العدل.. أين العدل؟ وأنت نائم يا جناب القاضي، أنقذني يا جناب القاضي. العدل نائم، وأنت نائم. آه.. آه يا أبي وأه يا أماه. الفقير ليس له من ينصفه في مصر! أين صلاح الدين

يرى القاضي، أين أنت يا صلاح الدين؟

عثمان : (يفتح الباب ويخرج له) ماذا بك يا ولد؟ لماذا تنوح هكذا؟؟!

ضوءالمكان : قراقوش.. قراقوش.

عثمان : أعوذ بالله.. ماذا به؟

ضوءالمكان : يقولون إنه ترك العمال بالقلعة ونزل إلى البلد.

عثمان : ولماذا يتركها في مثل هذه الساعة؟ ثم ما شأنك وشأن قراقوش؟ أتوقظني من نومي لتقول لي: قراقوش قادم، والعدل نائم، والقاضي نائم؟ عيب عليك! لقد كبرت وشاربك في وجهك وتفعل أفعال الصغار! وبعدين أنت عارف أنا بطلت حكاية عفاريت النسوان دي من زمااان.

ضوءالمكان : أنا عامل لك مخبر وعسس وجاسوس، أنت زمان قلت لي تعال اشتغل بصاص.

عثمان : لا أريد مخبرين، ولا عسس، ولا جواسيس، ولا بصاصين.

ضوءالمكان : أنا مخطئ يا سيدى.. لا تغضب مني.

عثمان : لو فعلتها مرة أخرى وجئت إلى هنا؛ ستندم (يريد أن يدخل لينام) سآمر بحبسك في الصباح.

ضوءالمكان : إلى أين أنت ذاهب؟

عثمان : سأدخل لأنام.

ضوءالمكان : لا.. لن تنام. والله لن تنام إلا عندما تحل مشكلتي.

عثمان : ماذا تريد؟

ضوءالمكان : (يهرش في رأسه) زوجة أبي في حالة وضع الآن؟ ووالدي يريد معونة، وأنا ليس لدي نقود، وهذه هي جيوبي (يشير إلى جيوبه)

عثمان : ماذا؟ أبوك يا ضوء المكان ما زال ينجب من أمك؟! لا أصدق...

ضوءالمكان : الحمد لله.

عثمان : من أمك؟

ضوءالمكان : لا من زوجته الجديدة.

عثمان : من؟ الست " وحيدة " ؟

ضوءالمكان : لا... البنت عزيزة، بنت نحمده بائعة الجبن القديم.

عثمان : أيتزوج من هي في سن بناته!

ضوءالمكان : أتحسد أبي على حسن صحته؟

عثمان : صحيح لديه سبعون عاماً، ولديه من الأولاد ثلاثون وأنت أكبرهم، انظر إلى نفسك ماذا تعمل؟ لص.. لص يا ضوء المكان. وبقية أخوتك؟

ضوءالمكان : (مقاطعاً) الله الله.. ما هذا؟ لماذا توبخني هكذا؟ هل وجدت عملاً شريفاً ورفضته؟! ثم إنك في سن أبي وتزوجت ألف واحدة واحدة ولم تنجب منهن.

عثمان : حكمة الله. أتشمت في يا بن شيحا الحداد؟ اذهب بعيداً عني، فليقطع عنك الله الخلف.

ضوءالمكان : سامحك الله. سامحك الله يا عمي القاضي. أنت مثل أبي ولن أرد عليك.

عثمان : أنا لست مثل أبيك. أبوك شيخ منصر. شيخ الحرامية! يدعي الشرف، يبيع السيف بمائة دينار، ويتعامل مع اللصوص ورشيد شيخ الجبل الذى يعارض صلاح الدين.

ضوءالمكان : هذا كان زمان، صلاح الدين أغلق دكاكين الحدادة والأسلحة. ثم إنك أنت الذي قلت: لا تسرقوا.. لا تسرقوا. وها نحن لم نعد نسرق ولا نجد لقمة العيش! إذن أعطنا نقوداً ؛ لنعيش ما دمنا هجرنا السرقة.

عثمان : لا يا ضنايا، لقد تركتم السرقة؛ لخوفكم من قراقوش.

ضوءالمكان : لسنا وحدنا الخائفين من قراقوش، المحروسة كلها خائفة من قراقوش. ولكن قول يا شيخ عثمان ما معنى قراقوش هذه؟

عثمان : قرة تعني أسود، وقوش تعني طائر، أي الطائر الأسود.

ضوءالمكان : لكنه ليس أسود، فهو أبيض، وخدوده حمراء، وشعره أصفر، وعيناه زرقاوان...

عثمان : (مقاطعاً) اسمع يا ولد. خذ نصف دينار وانصرف.

ضوءالمكان : نصف دينار؟! وماذا أفعل به ؟ الداية تريد ديناراً ،

والعطار يريد ديناراً مقابل المغات والحمص والسوداني والبندق والفستق. ألن نقيم سبوعاً للولد أم ماذا؟ أيولد هكذا في صمت دون احتفال؟ لا بد له من سبوع.

عثمان : خذ ديناراً آخر (يعطيه ديناراً) وأرني عرض أكتافك.

(ص) لامار : يا عثمان.. هيا كف عن الكلام.

ضوءالمكان : يوجد صوت سيدة في منزلك؟ الله.. الله. في بيتك حريم يا شقي!

عثمان : (يرتبك) كف عن هذا الهراء وانصرف. يقول في بيتي حريم.. أنا؟!

(ص) لامار : (من الداخل) هيا يا عثمان.

ضوءالمكان : أيها الشقي؛ سأبلغ عنك قراقوش وأقول إنك تحضر النساء إلى منزلك ليلاً. وقراقوش لا يحب هذه الحكايات، وقال ممنوع الزواج للموظفين.

عثمان : يا ولد يا ضوء المكان يا لص. ما الذي جعلني أسايرك في الحديث مع أنني سمعت أنك أصبحت لصا وبصاصا وبائع حمير مغشوشة. لكنك أبيض القلب، كلك عيوب، لكنك طيب. وكنت صديقي ذات يوم من أيام الجاهلية، وأنا تزوجت واستقمت.

ضوءالمكان : أطال الله في عمرك. فهمت، زوجتك لا تقيم معك وهي عند أهلها، وأنت هنا وحيد. أنت تحتاج

لامرأة تحضر لك ماء ساخناً؛ لتضع قدميك فيه، قدحاً من الشاي، لقمة حلوة، تدلك ظهرك. قلت لي ما اسم زوجتك؟ ابنة من؟

عثمان : (يخرج من جيبه كيس نقود، يخرج قطعة يقدمها له) خذ نصف دينار وانصرف.

ضوءالمكان : الحياة غالية والأسعار نار في عهد قراقوش، الدنيا ولعت في الأسعار!

عثمان : خذ نصف دينار آخر واصمت.

ضوءالمكان : أعطني نصف دينار آخر لأصمت؛ ولا أخبر أحدا ولا سبتا ولا جمعة. قلت لي ما اسمها؟

عثمان : خذ (يعطيه نصف دينار آخر)

ضوءالمكان : يبدو أنها سيدة عجوز خطفتها من الترب.. فأنا أعرفك تنظر للنساء الذاهبات للترب يوم الخميس.. قلت ما اسمها؟

عثمان : امش وكف عن تطويل اللسان. (يدخل ويغلق الباب) ما هذا البلاء الذي يأتينا في مثل هذه الساعة؟

ضوءالمكان : (ينظر للباب صارخاً) يا عمي القاضي، أتغلق الباب في وجهي، صبراً. فلينتقم منك الله، ويبعث إليك بقراقوش على غفلة؛ يفتش تحت السرير ويلقاها عندك (يسير خطوتين) لو وجد قراقوش هذه السيدة عندك؛ أخبره أنها أمي. أم ضوء المكان، وقل له إني ضربتها وتركتها لتنام عندك.

لكن لم تخبرني ما اسم أمي التي عندك؟ (يضحك)

عثمان : امش من هنا. صدعت رأسي يا ولد. (يخرج ويرمي كوب ماء)

ضوءالمكان : الله الله.. رش المياه عداء. (ينظر للماء) من المؤكد أنه تزوج واحدة من إياهم. لا.. لا يفعلها. إذن فقد تزوج غازية، أو مغنية. فلأنصت إلى الباب قد أسمع شيئاً.

(يقف لينصت على الباب) (صوت لامار وعثمان)

ص لامار : ماذا يا عثمان ما كل هذا الكلام؟! مع من كنت تتحدث؟

ص عثمان : إنه ولد فقير، أمه تلد الآن، ويريد مساعدة؛ أعطيتها له.

ص لامار : لا بد أن أنصرف فقد تأخرت.

ضوءالمكان : أنا أعرف هذا الصوت جيداً.

ص عثمان : ما زال هناك متسع من الوقت، فلتبقي معي قليلاً.

ص لامار : سأمر عليك غداً في نفس الموعد.

ص عثمان : انتظري لأرى إن كان هناك أحد بالخارج.

ضوءالمكان : (وهو يختبئ) فلأختبئ.

(يفتح عثمان الباب، يلتفت يميناً ويساراً، يطمئن، يشير إلى لامار)

عثمان : مع السلامة. مع السلامة يا حياتي. يا حبيبتي.

: (تخرج لامار.. تغطى وجهها بشاش أبيض أو أسود، تسير في الشارع) (عثمان يغلق الباب)

ضوءالمكان : (يفاجئ لامار) إلى أين يا جميل؟

لامار : أفزعتنى يا رجل! من أنت؟

ضوءالمكان : أنا ضوء المكان، أشطر شطار المحروسة. ويسمونني مصباح.

لامار : وماذا تريد يا ضوء المكان؟

ضوءالمكان : عري وجهك يا بنت. وقولي لي من أنت؟

لامار : استر علي يسترك ربنا ويستر أهلك.

ضوءالمكان : أنا أعرف هذا الصوت جيداً .أنا أعرفك يا بنت، صوت حلو جداً يا بنت. أقصد يا خالتي؛ عشان زوجة القاضي.

لامار : (بشجاعة وقوة) خالتك؟

ضوءالمكان : أعرف أنت زوجة القاضي، وما دمت زوجة القاضي؛ فأنت خالتي.

لامار : ما دمت تعرف أبعد عن طريقي، واجعل الليلة تمر على خير. (تحاول أن تمر فيمنعها)

ضوءالمكان : هذا الصوت أعرفه جيداً . أرني وجهك.

لامار : سأصرخ؛ ليتجمع الناس حولك.

ضوءالمكان : اصرخي.. اصرخى يا خالتي، فضيحة زوجة القاضي وضوء المكان الشاطر الصايع، فضيحة في المحروسة. أرني وجهك. أعرفك ثم أتركك

نمرين، وأعدك أنني لن أخبر أحداً.

لامار : احلف لي.

ضوءالمكان : بشرف الشطار، وليس بشرف التجار.

لامار : وما الفرق؟

ضوءالمكان : التاجر إذا حلف بشرفه؛ فهو سارق، أما اللص إذا حلف بشرفه؛ فهو أمين.

لامار : حسنٌ يا أمين. (تعرى وجهها) ها أنا. رأيتني، عرفتنى، انبسطت؟ ارتحت (تبكي)

ضوءالمكان : أنتِ؟! (يفاجأ)

لامار : نعم.

ضوءالمكان : (يدق قلبه) يا بنت أنا دايخ عليك، أنا أبحث عنك في كل حارة وكل شارع. أنت أجمل جارية في قصر الخليفة العاضد بالله. أنت تتزوجين من عثمان القاضي العجوز الفاسد؟!

لامار : مال بختي. وهو تزوجني من أبي واستقام، لا يعالج النساء، ولا يسكر، ولا يسهر؛ لقد تاب على يدي.

ضوءالمكان : لقد بحثت عنك كثيراً. عندما باع صلاح الدين جوارى الخليفة؛ بحثت عنك في كل الأسواق. والآن أراك بعد كل هذه الأعوام؟ أنا لا أصدق عينيَّ!

لامار : للضرورة أحكام يا ضوء المكان. استأذنك. اتركني أمشي.

ضوءالمكان : وكيف تمشين بعدما وجدتك؟

لامار : لا تقلب علي الأوجاع يا ضوء المكان. كل واحد له دنياه.

ضوءالمكان : كنت دائماً أقفز إلى قصر الخليفة العاضد بالله؛ لأراك في البستان.

لامار : كان هذا من زمن عندما كنت صغيرة.

ضوءالمكان : نعم كنت صغيرة وجميلة، لكنك اختفيت، وبحثت عنك والله.

لامار : منذ أن حرق قراقوش المسلمين في المساجد.

أصوات : عاش صلاح الدين.. عاش صلاح الدين.

(ضوء المكان ولامار)

لامار : وجاء صلاح الدين، واحتفظوا بي طباخة، أما هوى صديقتي باعوها، وهربت وجاءت إلى المطبخ معنا، أما أنا في قصر السلطان الخليفة العاضد جارية سابقا، وقصر صلاح الدين حاليا. ورويداً رويداً ؛ صار صلاح الدين وزيراً. ثم أميرا وخليفة. وقلنا إننا سنعيش في سلام، لكن من أين يأتي السلام؟ والمكتوب على الجبين لا بد أن تراه العين! وأصبح الكل يتحدث عن الوزير صلاح الدين الأيوبي.

ضوءالمكان : أذكر ذلك اليوم؛ عندما ثار الوزير صلاح الدين الأيوبي على الخليفة العاضد، وأحرق قصر العاضد، وأعلن صلاح الدين أنه هو الخليفة.

لامار : وأتى لنا صلاح الدين بقراقوش؛ ليصبح وزيره.

ضوءالمكان : جعل عاليها سافلها، يذبح من بها، ويشنق أهلها.

لامار : وهربت كل الجواري. باع صلاح الدين جواري، وترك التجار يبيعوننا؛ فذهبت للقاضي أشكو زماني، فقال سأتزوج هذه البنت سراً؛ حتى لا يغضب مني قراقوش. وأكرم أبي. وأحضر إلى هنا؛ فأنظف له المنزل وأعد له الطعام، وأحضر لي أمي وأخوتي وأبي.

ضوءالمكان : مهلي قليلاً هل أنت بنت عثمان؟ يا راسي! وأنا أقول كيف اختفى؟ وأنت تزوجتي وتنظفين المنزل حسنا. تطهين الطعام حسنا. وماذا بعد؟

لامار : ماذا تعني؟

ضوءالمكان : أعني أتغسلين ملابسه؟

لامار : طبعاً .. ألست زوجته؟

ضوءالمكان : أتحميه؟

لامار : أنت يا ولد.. ما زلت قليل الأدب!

ضوءالمكان : يا بنت ما دام هو زوجك وأنت امرأته؛ أقيمي معه أنت وأمك. وملعون أبو قراقوش.

المنادي : (يظهر المنادي)

يا موظفين يا موظفات.. مرسوم.. مرسوم من قراقوش. ممنوع الزواج؛ حتى لا تتعطل الأعمال. الموظف الأعزب؛ سيهتم بالعمل أكثر، والموظف

المتزوج سيبقى مهموماً غلبان يفكر في الست والعيال.

ضوءالمكان : الزواج حرام في زمن الخصيان! عجبى من هذا الزمان. الشباب لا يقدر على تكاليف الزواج، وناس في سن السبعين معهم أموال ويتزوجون في السر! فعلاً هذا زمن الجيب الدافئ، والجيب العمران. اذهبي يا لامار. اذهبي يا بنت الناس.

لامار : استر علي يا ضوء المكان. في أمان الله.

ضوءالمكان : قلت لك كلام شطار وليس كلام تجار. في أمان الله. (يخرج) فلأذهب إلى حانة نعمان؛ أريد أن أسكر.

: (يخرج ضوء المكان.. تقف لامار حائرة)

لامار : استر يا رب. (يدخل ثلاثة رجال ملثمين إلى الحارة بينهم قراقوش)

قراقوش : من أنتِ يا بنت؟

لامار : قولوا أنتم من أنتم؟

قراقوش : أنت جاسوسة للفاطميين أم للصليبيين؟

لامار : أي جاسوسة؟ ولمن؟ وما هذا الذي تقوله؟

قراقوش : تعالي هنا يا بنت. اقتربي.

لامار : أقترب؟ كيف؟ (تخاف ترتعد، تدق باب عثمان)

: يا عثمان.. يا عثمان، افتح يا عثمان بسرعة.

عثمان : من؟ من، لامار! (يفتح الباب، تدخل لامار وتجري) ماذا حدث يا لامار؟

لامار : أنقذني يا عثمان من هؤلاء اللصوص. (يضحك قراقوش، يضحك الرجلان)

عثمان : اسمع يا لص أنت وهو ألا تعرفون من أنا؟

قراقوش : (وهو ما زال ملثما) لا.. لا نعرف.

عثمان : أنا القاضي عثمان.

قراقوش : حسنا أيها القاضي. هذه البنت جاسوسة للفاطميين والصليبيين.

لامار : بنت تبتك يا غبي، إنها سيدتك. ألا تعرف من أنا؟ قل لهم يا عثمان.

عثمان : نعم نعم. ماذا أقول لهم؟ (يتردد) ألا تعرفون من هذه؟

لامار : أنا زوجته، زوجة القاضي، وأنا وصيفة الخليفة العاضد رحمه الله.

قراقوش : إذن أنت لامار؟ إذا الأخبار التي وصلتني صحيحة، أنك متزوج من بنت اسمها لامار.

لامار : سيدتك لامار يا غبي.

قراقوش : إذن فقد تزوجت لامار يا قاضي وخالفت أوامر قراقوش!

لامار : ومن هذا القراقوش؟ مجرد عبد مملوك، ليس له أهمية، ظل يتسحلب ويتدحلب في قصر الخليفة العاضد بالله؛ وزرعه صلاح الدين وتركه يحكم مصر.

قراقوش : صه اسكتِ يا بنت. أنت مقبوض عليكِ أنت

وعثمان.

عثمان : هأ هأو.. أنا القاضي يا غبي. أنا الذي آمر بسجنك والقبض عليك؛ بتهمة التعرض لامرأة في الطريق العام ومحاولة اغتصابها، وأطلت لسانك على القاضي.

لامار : يبدو أنهم عيال شطار متخفين في زي عسكر.

قراقوش : لا.. لسنا شطار يا لامار. (يزيح اللثام) أنا قراقوش.

الجنديان : عاش قراقوش.

لامار : عثمان!

عثمان : لامار.. رحنا في داهية.

الزمان : ليلاً

المكان: حانة نعمان

(أغنية قطعني حتت، هاتوا السكاكين)

(دخان وكؤوس تدور على الضيوف)

(في اليمين مستوى أول: تجلس بوسة مطربة ومغنية. تغني ياللي الهوى رماك)

(في مستوى ثان: يجلس فل تاجر الحشيش وبجواره ابن مماتي)

(في المستوى ثان: يجلس زنبيل تاجر العبيد ومعه بعض الجواري)

(في المستوى الثالث: ثلاثة براويز. برواز ذهبي في اليمين (لصلاح الدين) برواز فضي في الوسط (لقراقوش)

(المطربة تغني قطعني حتت، هاتوا السكاكين)
(يدخل إلى الحانة ضوء المكان وهو يتمايل ويرقص ويغني)

ضوءالمكان : قطعنى حتت، هاتوا السكاكين. مساء الفل على الحبة دول (ينظر إلى اليسار) والحبة دول (ينظر إلى اليمين) (يلتفت ضوء المكان حتى يجد ابن مماتى يشرب من كأس وأمامه زجاجة؛ يتجه نحوه، يهرش في رأسه كعادته)

ضوءالمكان : مساء الفل.

ابن مماتى : اجلس واشرب كأسا.

ضوءالمكان : عطني ديناراً أولاً.

ابن مماتى : لماذا؟

ضوءالمكان : لكي أشرب كأساً. أنا ضوء المكان بن شيحا. محسوبك عبد من عباد الله الجدعان الشطار، الفقراء. أعطني ديناراً.

ابن مماتى : (يخرج كيس النقود؛ يعطيه ديناراً) خذ (ينظر ضوء المكان للنقود بشراهة، يخرج ابن مماتي نقوده) وخذ ديناراً أخر، وديناراً ثالثا. أنا ابن مماتي (ابن مماتي كان غاضباً حانقاً بلا شك على القائد قراقوش الذى يقربه صلاح الدين إليه. وهو حانق من وجهة نظر مذهبية كما يذهب البعض، وهو حانق كذلك؛ لأن أمور مصر ساءت على الرغم من الإنجازات التي حققها صلاح الدين في الخارج من

صفحات وضاءة فى الفتوحات وصد الصليبيين، ولكن هذه الصفحات كانت مصابة ببقع كثيرة من الحكم الاستبدادي فى الداخل وإطلاق الشهوة "القراقوشية" قراقوش كان كثير اللجاجة والخصومة، فلا يقر مبدأ المنافسة فى الأمور، ولا يحتمل الإصغاء إلى جدل من كبير أو صغير، وله رأي فى معاملة السوقة والعامة، هو أخذهم جميعا بالقهر والقسوة، وهكذا فعل بالأسرى وبالعامة الذين سخرهم في بناء الأسوار والحصون. (الفاشوش في أحكام قراقوش ص٦٣) فإذا عرفنا أن صلاح الدين كان كردياً، وأن قراقوش قائد جيشه كان صقليا من مماليك القوقاز، في حين كان ابن مماتي مصرياً أباً عن جد؛ لمحنا أثر الصراع بين المصريين والحكام الأجانب. فصلاح الدين لا ينيب عنه مصرياً مهما كان قدره أبداً، وقد كان ابن مماتي مثلاً رئيساً لديوان الجيش وديوان المال في ذلك الوقت، وكان قراقوش قد أوقفه عن العمل شهورا؛ لاحتجاجه على رفع الضرائب وسخرة الناس لبناء القلعة)

ضوءالمكان : رجل كريم جداً أنت، ويبدو أن معك نقوداً كثيرة.

ابن مماتى : أنا معي كنوز، عندي.

ضوءالمكان : (يلتفت يميناً ويساراً) اخفض صوتكن الناس تسمعك. وأولاد الحرام؛ لم يتركوا لأولاد الحلال

حاجة. اشرب.. اشرب.

(يشرب كأساً) وأين هذه الكنوز.. إذن؟

ابن مماتى : معي هنا بعضها.

ضوءالمكان : معك هنا؟! (بلهفة وهو ينظر حوله؛ فيجد جوالاً)

ابن مماتى : نعم معي هنا. ها هي (يشير إلى الجوال)

ضوءالمكان : يا سلام عليك يا رايق! والله لقد انشرح لك قلبي. هل تعرف؟ شيء ما جذبني عن بعد، ناداني بمجرد أن دخلت الحانة وقال لي: هذا الرجل الملاك بعثه لله لك. أعطني قليلاً من كنوزك.

ابن مماتى : حاضر.. حاضر يا ابني.

ضوءالمكان : سأغمض عيني؛ حتى لا أفقد الوعى. أول مرة أرى كنزاً حقيقياً. ها أنا أغمض عينى. واحد.. اثنان.. ثلاثة.

ابن مماتى : (يخرج ابن مماتي كتاباً يقدمه له) خذ.

ضوءالمكان : أفتح عيني؟

ابن مماتى : افتح. هذا كنز.

ضوءالمكان : (يفتح عينيه) أين؟

ابن مماتى : ها هو ذا الكنز. كتاب تلقين أحكام الفقه. (يقدم له كتاباً آخر) وهذا كنز آخر. سر الشعر وسر النثر.

ضوءالمكان : أنت لم تفهم ما أقصد! هذا ورق. أنا أريد كنوزاً.

ابن مماتى : هذه هي الكنوز.

ضوءالمكان : هل سكرت أم ماذا؟ أقول " كنوز وليس تيوس" الورق تأكله التيوس. يعنى الخنازير. أنت لم تفهم.

قلت لي معك كنوز أين تخفيها؟

ابن مماتى : ها هي الكنوز. (يشير إلى الكتب)

ضوءالمكان : هل شربت حجرين شديدين من فل؟ (ينظر إلى فل تاجر الحشيش) يا فل، يا معلم فل.

ابن مماتى : أين الفل؟ أين الزهرة الجميلة الفل؟

فل : (يدخل) مساء الخير. (شكله كريم للغاية)

ابن مماتى : أنت فل؟ هذا لا يعقل! أنت اسمك خطأ. لا بد أن يكون اسمك زبالة، كناسة، مركوبا.

فل : ولم هذا الغلط؟ افتح دماغك يا رجل. (يحاول الهجوم عليه)

ضوءالمكان : لا.. لا فتح مخك الرجل عنده كنوز، لكنه أخطأ قليلاً، بدل أن يحضر جوال الكنوزح أحضر قليلاً من زبالة ورق من أجل التيوس.

فل : يا عم هذا لا يبدو على وجهه أي كنوز.

ضوءالمكان : يا فل انظر جيداً. إنه يلبس جبة غالية، وطاقية غالية.

فل : غالية ونفيسة وبهيجة. يا عم اتركني؛ طيرت الحجرين من رأسي. (يتركه ويمشي)

ابن مماتى : اقعد يا ولد.

ضوءالمكان : أنا خدامك، لكن قل لي أين الكنز؟ أرحني أراحك الله من الدنيا وبلواها.

ابن مماتى : أنت تعجبني يا ولد.

ضوءالمكان : أنا لا أحب هذا الكلام. أعجبك أو لا أعجبك. أنا

رجل وسيد الرجال.

ابن مماتى : يا ولد أنت تعجبني.

ضوءالمكان : لا داعي لهذه الأشياء! من أنت؟!

ابن مماتى : أنا ابن مماتي.

ضوءالمكان : نعم..! ابن من؟

ابن مماتى : ابن مماتي.

ضوءالمكان : من الذي مات؟

ابن مماتى : أنا اسمي ابن مماتي، أبى كان من الأدباء الكبار، والمسئولين الكبار في الدولة الفاطمية، وفي أيام المجاعة كان الأطفال يقفون على بابه ويقولون مم أتي.... م أتي؛ فسموه مماتي.

ضوءالمكان : ومات...؟

ابن مماتى : نعم.

ضوءالمكان : سيدخل الجنة مع أبي رحمه الله، إن شاء الله عندما يموت أبي. وماذا تعمل؟ (يشرب كأساً)

ابن مماتى : وزيراً.

ضوءالمكان : (يبصق المياه من فمه) أعوذ بالله.

ابن مماتى : سابق.. وزير سابق.

ضوءالمكان : خضتني! أنت سكران سكرة قوية، الحمد لله أنهم خلعوك. قلت لي أين تضع الكنوز؟ لأنه في الحقيقة عندما يكون عند أحد كنز؛ فإنه يوجعه. لا يعرف النوم ليلاً، ويقول آه يا كنزى. اقطع إصبعك، أقصد كنزك؛ تشفِ. هيا أعطني الكنز.

ابن مماتى : (وهو يشرب) قلت لي ماذا تعمل؟

ضوءالمكان : رجل أعمال.

ابن مماتى : لا أفهم ماذا تعمل؟

ضوءالمكان : أحيأنا أقفز على المنازل؛ لأنظفها من الفضلات.

ابن مماتى : ترفع الزبالة؟

ضوءالمكان : لا.. الذهب، الماس، وأحيأنا أعمل موزعاً مع فل. وأنت هل أنت وزير صلاح الدين الأيوبي؟

: (يظهر في الخلف في البرواز صلاح الدين الأيوبي) (إضاءة على المستوى الأول والثاني)

صلاح الدين الأيوبى : بأمر صلاح الدين الأيوبي خليفة المسلمين، أقلنا الوزير ابن مماتي، وتم تعيين بهاء الدين قراقوش وزيراً ونائباً لنا. (صياح الجماهير) عاش صلاح الدين.. عاش صلاح الدين.

(ظهور قراقوش في البرواز)

قراقوش : بأمر قراقوش وزير ونائب السلطان صلاح الدين الأيوبي المعظم؛ أمرت بحرق الكتب، وطرد الكتاب، وحرق المكتبات، واعتقال الشعراء والأدباء. لا صوت يعلو على صوت المعركة.

: (ضوء على صلاح الدين، إظلام قراقوش)

صلاح الدين : إن المعركة الأساسية التي تواجه الأمة العربية هي الوحدة. وطن واحد من المحيط إلى الخليج. (بلاك) (ضوء على القاضي الفاضل برواز ٣)

القاضى الفاضل : من القاضي الفاضل إلى السلطان المعظم صلاح

الدين الأيوبي. أما بعد، فإن هذه الكتب هي روح الأمة، والثقافة هي النور، والعلم هو نعمة الله علينا. فاسمحوا لي بشراء هذه الكتب.

قراقوش : بأمر قراقوش نائب السلطان المعظم صلاح الدين. الكتابة هبابة، والكتب بها أفكار سوداء وحشو ولغو وتطرف في الدين، والكتاب والشعراء ليس لهم أي لزوم.

(اختفاء الضوء على المستوى الثالث)

ضوءالمكان : كيف أصبح قراقوش نائباً للسلطان؟ ومن قراقوش هذا؟

القاضى الفاضل : بهاء الدين قراقوش هو عبد خصي من المماليك، اشتراه أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين، وعندما تولى صلاح الدين الوزارة للخليفة الفاطمي العاضد بالله؛ عينه صلاح الدين مشرفاً على كل شيء في القصر، ذهب، ماس، مجوهرات، ناس، حريم، ورويداً رويداً؛ أصبح الرجل الأول لصلاح الدين ويده اليمنى....

(بلاك عليه)

ضوءالمكان : هل تعرف؟ لقد ندمت الآن.

ابن مماتى : على ماذا ندمت؟

ضوءالمكان : على أنني لم أعد عبداً خصيا من العبيد في قصر السلطان؛ كان يمكن أصبح وزيراً، أو حتى قراقوش نائب السلطان.

ابن مماتى : ألم أقل لك إنك تعجبني يا ولد! (يمد يده على كتفه؛ فيبعدها ضوء المكان)

ضوءالمكان : دعك من هذه الألاعيب. لقد كنا محترمين حتى الآن. ماذا حدث؟ تكلم من بعيد، لا تضع يدك على كتفي (ينادي) زنبيل.. زنبيل.

زنبيل : (يتقدم ومعه العبيد) نعم يا ضوء المكان.

ضوءالمكان : هل عندك عبيد؟

زنبيل : عندى ثلاثة. ثلاثة من الشباب الأقوياء الأشداء.

ضوءالمكان : (ينظر إلى ابن مماتي) حلال لك يا عم ثلاثة. من يعجبك؛ خذه واشترِه، واتركني وشأني.

زنبيل : أنا خادم السيد أتريدهم؟

ابن مماتى : لا.. لا أريد أحداً.

زنبيل : تريد جواري؟ أنا عندي خمس جوارٍ.

ابن مماتى : لا.. لا أريد شيئاً. لا أريد الشراء.

زنبيل : إذا غيرت رأيك أخبرني. فهمه يا ضوء المكان.

ضوءالمكان : (يهمس بصوت مرتفع لزنبيل) إنه لديه كنوز، ولا يفهم قصدي. لقد نسي أن يحضر النقود. وأنا فقط أريد أن أعرف مكانها وأشتري منك الجواري.

زنبيل : حسنا يا ضوء المكان. (يتركه وينصرف)

ابن مماتى : عندما يهان الكتاب ويلقى في النار وتحرق الأفكار؛ فعلى الدنيا السلام!

ضوءالمكان : لماذا تغضب نفسك هكذا من أجل أوراق؟ عمك قراقوش يحرق الكتب في الأسواق مجيئة وذهاباً.

هل خدعوك وأخذوا منك الكنز، وأعطوك الأوراق؟!

ابن مماتى : أنا لدي ٢٢ كنزاً.

ضوءالمكان : ٢٢ كنزاً؟! يا بختك يا عم، أعطنى قليلاً؛ وأنا أفعل أي شيء تطلبه مني؟

ابن مماتى : هل يمكنك أن تذهب للسلطان صلاح الدين؟

ضوءالمكان : أعطني الكنوز وأنا أذهب إليه.

ابن مماتى : قل له إن المفكرين لم يعد لهم قيمة حذاء، والوزير صار من الخصيان، والكتاب أهين.

ضوءالمكان : اكتب لي كل ما تريد قوله، وأنا سأحفظه، وأقول له يا صلاح الدين يا صلاح الدين. (على الحانة)

: (ضوء على صلاح الدين في المستوى الثالث)

صلاح الدين : إن الصليبيين يحتلون بيت المقدس، والقدس تناديكم؛ فحرروها من أيدي الروم، ومن أيدي الطغاة.

: (صوت الجماهير.. عاش صلاح الدين.. عاش صلاح الدين)

قراقوش : (ضوء على قراقوش) أحرقوا بيوت الكفار، والملحدين الشيعة، وأصحاب الأفكار الهدامة في مصر المحروسة، وابنو سوراً كبيراً يضم مصر والقاهرة، واهدموا المساجد التي تحمل الفتنة، واهدموا الأهرامات الصغيرة في الجيزة. لا أريد تماثيل وأهرامات وأثاراً بالية تقف في عرض الطريق، وأحرقوا قصور العاضد بالله والفاطميين

كلها.

(إظلام)

القاضى الفاضل : (ضوء عليه) يا ناس حرام! المسلم يحرق المسلم، والأهرامات الصغيرة تهدم، والآثار والمساجد والقبور. عمرو بن العاص لم يهدم تمثالا، وأنتم تهدمون! ارحمونا من قراقوش. أين أنت يا صلاح الدين. أين أنت يا سلطان المسلمين؟!

صلاح الدين : ن المعركة الأساسية هي الوحدة العربية أولاً، ثم الوحدة الإسلامية ثانياً، ثم تحرير القدس وهزيمة الصليبيين.

: (إظلام)

(صوت الجماهير وصهيل الخيول، عاش صلاح الدين)

(ضوء على الحانة.. المطربة تغني) قطعني حتت، هاتوا السكاكين. (والجميع يغنون)

ضوءالمكان : أنا سوف أتكلم مع صلاح الدين، وسأتكلم مع قراقوش. لو أردت أن أكلم الجن الأحمر كله ؛سأكلمه.

ابن مماتى : (مقاطعاً) لا، قراقوش لأ.

ضوءالمكان : فقط أعطني الكنوز.

ابن مماتى : أية كنوز؟

ضوءالمكان : الكنوز، الـ٢٢ كنزاً. أنت لا تفهم، فأنت تخلط بين الكنوز والورق. الصنف الذي عند نعمان مضروب.

ابن مماتى : (يضحك) أنت تعجبني يا ولد (يمد يده على كتفه)

ضوءالمكان : قلنا دعك من هذه الألاعيب يا أبا شنب، يا أبا شنب بريمة.

(يحضر أبو شنب بريمة ومعه ثلاث بنات) (له شوارب كبيرة)

أبوشنب : هلاً.. أهلاً بالحبيب الغالي، عندي رومية، وعندي بيزنطية، وعندي تركية. انتقِ واختَرْ.

ضوءالمكان : (لابن مماتي) انتق واختار وابعد عني، ولا تمد يدك على أكتافي، أنت اثنتان وأنا واحدة. يبدو عليك محروم يا عيني، عندما خلعك صلاح الدين وعين مكانك قراقوش.

أبوشنب : الساعة بخمسة دنانير، والليلة كاملة بخمسين ديناراً.

ابن مماتى : ماذا يفعل هذا؟!

ضوءالمكان : لا يفعل شيئاً على الإطلاق. فقط يقول تريد ساعة أم ليلة وكم واحدة؟

ابن مماتى : أنا لا أريد أي واحدة.

ضوءالمكان : (يقف) لا حول ولا قوة إلا بالله.

ابن مماتى : أنت تعجبني يا ولد.

ضوءالمكان : يا جدع دعك من هذا الكلام وإلا أصبتك. (يمسكه من الجاكيت)

ابن مماتى : خذ (يخرج كيس النقود) ادفع لهذا الرجل نقوداً، وخذ أنت الباقي.

أبوشنب : (يخطف الكيس من يد ضوء المكان. ضوء المكان يمسك الكيس من يده)

أوعى هات الكيس. الرجل قال لك أعطه له.

ضوءالمكان : أنت تخطف الكيس من يدي! طيب خذ، خذ (يحدث شجار بينهما. ينتهى بفوز ضوء المكان على أبو شنب.. تحمله البنات وتمشي)

(يأخذ ضوء المكان كيس النقود، ويعطيه لابن مماتي)

ضوءالمكان : أيرضيك هذا؟ ستجعل الناس يطمعون في أكياس المال! لم الدور. غنِ يا بوسة، قطعني حتت، هاتوا السكينة.

بوسة : (تغني المطربة) حاضر يا ضوء المكان.

ضوءالمكان : (يشرب كأسا) أنا أريد أن أفهم شيئاً واحداً فقط، صلاح الدين الأيوبي ماذا يريد بالضبط؟

صلاحالدين : (يظهر) التاريخ الذي سيقول من الذي وحد العرب والمسلمين، وحرر بيت المقدس.

: (صياح الجماهير.. عاش صلاح الدين)

ضوءالمكان : وقراقوش.. ماذا يفعل بالضبط؟

قراقوش : (يظهر في البرواز) أنا الحاكم الفعلي لمصر، والسلطان صلاح الدين له المجد، وأنا لي الشعب. المصريون أقودهم وأحكمهم، وأحرق وأبنى وأهدم وأعمر، هذه هي بلادي.

ضوءالمكان : وأين الناس؟

القاضى الفاضل : (يظهر في البرواز) حسرتي عليك يا شعب مصر، حسرتي عليك يا بلد. للآن لم يأت لك الولد؛ يحكم أرضك وناسكن شارب من ماء نيلك، مولود من أب مصري وأم مصرية! حتى صلاح الدين الكردي؛ ترك الصقلي يتحكم في العباد! حسرتي عليك يا بلد.

ضوءالمكان : أنا أريد أن أشرب كل الكؤوس، أريد الكنوز؟ أريد أن أنسى. أريد أن أنسى كل ما سمعته الآن. أنا سكران، لا أنا ثمل، وهذا الرجل ثمل، لا هو سكران، أنا حمار وأريد أن أبقى حمارا.

(يغني ضوء المكان) قطعني حتت، هاتوا السكينة. (تدخل الراقصة ترقص معه، ويرقص معه كل من في الحانة ومعهم ابن مماتي)

الزمان : ليلا.

المكان : محكمة قراقوش.

اليوم محكمة قراقوش، ويتقدم أصناف من الناس؛ تشكو حالها وظروفها وضيق أحوالها. تظهر لافتة في الخلف كتب عليها محكمة قراقوش. كرسى في المستوى الثالث للقاضي، كرسيان يميناً لمستشاري اليمين، وكرسيان يساراً لمستشاري اليسار.

في المستوى الثاني يميناً يوجد قضبان سجن وقد وقف القاضى عثمان ولامار، خلفها شرطيان يقفان أمام القفص، وميزان العدل مقوس وظاهر الإعوجاج. كتبت لافتة في الخلف بخط جميل (محكمة قراقوش)

عثمان : من المؤكد أن الذي أبلغ عنا هو الولد ضوء المكان اللص.

لامار : لا أظن ضوء المكان لا يفعلها.

عثمان : إنه يفعلها، أنت تعرفينه؟

لامار : (ترتبك) أعرفه. دائما تذكرني، أنا أريدك وأريد ابني؟ لاتخف لن أبيعك لأي رجل، أنت اشتريتني ووقفت معي، وصرت رجلا آخر.

عثمان : لكنك تقولين ليس ضوء المكان!

لامار : لقد سمعته يقول لك: وشرفي، وشرف الشطار ليس مثل شرف التجار.

عثمان : شرفه! لص يكون له شرف؟ وشرف الحرامي هذا كيف يكون شكله؟ أنا أوكد أنه هو الذي أبلغ قراقوش.

لامار : ألم يجد صلاح الدين الأيوبي في مصر المحروسة، ولا الشام ولا الحجاز، إلا قراقوش يعينه علينا ويتحكم! يبدو أنه مكتوب علينا يا عثمان أن نعيش متعبين.

عثمان : أتظنين قراقوش ماذا يمكن أن يفعل؟ يفصلني،

يسجنني؟

لامار : لماذا يفصلك ويسجنك؟ لماذا؟ هل ارتكبت جريمة أم ارتكبت جريمة؟ أنت فقط تزوجت. قل له أنا كبرت، تعبت، وأريد أحداً يخدمني.

عثمان : لا أستطيع يا لامار، لا أستطيع.

لامار : (تقلده) لا أستطيع، لا أستطيع، كلما قلت لك شيئاً تقول لي لا أستطيع! قل لي ما الذي تقدر عليه؟ قل لي شيئاً واحداً ...

عثمان : آه لو رأيت الولد ضوء المكان؛ لكسرت رقبته.

لامار : لا شأن لك بضوء المكان. دعنا في مصيبتنا.

عثمان : لا تدافعي عنه.

الحاجب : (يدخل) مولاي نائب السلطان الأمير بهاء الدين قراقوش. محكمة.

(يدخل قراقوش وسط احتفال مهيب ومعه المستشارون ويجلس)

قراقوش : فتحت الجلسة.

الحاجب : القضية الأولى عثمان عبد الراضي ولامار بنت فطيمة.

عثمان : نحن موجودون.

قراقوش : (ينظر إلى لامار) وهذه لامار التي تزوجتها بدون علمي، وكسرت كلامي وأوامري؟

عثمان : في الحقيقة أنا. أنا كبرت واحتاج إلى....

قراقوش : (مقاطعاً بلهجة استهجان) ماذا تحتاج؟ ماذا

تحتاج وأنت قاض؟ والقاضي يعني العدل. عندما يتزوج القاضي ويكون عنده مشاكل؛ لن يحكم بالعدل. إذن ما الذي قلب العدل في البلد، وقلب الميزان؟ الزواج (ينظر إلى لامار) ثم إن لامار هذه كانت جارية في قصر الخليفة السابق رحمه الله؛ إذن فهي ملك من أملاك الدولة. يعني ملكنا. أليس كذلك يا لامار؟ لماذا أنت صامتة؟

لامار : ماذا تريدني أن أقول يا مولاي قراقوش؟

قراقوش : صوتك ناعم يا لامار، به أنغام. مؤكد أن القاضي عثمان ينام على صوت مثل الكروان؛ لهذا خالف النظام وأعلن العصيان.

لامار : القاضي عثمان لم يخالف النظام، ولا أعلن العصيان، ولم يفعل شيئاً. أنا السبب.

قراقوش : لا أريد كلاما. أمرنا نحن قراقوش نائب السلطان بطلاق لامار من المدعو عثمان بعد أن اعترف أنه مخطئ، وأنه حاول قلب نظام الحكم. أموافق يا عثمان؟

عثمان : الذي تراه يا مولاي.

قراقوش : قل لها أنت طالق يا عثمان وأرحنا؛ لأني لدي قضايا كثيرة.

عثمان : حاضر، أنت طالق يا لامار، يا لامار (يرتبك) طالق.

قراقوش : هائل. الآن بضاعتنا ردت إلينا، تعود لامار إلى

القصر ثانية في المطبخ. (عثمان يبكي) لا تبك يا عثمان؛ لأن قلبي يتمزق عندما أرى رجلاً في وجهه شارب ويبكي. وأنت سعيدة يا لامار.

لامار : لا.. جارية مرة أخرى؟ لا، وكيف أعود جارية وأنا زوجة القاضي أيعقل هذا؟ زوجة القاضي تعود جارية في قصر السلطان صلاح الدين؟! يا عيب الشوم يا أولاد! وماذا سيقول عنك الناس يا قراقوش؟ وأنت العدل والميزان (تشير إلى الميزان) والميزان معووج. ها هو.

أنا خادمتك يا مولاي قراقوش، فقط أعطني الأمان واعدل الميزان، وأعطني وظيفة بدلاً من أن أكون جارية.

قراقوش : وفى ماذا تعملين؟ في الحمام أم في البستان أم في المطبخ؟

لامار : في المطبخ. كما كنت أطبخ لك بيدي يا سيدي.

عثمان : وأنا معها، أعمل طباخاً أساعدها.

قراقوش : لا.. أنت لن تعمل معها، أنت مرفوت، أنت بح. انتهت قضية عثمان. اذهب يا عثمان ولا تخرج من الدار.

عثمان : ولامار؟

قراقوش : ليس لك شأن بلامار. انتظري يا لامار، تعالي اجلسي بجواري. (يقف أحد المستشارين وتجلس لامار)

عثمان : ألقاك على خير يا لامار.

قراقوش : القضية التالية.

الحاجب : الأراجوزات يوسف وأيوب وحمزة. (يدخل الثلاثة يقفون)

قراقوش : يوسف وأيوب وحمزة (يفتح ملف ورق) كنتم لصوصاً ثم اشتغلتم في خيال الظل.

الثلاثة معاً : ربنا تاب علينا.

قراقوش : تقدمون تشخيصاً، وتقلدون، وتغنون، وتهرجون.

الثلاثة معاً : حتى نسعد الناس بالحكايات.

قراقوش : حكايات مثل ماذا؟ أروني ماذا تفعلون؟

حمزة : بص.. فتح عينك تاكل ملبن يا مولاي (يقومون بعمل ستارة) (يظهر في خيال الظل أيوب يمثل دور شاور، ويوسف دور المعلق، وحمزة دور مواطن)

يوسف : كان ياما كان، وزير ظالم اسمه شاور.

أيوب : أنا شاور، حرقت القاهرة، وجعلت الناس تموت وتجرى. أنا الرعب، أنا الموت. أنا أحب الملوخية.

حمزة : يا عم شاور نحن الشعب، حرام أن تحرق بيوتنا وحاجاتنا.

أيوب : أتريدني أن أترك الفرنجة يدخلون القاهرة ويحتلونها؟

حمزة : ندافع عنها.

أيوب : لا، نحرقها، ونشعل النار فيها بدلاً من أن ندافع عنها ونموت.

حمزة : يا خلق يا ناس هذا هو شاور.

يوسف : اتفرج يا سلام على شاور.

قراقوش : (بغضب) يكفي، يكفي قلة أدب.

الثلاثة : ماذا حدث؟!

قراقوش : أنتم تسبون " وزيرا سابقا".

أيوب : لكنه مات وقتل.

قراقوش : أنا لا أحب أن يشتم الفقيرُ الوزيرَ حتى لو مات، ولأنكم تجرأتم وشتمتم الوزير السابق؛ حكمت على كل واحد منكم بخمسين جلدة على قدميه عند باب القصر بعد صلاة العصر.

أيوب : حرام والله.

حمزة : حرام.

يوسف : لماذا هذا يا عم قراقوش؟

قراقوش : صاروا ستين جلدة. ولو تكلمتم كلمة أخرى لصاروا سبعين. إذن؛ فلنجعلهم ثمانين جلدة. انتهت القضية. ما بعده.

الحاجب : سعيد سائس اسطبل مولاي السلطان صلاح الدين الأيوبي، وعباس فارس الحصان كفتة. (يدخل سعيد وعباس خائفان)

قراقوش : (يضرب المنصة بيده ويقف غاضباً) فضيحة،

حصان قراقوش هُزم يا أولاد! زغرطوا يا بنات، حصان قراقوش هُزم. والسبب مين؟ سائس الاسطبل سعيد. أليس كذلك يا سعيد؟

عباس : (قراقوش يمسك عباس) أنا لست سعيداً، أنا عباس يا مولاي.

قراقوش : "قتة" حصاني "قتة" حصان قراقوش يُهزم؟! ومن الذي هزمه "كفته" الحصان "كفته" والسبب من سائس الحصان الذي يدعى عباس (قراقوش يمسك بسعيد) أنت يا عباس عملتها؟

سعيد : أنا سعيد يا مولاي وهذا عباس. (يشير لعباس)

قراقوش : يا حاجب. أين عباس؟

الحاجب : (يقدم له عباس) هذا هو عباس يا مولاي.

قراقوش : (يمسك عباس من قفاه) أنت يا عباس تخونني وتجعل "قتة" يهزم من الحصان "كفتة" في السباق؟! حصاني العزيز. (يبكي بكاء كاريكاتيرياً)

عباس : والله والله يا أمير قراقوش؛ الحصان "كفتة" الذي سبق حصانك. شددت عليه اللجام؛ رفض الوقوف، نط، فط، جري؛ سبق حصانك. قلت له يا كفتة عيب عليك تفعل هذا!

قراقوش : آه يا حصاني، حصاني مهزوم، لا بد أنه حزين. (يبكي)

لامار : (تذهب تربت على كتفه) معلش يا مولاي لا

تحزن، قطعت قلبي، أنت غاضب من عباس؟

عباس : والله شددت عليه اللجام حتى يقف، وقلت له قف "يا كفتة"

قراقوش : أنا لست غاضباً من عباس، أنا غاضب من كفتة.

لامار : غاضب من كفتة نعم، عباس لا.

قراقوش : (وهو يبكي) نعم غاضب من كفتة. كيف يفعل هذا؟ كفتة هذا أعتبره مثل ابني، اقصد مثل حصاني قتة، مثلما أحضر لقتة تفاحا؛ أحضر لكفتة تفاحا، مثلما هذا يشرب ذاك يشرب، مثلما هذا يستحم ذاك يستحم. كيف يخونني الحصان كفتة؟

لامار : حصان عقله ناقص يا مولاي، قرر أنت كيف تريد أن تعاقبه.

قراقوش : (يدق بالشاكوش) قرار من قراقوش، يمنع الحصان كفتة من الطعام لمدة ثلاثة أيام، لا طعام ولا ماء.

لامار : (تصرخ) يا خرابي، يموت. الحصان يموت.

قراقوش : قال يموت يا عباس؟

عباس : نعم يا مولاي يموت.

قراقوش : كيف يموت؟

لامار : زي الناس. ثلاثة أيام بدون طعام ولا ماء؛ يموت.

قراقوش : أقسم يا عباس. احلف.
عباس : على ماذا أحلف يا مولاي؟!
قراقوش : قل والله العظيم والله العظيم.
عباس : والله العظيم والله العظيم.
قراقوش : لن أقول للحصان ولا لأي حد.
عباس : لن أقول للحصان ولا لأي حد.
قراقوش : إنك تطعمه وتسقيه، وإنني أعرف ذلك.
لامار : (على حدة) يا نفوخي! أيحلف إنه لن يقول للحصان ولا أي أحد إنه يعرف؟! العقل يا رب.
قراقوش : ماذا بك يا لامار؟
لامار : لا شيء يا مولاي.
قراقوش : تشكل لجنة لبحث أسباب فشل الحصان "قتة" في السباق.
سعيد : قبل أن تشكل اللجنة يا مولاي، أحب أن أعترف لك بسر تعبني عن الحصان "قتة"
قراقوش : أي سر؟ ماذا عن قتة؟
سعيد : قتة يرفض أن يلبس حدوته.
قراقوش : ما دام قتة يرفض إطاعة أوامري؛ اكسروا دماغه، تقطع رقبة الحصان قتة؛ لأنه يريد قلب نظام الحكم ويرفض إطاعة الأوامر. وبعد ما يموت، ركبوا له حدوة الحصان؛ حتى يسمع الكلام وهو ميت. آه يا قتة اتضح أنك خائن.
عباس : أمرك يا مولاي. (يخرج) هيا يا سعيد. (يخرج

سعيد)

لامار : أستأذنك يا مولاي.

قراقوش : لا تتركيني وحدى يا لامار، اقعدى معي في المحكمة.

لامار : يا حظك المائل يا لامار.

قراقوش : ماذا حدث يا لامار؟ دائماً تقولين يا بختك المائل! ابقي بجانبي. انتهت قضية الحصان قتة والحصان كفتة، وحكاية عباس وسعيد. القضية التي تليها.

الحاجب : القضية رقم ٣، قضية فل وضوء المكان ورئيس الشرطة كرم.

قراقوش : أدخلهم بسرعة.

الحاجب : فل وضوء المكان ورئيس الشرطة كرم.

فل : (يدخل) أنا بامسى على الحبة دول، والحبة دول، والحبة دول.

قراقوش : ولد احترم المحكمة.

فل : احترمت المحكمة.

كرم : (يدخل) مولاي نائب السلطان قراقوش المعظم.

فل : ماذا هنا يا كرم؟ ما القضية؟

كرم : هذا الولد. أين هو؟ (ينظر لا يجد ضوء المكان) أين ضوء المكان؟

ضوءالمكان : (يدخل) السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قراقوش : من أنت؟

ضوءالمكان : محسوبك ضوء المكان. (يفاجأ بلامار) لامار (يفرك في عينيه) لامار بنت بهانة؟ لامار!

لامار : لم نفسك يا ضوء المكان يا بن شيحا الحداد.

قراقوش : أتعرفين هذا الولد؟

لامار : لا.. لا أعرفه.

قراقوش : من هذا الولد؟ وما القضية يا كرم يا رئيس شرطة القاهرة؟

كرم : مولاي. فل تاجر من التجار، جاءني لقسم الشرطة، وطلب مني القبض على المدعو ضوء المكان؛ بسبب ديون على ضوء المكان لم يسددها لفل.

قراقوش : أنت يا ولد يا ضوء المكان. هل عليك فلوس لفل؟

ضوءالمكان : نعم على فلوس لفل.

فل : ها هو يعترف يا مولاي قراقوش.

قراقوش : ولماذا لا تريد أن تردها له؟

ضوءالمكان : ليس معي يا مولاي.

قراقوش : ماذا تعمل يا ولد؟

ضوءالمكان : ماذا أعمل؟ (يهرش في رأسه) أعمل رجل أعمال. اسأل السؤال الأول لفل يا مولاي لماذا أنا؟

قراقوش : (لفل) ماذا تعمل؟

فل : أعمل أسطى لمزاج الشعب، عندما أجد مزاج الشعب غير مظبوط؛ أظبطه. وعندما أجد مزاج الشعب تعبان؛ أشفيه. ومنذ أن مسكت الحكم يا مولاي والشغل يلاحقني على ودنه ليل نهار. أواصل عدل مزاج الشعب.

قراقوش : هذا عمل عظيم.

ضوءالمكان : يا مولاي قراقوش إنه يتاجر في الممنوع.

فل : المزاج ممنوع يا مولاي؟

كرم : نحن لسنا في قضية المزاج، نحن في قضية ضوء المكان.

ضوءالمكان : أنا معترف عليَّ فلوس.

قراقوش : ادفع.

ضوءالمكان : ليس معي الآن. كلما وجدت معي فلوسا، أذهب وأبحث عن فل، لا أجده؛ أصرف الفلوس. ماذا أفعل؟ أقطع نفسي؟ قولي لهم يا لامار.

قراقوش : هل تعرفين هذا الولد يا لامار؟

لامار : لا أعرفه يا مولاي، لكني سمعت عنه أنه ولد من الشطار، تعبان وهايف.

قراقوش : حكمنا نحن قراقوش نائب السلطان صلاح الدين وحاكم مصر الآن بالنيابة، بأن يسجن المدعو فل.

فل : أنا الذي أسجن أم هو؟ (يشير إلى ضوء المكان)

قراقوش : أنت الذي يسجن يا ولد في السجن.

فل : لماذا؟

قراقوش : لأجل كلما صار مع الولد ضوء المكان فلوس، يحضر إلى السجن؛ فيجدك ويدفعها لك.

ضوءالمكان : عاش العدل.. عاش العدل.. عشرة على عشرة يا قراقوش.. عاش قراقوش.

فل : يا نفوخي، يا نفوخي! أنا الذي يسجن، وأنا الذي أريد الفلوس؟

....

....

الزمان : نهاراً.

المكان : مطبخ قصر قراقوش.

(تقف النساء للطبخ، الفتيات يقفن ويغنين)

(فتاة تدق الثوم. تظهر لامار)

لامار : هيا يا أختي أنت وهي أسرعن. مولانا السلطان صلاح الدين قادم للغذاء مع قراقوش، لا بد أن يجهز الطعام سريعاً.

فتاة١ : أنا حضرت الفراخ.

لامار : وأنت يا أفراح؟

فتاة٢ : جهزت الحمام المحشي بالفريك.

لامار : وأنت يا أم خليل عملتِ الملوخية؟

فتاة٣ : عملتها يا ست لامار.

لامار : والشوربة والكوارع؟

فتاة٤ : جاهزة.. حضرتها ها هي هوى قادمة.

هوى : (تدخل هوى) صباح الخير.

لامار : صباح الفل، صباح القمر، هكذا يا هوى تتأخرين في إحضار اللحم؟!

هوى : وماذا أفعل يا لامار؟ الجزار كان مريضاً اليوم، وقام بصعوبة ليقطع اللحم ويسويه.

لامار : أنت تعرفين أن قراقوش عازم صلاح الدين على الغذاء، سمعت أن هناك اجتماعاً هاماً اليوم.

هوى : لا أستطيع أن أفهم. صلاح الدين لماذا اختار قراقوش.. بالذات ليتحكم فينا؟

لامار : كل الناس تقول هذا الكلام! وكل الناس تشتكي وصلاح الدين يقول أبداً، إلا قراقوش. لقد قال لي هذا.

هوى : من الذي قال لك؟

لامار : قراقوش طبعاً الذي أخبرني، أمال صلاح الدين؟!

هوى : لكنى أريد أن أعرف لماذا قراقوش متمسك بك؟

لامار : عندما أعرف سأخبرك.

هوى : يا بنت، علي أنا؟

لامار : وحياتك أنت يا هوى أنا لا أعرف، لكنه يقول إنه يرتاح لي، ويطمئن أنه يأكل من يدي. يخشى أن

يضع له أحد السم في الأكل.

هوى : ليت أحدا يضع له السم.

لامار : (تلتفت يميناً ويساراً؛ خوفاً من الجواسيس) ماذا تقولين يا بنت؟ هل جننت!

هوى : ممنوع زواج الموظفين، ممنوع المشي على النيل في الليل، ممنوع البيع والشراء إلا بعد دفع الضرائب، ممنوع.. ممنوع.

لامار : أعطني اللحم. (تأخذ منها القفة)

: (يدخل ضوء المكان في زي امرأة يرتدى طرحة. يحمل قفة)

ضوءالمكان : (يقلد صوت امرأة) أين أنت يا شابة؟ أين أنت يا شابة؟ أين أنت يا لامار يا حبيبتي؟

لامار : أهلاً يا ست من أنتِ؟

ضوءالمكان : (يحاول أن يقبلها من خدها) وحشاني وحشاني، هاتِ قبلة، هيا.. هيا.

لامار : (تدفعه بعيداً) من أنتِ؟

ضوءالمكان : أنا حبيبة قلبك، هاتِ قبلة.

هوى : (تدفعه مرة أخرى) كيف دخلتِ القصر يا امرأة؟!

ضوءالمكان : (يلتفت إلى هوى) الله الله.. أنت هنا؟

هوى : ما معنى أنت هنا؟ نعم هنا؟ طبعاً هنا، من أنت يا امرأة؟ وكيف دخلتِ القصر؟

ضوءالمكان : على مهلك علي يا شابة، لماذا تصرخين في وأنا مثل أمك؟ هاتِ قبلة.

هوى : ما هذا؟ هات قبلة، هاتِ قبلة! أنا لا أعرفك.

ضوءالمكان : يعني لا بد أَن تعرفيني حتى تعطينى قبلة؟

هوى : ماذا تريدين؟

ضوءالمكان : ما اسمك يا حلوة؟

لامار : ما هذا؟ ما اسمك وما اسم أبوك؟ ماذا تريدين يا امرأة؟

ضوءالمكان : يا قاسية. يا قاسية القلب. (يبكي) أهئ.. أهئ، هاتِ قبلة بقى. عيب عليك يا لامار أنا من داخت حتى تراكِ.

لامار : أنا لا أعرفك.. كيف دخلت إلى القصر؟

ضوءالمكان : قلت لهم إنى زوجة أبيك.

لامار : أبي مات.

ضوءالمكان : أعرف ذلك.

هوى : اللهم طولك يا روح.

ضوءالمكان : والبنت الحلوة الأمورة هذه ابنة من؟

هوى : أنا بنت عبود الجزار، هل تعرفينه؟

ضوءالمكان : أعرفه؟ إلا أعرفه. عبود الأهبل الذي يرمي اللحم للكلاب والقطط. يا بنت أنا عارفاه، ليس لديه أولاد. تزوج عدة مرات و لم ينجب، كيف تكونين ابنته؟

هوى : كفاك قلة أدب يا ست. أبى رجل طيب وليس أهبلا، ثم أنا ابنته بالتبني، اشتراني وتبناني وكان شرط قراقوش أن أظل أعمل في المطبخ.

ضوءالمكان : في زمن قراقوش الطيب يسمونه أهبل.

لامار : معك حق يا ست. قلتِ ما اسمك؟

ضوءالمكان : اسمي عنبر، هاتِ قبلَة بقى.

هوى : خسارة فيك هذا الاسم.

ضوءالمكان : لماذا تقسين علي يا شابة؟ ليه حاطة نئرك من نئري؟ (تدخل امرأة تجري)

المرأة : مولاي قراقوش قادم يا ست لامار.

هوى : وماذا لو رأنا هنا؟

لامار : اختبئي مع هذه السيدة.

ضوءالمكان : أين نختبئ أنا وهذه الحلوة؟

لامار : تحت هذه المائدة (يختبآن تحت المائدة بحيث يظهران أمامنا)

قراقوش : (يدخل) لامار.. لامار.

لامار : مولاي نائب السلطان قراقوش المعظم.

قراقوش : عملتِ الحمام والفراخ والديوك المحشية والشوربة والكوارع؟

لامار : والفتة، وأحضرت فاكهة طازجة من البستان، وماءً بارداً.

قراقوش : اليوم السلطان صلاح الدين الأيوبي سيحدثني في أمر مهم.

لامار : أى أمر يا مولاي؟

قراقوش : أذيقيني لملوخية أولاً (تكشف لامار حلة الملوخية وتقدمها له ليتذوق)

قراقوش : الله.. حلوة، تسلم يداك.

لامار : أبقاك الله يا مولاي.

قراقوش : أذيقيني البامية.

لامار : حاضر (تكشف غطاء البامية) ذق يا مولاي.

قراقوش : الله.. جميلة.

ضوءالمكان : (تحت المائدة) أذيقيني خدودك يا هوى.

هوى : عيب عليك يا ست.

ضوءالمكان : ولماذا يتذوق قراقوش وأنا لأ؟

هوى : يا ساتر!

قراقوش : (وهو يمر على الحلل يتذوق) أتعرفين يا لامار، أنا أود أن أكافئك مكافأة عظيمة.

لامار : و تريد أن تكافئني فعلاً؟ أعدني لعثمان.

: (يضرب قراقوش المائدة؛ تخاف هوى وتمسك ضوء المكان)

ضوءالمكان : تعالي في حضن أمك يا حبيبتي.

قراقوش : لماذا تتزوجين؟ ماذا ينقصك في هذا القصر؟ أنت لك شرف ثقة قراقوش بك، أنت الوحيدة التي ترى السلطان صلاح الدين الأيوبي كل يوم تقريباً. وأنا وصلاح الدين سندخل تاريخ الأمة الإسلامية والعربية، وأنا سأدخل تاريخ الحواري والشوارع، وسأبني أكبر قصر على الجبل، قلعة الجبل. وأنت تفكرين في عثمان! اغضبتني يا لامار.

ضوءالمكان : (تحت المائدة لهوى، يمسكها من ذراعها) قمر حلوة. أتأكلين اللحم كل يوم يا بنت؟ يا بختك. لهذا أنت مربربة. هاتِ قبلة.

قراقوش : (للامار) سآخذك معي يا لامار.

لامار : إلى أين ستأخذني يا مولاي؟ أنا لست جارية.

قراقوش : سآخذك معي، حرة، خادمتي، وأسافر إلى عكا.

لامار : عكا؟! لماذا؟

قراقوش : حتى نبني سوراً لمدينة عكا ضد الصليبيين يا لامار.

لامار : أقبل قدميك يا مولاي أتركنى هنا. (تركع تحت قدميه، تشاهد ضوء المكان وهوى؛ فيجذبها ضوء المكان لتقبله)

ضوءالمكان : قبليني أنا (تقف لامار بسرعة)

قراقوش : اسمعيني يا لامار، أنا اعتدت عليك من كثرة ما سمعت عنك، وما كتبوه في التقارير؛ أحسست أنك مكسب كبير لا يمكن أن يفرط فيه أحد بسهولة.

لامار : سأنتظرك هنا في قصرك، ولن أذهب إلى أي مكان.

قراقوش : لكني أخشى من هم حولي، أخشى المصريين، أخشى الفاطميين، أخشى أن يقتلني عمي صلاح الدين، أخشى أخوته، أخشى أبناءه، الكل يحسدني، أنا لا أشعر بالأمان إلا معك.

لامار : (تركع مرة أخرى) أتوسل إليك.

ضوءالمكان : هاتِ قبلة (يحاول تقبيل لامار؛ تقف بسرعة)

قراقوش : أنا سمعت كلمة قبلة هنا أو قلة.

لامار : (ترتبك) يا مولاي، اذهب إلى الديوان، ودعك من القلة يا مولانا، هيا السلطان صلاح الدين الأيوبي على وشك الوصول.

قراقوش : سأسافر بعد يومين يا لامار، ولا أريد أن يعرف أحد أنني سافرت؛ لأن المصريين إذا عرفوا؛ سيخربون البلد. لا بد أن يبقوا خائفين، وأنت لا بد أن تفتحي المطبخ كل يوم وتطبخي.

لامار : وماذا نفعل بالطعام؟

قراقوش : ألقيه، ارميه، لكن المهم أن يعرف الناس أنني موجود بالقصر. هذه أسرار الدولة.

: (تدخل جارية تجري)

الجارية : مولاي قراقوش.. السلطان صلاح الدين الأيوبي وصل.

قراقوش : أنا قادم في الحال. أستأذنك يا لامار. (يخرج)

لامار : (تضرب المائدة) هيا اظهروا. (يخرج ضوء المكان وهوى من تحت المائدة)

ضوءالمكان : يا أختي القعدة حلوة هنا. تعالى اقعدي معانا.

لامار : لا أريد هزاراً.

هوى : (تخرج) حاجة تقرف! هذه السيدة رائحتها غريبة.

ضوءالمكان : الصنف الذي أُحضره فل سيئاً هذه المرة.

لامار : هيا يا هوى ارحلى.

ضوءالمكان : أين تذهب؟ سأذهب معها.

هوى : أنقذيني يا لامار من هذه المرأة المصيبة.

لامار : أنا أريد أن أعرف من أين تعرفين اسمي؟ وكيف جئت؟

ضوءالمكان : من شخص يحبك ويموت في هواك.

لامار : عثمان؟

ضوءالمكان : ما عثمان هذا! الشيخ مريض.

لامار : أي شخص؟ من؟

ضوءالمكان : ضوء المكان.

لامار : الحرامي الحقير؟ السافل، مغتصب النساء!

ضوءالمكان : تاب والحمد لله، ويعمل أراجوزاً الآن.

لامار : أراجوز؟ والله.

ضوءالمكان : والله، أحيانا يعمل في خيال الظل أيضاً.

لامار : قولي لضوء المكان هذا أنا لا أحبه ولا أريد منه أي شيء أبداً أتسمعين؟

ضوءالمكان : لكنه أخبرني أنك كنت تحبينه، وهو يحبك من زمن.

لامار : كنت صغيرة واغتصبني الكلب، وبكيت وتوسلت له كثيرا.

ضوءالمكان : لماذا بختك مائل هكذا يا بنت؟ من شيخ مسن عنده سبعين عاماً، إلى قراقوش الذي لا يتزوج أبداً.

لامار : لا.. أنت امرأة طويلة اللسان.

هوى : اخرجي من هنا يا امرأة وإلا قطعت لسانك.

: (يشدونه فتنقطع الطرحة والباروكة)

هوى : دا راجل راجل (تصرخ)

لامار : ضوء المكان يا ابن الكلب!

ضوءالمكان : هاتِ قبلة يا بنت أنت وهي.

....

....

الزمان : ليلاً .

المكان : شجرة. مكان مهجور في ضاحية خارج المدينة.

(يقف ثلاثة رجال من فرقة القراقوز)

يوسف : ولم يأت الرجل المهم كما قال الولد ضوء المكان.

أيوب : الولد ضوء المكان هذا كذاب وحرامي ونصاب. ولم أكن أريده يعمل معنا. وأي شخص يسأله ماذا تعمل؟ يقول أعمل قراقوز.

حمزة : لا أعرف كيف صدقناه!

يوسف : ها أنت ترى منذ العلقة التي أعطاها لنا قراقوش، ونحن لا نجد عملاً، ونخشى تقديم أي شيء للناس.

حمزة : (يروح ويجيء ويراقب من بعيد) أتمنى أن يصدق ضوء المكان هذا ولو مرة واحدة في حياته. هناك قادم من بعيد، لا إنهما اثنان.

يوسف : (يقترب منه) إنه الولد ضوء المكان، ويبدو أن الرجل المهم معه.

ضوءالمكان : (يظهر ضوء المكان وقد ربط رأسه مصاباً ومعه ابن مماتي) السلام عليكم.

الجميع : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

ابن مماتى : كيفكم يا شباب وكيف أحوالكم؟

الجميع : الله يسلمك يا محترم.

ضوءالمكان : (يقدمهم له) هذا يوسف مغني، وهذا أيوب يلعب ويغير من صوته، وهذا حمزة، أحسن واحد في خيال الظل والقراقوز في المحروسة.

ابن مماتى : هلاً وسهلاً بالشباب.

ضوءالمكان : (يشير إلى ابن مماتي) وهذا الوززز... (يقاطعه ابن مماتي)

ابن مماتى : ماذا تقول؟

ضوءالمكان : أقول هذا زير، أقصد بائع للمواسير والكوارع، وأصبح من الأعيان، ولديه أفكار وحكايات ألفها مخصوصا، ويريدنا أن نقدمها في الشوارع والحوارى والأسواق.

الجميع : ونحن خدامون.

حمزة : وكم ستدفع لنا بالصلاة على النبي؟

ابن مماتى : (يخرج كيسين من المال) ها هما كيسان.

ضوءالمكان : (يأخذ الكيسين) نتفق أولاً على الحكايات.

يوسف : ما اسم الحكاية؟

ابن مماتى : الفاشوش في حكم قراقوش.

الجميع : ماذا؟ قراقوش! (ينظرون إلى بعضهم)

يوسف : أنت تمزح؟

ابن مماتى : أنا لا أمزح، ستقدمون حكايات عن قراقوش في الأراجوز.

أيوب : يا عم نحن خارجون تواً من مشكلة مع قراقوش، واتفقنا أن نقدم حكايات عن الشاطر حسن، عن ست الحسن، عن عنتر، عن أبي زيد الهلالي،

لكن قراقوش صعبة! آخرها المشنقة.

ضوءالمكان : ماذا حدث؟ ما بالكم تقفزون فوق رأس الرجل هكذا؟ لا تريدون نقوداً؟ أفضل. لا داعي أبو زيد مثل عنتر، مثل قراقوش.

حمزة : (يقف أمام ضوء المكان) لا يا ضوء المكان، قراقوش معناه أننا سنضع رقابنا أمام سيف قراقوش.

ضوءالمكان : سيف قراقوش؟ هآو هآو، منذ متى وأنتم تخافون من قراقوش؟

أيوب : إنه رجل مجنون، ضربنا ٨٠ جلدة من أجل شاور! فما بالك من أجله ماذا سيفعل؟

ابن مماتى : سأدفع خمسة أكياس من الذهب. (يعطيهم ليوسف)

يوسف : يا جماعة انتظروا قليلاً من العقل.

ضوءالمكان : لا.. لا ينتظروا، سآخذ أنا الأكياس الذهبية الخمسة، ولا داعي لوجع الدماغ. (يأخذ أكياس النقود من يوسف) أنتم وش فقر! خسارة فيكم النعمة. هل تأتي لأحد النعمة تحت قدميه ويرفضها؟

يوسف : يا حمزة نريد أن نعرف الحكاية، ما اسمها؟ قل مرة أخرى؛ لنفكر فيها.

ابن مماتى : الفاشوش في حكم قراقوش.

أيوب : هل أخبرك أحد أننا نريد الموت مبكراً؟! أنا لم أدخل الدنيا بعد.

حمزة : هذه الحكاية خلفها مشاكل كبيرة ورقاب تذبح.

ابن مماتى : ثمانية أكياس من الذهب. (يخرج الأكياس)

ضوءالمكان : يا للعار على الرجال، أعطنى النقود. العار على الرجال الورق.

ابن مماتى : (يخرج ثلاثة أكياس أخرى من المال) هذه ثلاثة أكياس أخرى من الذهب. إذن ١١ كيساً من الذهب.

ضوءالمكان : (يمسك أكياس المال) كل هذا أكياس من الذهب ماذا قلتم؟

ابن مماتى : ماذا قلتم؟ ستأخذونها أم لا؟

ضوءالمكان : يا عم، أنا سأجمع فرقة جديدة، وسأعمل أراجوزا وأقدم بها الحكايات، وآخذ الـ١١ كيساً الذهبية لي، وسأسافر بها إلى أسيوط، وأتجول في الوجه القبلى، وأبحر وأرجع إلى المحروسة. هيا بنا يا عم (يجذب ابن مماتي)

يوسف : ماذا جرى يا ضوء المكان؟ الكلام أخذ ورد، كف عن هذا المزاح.

ضوءالمكان : أنا لا أمزح، ١١ كيساً من الذهب يمكن لكل واحد أن يشتري منها منزلاً، ويتزوج وينجب أيضاً.

أيوب : أعطنى فرصة؛ لأتحدث مع الرجل الذي سنؤدي له العمل. هذا ليس بقليل، سنعمل عن قراقوش! هل تفهم؟! أنت لم تُضرب مثلنا عنده.

ضوءالمكان : الرجل كتبها ومستعد بها، موافقون على أن تقدموها أم لا؟

حمزة : موافقون، لكن...

ضوءالمكان : لا يوجد لكن. ماذا قلت يا أيوب موافق أم لا؟

أيوب : موافق، لكن على شرط أن يكون ضوء المكان معنا.

ضوءالمكان : وأنت يا يوسف.

يوسف : موافق بشرط أن تحضر أنت معنا.

ابن مماتى : فلنتوكل على الله، وضوء المكان معكم.

ضوءالمكان : رقبتى يا أمي...

....

....

الزمان : نهاراً.

المكان : السوق.

: (أصوات الباعة الشعبيين)

: في المستوى الأول: أمام الجمهور فراغ ساحة السوق.

في المستوى الثانى: مدخل للحارة في اليمين، وبائع حلوى يجلس على الأرض، في اليسار بائع

بقفص برتقال.

: في المستوى الثالث: دكان عبود الجزار. دكان رضا الحلاق. ودكان سمحون الحلواني.

: (ستار كبير لخيال الظل)

عبود : يا فتاح يا عليم على الصبح، اذهبوا بعيداً عن الدكان.

ضوءالمكان : ماذا حدث يا عم عبود...؟

عبود : لا شيء، نريد أن نأكل عيشا، ابعد عنا القراقوز وخيال الظل من أمام الدكان. أبعد يا ولد أنت وهو. (يمسك الساطور)

ضوءالمكان : ونحن أيضاً نريد أن نأكل عيشا، هل لأنك تأكل اللحم لا تشعر بالفقراء مثلنا! كل يوم تأكل لحما، وأولادك يأكلون لحما، حتى ذراع هوى مربربة وممتلئة.

عبود : (يمسك سكيناً في يده) هل قلت بنتي هوى؟

ضوءالمكان : أتختلق المشاكل يا رجل أم ماذا؟ هل أنا ذكرت سيرة بنتك هوى؟ وما أدراني باسمها؟ سمعك ثقيل يا حاج. قال هوى قال!

عبود : إذن فلتذهب بعيداً عن الدكان، لم الشطار أمثالك وابعد عن هنا.

حمزة : كفاك يا عم عبودن أي شطار؟ لا داعي للغلط.

أيوب : إنها نصف ساعة فقط ونترك المكان.

عبود : لأ.

يوسف : ربع ساعة يا عم عبود ولا تغضب.

عبود : لا نص ولا ربع ولا خمس ولا سدس.

ضوءالمكان : (يهمس لعبود) أقول لك شيئاً يا عم عبود (يأخذه جانباً) هؤلاء الأولاد شطار لو طردتهم؛ سيعملون ضوضاء ويقولون عم عبود طردنا عندما رأيناه يذبح قطة وكلباً، وهو يبيع لحم القطط والكلاب، ويعمل بهم الكفتة والكباب. ويا لها من فضيحة يا عم عبود من شلة شطار وزعران!

عبود : أتهددونني؟

ضوءالمكان : يا عم أتركهم يقدموا الحكاية وينصرفوا. موافق هه؟ (يسكت عبود) يا جماعة يا جماعة (للفرقة) عم عبود الجزار يقول قدموا حكاياتكم بدون تطويل وانصرفوا سريعاً، ولا تعيدوا أو تزيدوا في الكلام.

هوى : (تدخل) يا أبي.. يا أبي.. أبى.

عبود : ماذا يا ست هوى؟ ما الذي جاء بك إلى هنا؟

هوى : الست لامار تريدك في أمر هام. (تنظر تجد أمامها ضوء المكان) أنت؟

ضوءالمكان : لا ليس أنا. (يدير ظهره)

هوى : لا أنت هو. (تمسكه من ظهره؛ كي تنظر في وجهه)

ضوءالمكان : لا ليس أنا، يخلق من الشبه أربعين، أنا لا أعرفك ولم أرك من قبل. (يمسك عبود السكينة في يده)

عبود : ماذا حدث يا ست هوى، هل غازلك هذا الولد؟

هوى : لا يقدر.

ضوءالمكان : لا يقدر، سمعت؟

هوى : ولا عشرة مثله.

ضوءالمكان : ولا عشرة مثله.

هوى : لكني متأكدة أنه أنت! (تحاول أن تلتفت لترى وجهه)

ضوءالمكان : لا ليس أنا. (يبتعد عنها)

هوى : أشممني رائحتك. (تحاول أن تمسكه؛ فيبعدها) دعني أشمك.

ضوءالمكان : عيب، عيب عليك يا هوى أن تشمي رجلاً أمام أبيك! وأنت بنت محترمة.

هوى : أقطع ذراعي إنك أنت، هذه رائحتك العفنة أعرفها.

ضوءالمكان : (يهرب منها) (ينادي) قرب.. قرب.. تعال وشوف.. الحكاية الغريبة.. حكاية القراقوز.. الحكاية العجيبة.

حمزة : عجيبة العجائب.

أيوب : غريبة الغرائب.

يوسف : حكاية الفاشوش في حكم قراقوش.

ضوءالمكان : قرب.. قرب. (يتجمع الناس) (تقترب هوى من أبيها)

هوى : أنا متأكدة أنه هو.

عبود : يا بنت جننتِي! ما حال صاحبتك لامار؟ (يقف ضوء المكان يقدم الاستعراض)

ضوءالمكان : أنا كنت بحب المشمش، دلوقت أحب اللحم، قالك قراقوش موجود في البلاد أم هج، أخذ له سكة.

قلت لهم قراقوش في عكا، قراقوش في عكا، سافر عكا وترك القاهرة في السر يا ولداه!

المجاميع : ترك القاهرة؟ معقولة قراقوش ليس هنا!

هوى : في عكا! إذن هو. (يغمز ضوء المكان ل هوى)

ضوءالمكان : قلت له اذهب يا قراقوش والقلب معاك، وأبعث لنا بسبوسة. هات بوسة. (ينظر لهوى) موسى نبي، عيسى نبي، محمد نبي، وكل من له نبي يصل عليه. (الناس تتجمع)

المجموعة : عليه الصلاة والسلام.

ضوءالمكان : صقفة لوجه الله. (يصفقون) وصقفة أخرى لجل حبيب الله رسول الله. (يصفقون) وصقفة أخرى للسلطان صلاح الدين الأيوبي، الذي كلنا فداه. (يصفقون) بص شوف على المكشوف.

: (تدخل لامار إلى الحلبة وتقف بجوار هوى) (يوسف وأيوب وحمزة يرتدون أقنعة أو يمثلون بعرائس خشبية، أيهما يفضل المخرج أن يكون قراقوز حي أو القراقوز كما هو معروف)

أيوب : (يمثل قراقوش) أنا قراقوش.

حمزة : وأنا العسكري عبد الموجود.

يوسف : وأنا زوج سمارة (يمثل دور فلاح)

ضوءالمكان : وأنا سمارة (يمثل دور امرأة)

يوسف : أنا الفلاح يوسف وهذه السيدة زوجتي (يشير لضوء المكان)

عبود : (يضحك) أما هؤلاء الأولاد فهم عفاريت.

يوسف : يا عم الوزير قراقوش، وأنا ماشي في طريقي وزوجتي بجانبي، ضرب العسكري عبد الموجود زوجتي على بطنها؛ فسقطت. والولد اللي في بطنها نزل وسقط. ابني مات.. ابنى مات.. سقط.

أيوب : هذا الكلام صحيح يا عبد الموجود؟

يوسف : غصباً عني يا مولاي الوزير قراقوش، والله ما ختش بالي.

أيوب : خلاص.. خلاص. العسكري عبد الموجود.

يوسف : نعم يا سيدي الوزير قراقوش.

أيوب : خذ هذه السيدة عندك زوجة الفلاح يوسف، أطعمها واسقها وحميها وإملأها. (يضحك الناس) وعندما تصير حاملاً في سبعة شهور؛ أعدها لزوجها ومعها طفل في بطنها. وتبقوا خالصين.

يوسف : عليه العوض! هيا يا أم العيال. (يضحك الناس ويصفقون)

عثمان : (يدخل بملابس ممزقة ويمسك عصا، ويصيح والأطفال خلفه كورس) زواج قراقوش من لامار باطل.

الأطفال : زواج قراقوش من لامار باطل.

: (يضحك الناس، تقترب لامار من عثمان وهي في ذهول)

لامار : عثمان، اسمعني، انظر لي.

: (وهو ما يزال يردد زواج قراقوش من لامار باطل)

عثمان : من أنت! ماذا تريدين؟

لامار : أنا لامار.

هوى : هذه لامار يا عثمان.

: (يضحك ضوء المكان ويضحك الناس في الحلقة)

ضوءالمكان : عن ماذا تضحكون؟ هذه أفعال قراقوش في القاضي عثمان.

هوى : اخفض صوتك.

ضوءالمكان : ولماذا أخفضه؟ (يضحك الناس) على ماذا تضحكون؟

المجموعة : زواج قراقوش من لامار باطل.

عثمان : (يقف) نعم، قولوا زواج قراقوش من لامار باطل، باطل.. باطل. (الأطفال يرددون خلفه)

عبود : (يدخل الحلقة، يجذب عثمان وهوى ولامار) تعالوا بعيداً عن الناس، تعالوا إلى الدكان. (يذهب بهم بعيداً عن الدكان في ركن في اليمين، يقف ضوء المكان في وسط الحلبة يصيح)

ضوءالمكان : قرب.. قرب. بص وشوف على المكشوف، القراقوز عملها في قراقوش، شوف هذه الحكاية من حكايات قراقوش. (يقف وسط الناس يمثل)

ضوءالمكان : أنا الفلاح الغلبان عبد العاطي.

أيوب : وأنا قراقوش. (يمثلان بالقراقوز)

ضوءالمكان : يا عم قراقوش أنقذني.

أيوب : ماذا حدث؟

ضوءالمكان : نزل البرد على الحقول، وأفسد زراعة الفول، ويريدون أخذ ضرائب مني!

أيوب : كيف ينزل البرد على الحقول؟ خطأ أن تزرعوا فولاً وتتركوا البرد يأكله! كان لا بد أن تزرعوا جنب الفول صوف؛ حتى يدفئ الفول. (يضحك الناس ويهرجون ويمرحون)

: (في يمين المسرح تجلس لامار بجوار عثمان الذي راح يهذي، هوى وأبوها يقفان يتأملان إقناعه أنها لامار)

: (القاضي يحدث شخصية لامار التي في خياله والتي يتخيلها في مكان آخر. بينما لامار تبكي وتحاول إقناعه أنها لامار)

عثمان : لامار.. أنت هنا يا لامار؟

لامار : نعم يا عثمان.

عثمان : (ينظر لها بضيق) أنا أكلم زوجتي لامار، ماذا تريدين أنت؟

لامار : أنا لامار يا عثمان.

هوى : لا حول ولا قوة إلا بالله.

عثمان : تأخرت علي، قلقت عليك، جئت لأراك وتريني، لا تتأخرى مرة أخرى يا لامار.

هوى : لامار ها هي أمامك يا جناب القاضي.

عثمان : لا.. لامار هناك (يشير للفراغ) تحضر الخضار واللحم.

عبود : اللحم موجود، فقط تشفى أنت يا عثمان، يا راجل يا عترة.

(يدخل ابن مماتي يجري إلى السوق صارخاً)

ابن مماتي : يا ناس افرحوا.. يا ناس ارقصوا، قراقوش وقع، قراقوش أمسكه الصليبيون، وقع أسيراً، قراقوش وقع في الأسر عند الصليبيين.

(هرج ومرج وزغاريد وتهليل)

لامار : أفق يا عثمان، أفق يا عثمان، قراقوش وقع في الأسرن قراقوش راح والكل ارتاح.

عبود : وزعوا شربات وحلويات على حسابي.

عثمان : قراقوش راح.. مات؟

لامار : نعم مات، في ستين داهية.

عثمان : وستتزوجينني.

لامار : نعم سأتزوجك.

عثمان : من أنت؟

لامار : أنا لامار.

عثمان : لا. لامار (بصوت مرتفع وهو يهلل)

عثمان : الله أكبر،الله أكبر، قراقوش مات. مات قراقوش، قراقوش مات وارتاح.

: (الكل فرح. الكل يرقص ويغني بما معناه. راح الغم راح.. راح الغم راح.. يظهر في السوق عند انتهاء التابلوه رجال الشرطة وكرم رئيس الشرطة)

كرم : كله يسلم نفسه، اقبضوا على المجرمين الأشرار.

(يهرب ابن مماتي، ورئيس الشرطة كرم يلمحه، يهرب ضوء المكان والقراقوزات. يهرب الكثير. الناس تخاف)

(يقف كرم رئيس الشرطة يقرأ الإعلان)

كرم : بأمر الناصر صلاح الدين الأيوبي، سلطان البلاد وناصر السلام؛ يعلن الحداد والحزن على اعتقال قراقوش نائب السلطان الذي سقط أسيراً في يد الظالمين الكفرة، وطلب الكفار فدية له ألف ألف دينار، وكل من يقدر يدفع فدية؛ يدفع. (يدخل إلى السوق فجأة القاضي الفاضل)

القاضى الفاضل : لا يا ناس، لا أحد يدفع فدية قراقوش، لا أحد منكم يدفع فدية عبد من عبيد السلطان، النقود أنتم أولى بها، كلوا بهان اشربوا بها، أنتم غلابة، اتركوا قراقوش، يغور قراقوش، يوجد ألف شخص يساعدون بدلاً منه.

كرم : اقبضوا على كل من يتجرأ ويهاجم نائب السلطان قراقوش، ممنوع التجول، ممنوع التجول في القاهرة، الكل ينام بأمر السلطان صلاح الدين الأيوبي.

....

....

الزمان : نهاراً .

المكان : قصر صلاح الدين الأيوبي.

: (ستائر. كرسى كبير للسلطان صلاح الدين)
(الكرسي خال، يدخل صلاح الدين الأيوبي من اليمين، يدخل من اليسار ابن مماتي)

ابن مماتى : (ينحني ابن مماتي أمام صلاح الدين) مولاي السلطان الناصر صلاح الدين.

صلاح الدين : يا ابن مماتي، تخطيت الحدود وتعديت الأصول!

ابن مماتى : (وهو يرتعد ويسقط منه السروال) يا مولاي صلاح الدين، أنا خدامك، وأنت تعرف أني كنت وزيرك، وطيلة عمري بين يديك. (يرفع السروال)

صلاح الدين : سمعت أنك تهاجم قراقوش.

ابن مماتى : قراقوش! ما لي أنا به؟ ولَِم أهاجمه؟

صلاح الدين : يا ابن مماتي، أنا لا أحب الثقافة؛ لأنها سخافة، ولا أحب المثقفين؛ لأنهم مثل دود الأرض يأكلون كل شيء الإنسان والنبات والحيوان.

ابن مماتى : يا مولاي السلطان الناصر العظيم، الأدباء والشعراء والعلماء هم ذراعك.

صلاح الدين : العسكر هم ذراعي، هل سأحارب الأعداء الصليبيين ريتشارد قلب الأسد وملك أسبانيا وملك ألمانيا بالقصائد والشعر والكتب؟! هه؟

ابن مماتى : (يرتعد.. يسقط منه السروال.. يرفعه بسرعة) لا يا مولاي، طبعاً ستحارب بالسيف والسهام والمجانيق.

صلاح الدين : إذن لا يصلح لمنصب الوزير إلا العسكر والجنود والفرسان.. صح؟

ابن ممات : صح يا مولاي (يسقط السروال ويرفعه)

صلاح الدين : إذن محاولاتك السخيفة ومعك الشعراء والسخفاء

والكتاب ضد قراقوش؛ لن تفيد أحداً ، بل ستضرك، ولأن أنا أمنع قراقوش من التعرض لك، وطلبت منه ألا يقتلك. أتسمع؟

ابن مماتى : نعم.. نعم أسمع.

صلاح الدين : شغل الثلاث ورقات أنا لا أحبه، أنا عندي معارك أساسية، أولاً وحدة الأمة العربية، ثم وحدة الأمة الإسلامية كلها، ثانياً تحرير بيت المقدس والقدس. (صوت الجماهير: عاش صلاح الدين.. عاش صلاح الدين) وأنت تقود ثورة مضادة ضد قراقوش! هذا إنذار أخير، إنذار لك، انتهى الاجتماع.

ابن مماتى : أمر مولاي. (يهرول والسروال بين قدميه)

(يقف صلاح الدين عند كرسي العرش)

الحاجب : القاضي الفاضل بالخارج مع كرم رئيس الشرطة.

صلاح الدين : يدخل في الحال القاضي الفاضل بمفرده.

القاضى الفاضل : (يدخل) السلام على السلطان الناصر صلاح الدين.

صلاح الدين : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، أنا أريد أن أعرف لماذا تكرهني؟

القاضى الفاضل : أنا أكرهك؟ ولماذا أكرهك!

صلاح الدين : ألم تقل إنك تريد أن تشتري الكتب الموجودة بمكتبات قصور الأمراء والخليفة العاضد بالله؟ وأنا وافقت.. صح؟

القاضى الفاضل : هذه ليست كتب الخليفة والأمراء، هذه كتب الحضارة الإسلامية والعربية، وليس من حق أحد أن يحرقها.

صلاح الدين : أنا أحرقها؛ لأنها تحمل فساد الرأى للناس، وتبلبل أفكارهم وتضيع وقتهم.

القاضى الفاضل : هل قرأتها؟

صلاح الدين : لم أقرأها، لقد قالوا لي.

القاضى الفاضل : قالوا لك الكتب ضد الإسلام، هذا كذب يا مولاي صلاح الدين، قالوا لك القصور والمدارس خطأ؛ هدمتها، قالوا لك الأهرامات الصغيرة والمقابر والآثار خطأ؛ هدمتها، قالوا لك الأدباء والشعراء والعلماء ليس لهم أهمية؛ طردتهم. من الذي قال؟!

صلاح الدين : قراقوش هو الذي قال.

القاضى الفاضل : قراقوش يكره المصريين، وهو الذي جعلهم يبنون قلعة الجبل مع العسكر الصليبيين الأسرى، عشرات الآلاف بل مئات الآلاف من المصريين

يقعون كل يوم في السخرة على يد قراقوش، خشونة وقسوة، أسرى وعبيد ومصريون، يخطفون الناس من الشوارع والبيوت بالإكراه، يذهبون لبناء قلعة الجبل وقناطر الجيزة. هل تعرف ماذا يأكلون يا مولاي؟ كسرة خبز جاف! ظلم فادح وقسوة على آلاف من الفقراء تعمل بالكرباج عند قراقوش، وأنت صامت يا مولاي على قراقوش.

صلاح الدين : ولماذا لا تقل إن قراقوش جندي عظيم، حمى الإسلام والمسلمين؟ لماذا لا تقل إن قراقوش مهندس عظيم بنى عين الصيرة والقلعة وقناطر الجيزة وبنى سور عكا؟ وللأسف أسروه، وأنت تحرض المصريين والمسلمين على ألا يدفعوا الفدية حتى يفرج عنه. أليس كذلك؟ لماذا لا تتحدث عن انتصاراته؟

القاضى الفاضل : ولماذا لا أتكلم عن أفعاله المشينة يا مولاي؟

صلاح الدين : لا تحاول الوقوف أمام قراقوشن لا بد أن أفرج عنه وأحرره.

القاضى الفاضل : تفرج عنه بألف ألف دينار؟! مبلغ كبير جداً يا مولاي يحتاجه المصريون، يحتاجه جيش صلاح

الدين، نحتاجه لنبني به ألف بيت، وألف مستشفى، وألف دكان، وألف بستان.

صلاح الدين : أنت لا تفهم شيئاً ولن تفهم الكلام، الكلام معك ليس له داع. انتهت المقابلة.

(يلتفت القاضي الفاضل، يظهر قراقوش من خلف ظهره)

القاضى الفاضل : قراقوش؟!

قراقوش : نعم قراقوش.

القاضى الفاضل : (يظهر سروال القاضي الفاضل وقد غطته المياه.. فقد بال على نفسه من الخوف)

....

....

الزمان : نهاراً.

المكان : ساحة المدينة.

: (الكل يهرول ذهاباً وإياباً، ضوضاء واضطرابات في الساحة، من بعيد ثلاثة منازل، دور واحد، عليها قش وخشب، الناس تجري)

شخص١ : قراقوش ظهر.. قراقوش ظهر وراجع مع صلاح الدين.

شخص٢ : قراقوش راجع، دفعوا له الفدية وراجع.

(يظهر رجال الشرطة ويظهر كرم رئيس الشرطة)

(الناس تجري وتختبئ في كل مكان)

كرم : (يفتح كرم ورق مرسوم في يده) يا أهالي مصر المحروسة.. يا أهالى مصر المحروسة، افرحوا وهللوا؛ رجع قراقوش.

(لا أحد يظهر. لا أحد يفرح. ينظر كرم إلى جنوده)

العكسر : هه.. هه، عاش قراقوش.

كرم : (يخرج مرسوماً آخر) مرسوماً من شرطة القاهرة، على كل صاحب دكان أو صاحب خان أو صاحب حانة؛ يعلق لافتة مكتوب عليها، أهلاً بقاهر الهاموش، القائد العظيم قراقوش، أهلاً ببطل الانتصار على الهكسوس قراقوش، أهلاً بصاحب الفتوحات والانتصارات.. قراقوش. والدكان الذي لن يعلق لافتة أو إشارة؛ ستكون أيامه هبابا ويسجن لمدة أسبوع، ويدفع غرامة مائة دنيار. المرسوم الثانى.. على كل الناس أن تخرج للاحتفال بقائد الانتصار قراقوش، ويخرج تلاميذ الكتاتيب وطلاب الأزهر، والعمال والحرفيين والفلاحين، ومن سيخرج للاحتفال؛ سيأخذ نصف دينار. تسجل الأسماء الآن عند العسكري عمران.

عمران : من سيسجل اسمه؟ (يظهر رجلان فقط)

كرم : اثنان فقط؟! سندفع ديناراً، ديناراً ديناراً (يتجمع بعض الناس)

كرم : وكيلو من اللحم، دينار وكيلو من اللحم لمن سيشارك في احتفال قراقوش.

(يظهر الناس في ازدحام، يظهر ضوء المكان مع يوسف وأيوب وحمزة)

ضوءالمكان : قراقوز.. قراقوز.. أهلاً قراقوش.

كرم : حسن هذا الكلام يا ضوء المكان.

ضوءالمكان : كم ستعطينا؟

كرم : ديناراً لكل واحد.

أيوب : دنيار فقط؟! نحن نكسب في اليوم عشرة دنانير.

حمزة : هيا بنا، دعك منه.

يوسف : أنا لا يعجبنى هذا الكلام.

كرم : ديناران لكل واحد. هذا آخر كلام ومن لا يسمع الكلام؛ سأسجنه لمدة شهر.

ضوءالمكان : حسنا.. حسنا، موافقون يا أعظم رئيس شرطة.

كرم : يا أهالي مصر المحروسة، افرحوا وهللوا لعودة قراقوش.

ضوءالمكان : القراقوز.. القراقوز، والشعب يحبك يا قراقوش.

القاضى الفاضل : (يظهر القاضي الفاضل)

يا ناس حرام عليكم يا ناس، حرام عليكم لا تذهبوا

لاستقباله ولا ترحبوا به، هذه جريمة، جريمة، ماذا يقول عنكم التاريخ؟ يقول ذهبوا لاستقبال الجلاد والسفاح الذي قتلهم وذبحهم!

: (يقترب كرم من القاضي، بينما الناس تهتف على المستوى الثاني، واللافتات تعلق، والجنود يوزعون الدنانير على الناس، وضوء المكان يبتعد بعيداً ، وفرقة القراقوز تعرض عرضها)

(ضوء المكان يذهب إلى أحد أسطح البيوت، وفوقه يرقد ويظهر معه من بعيد سهم وقوس)

كرم : لماذا تعمل ضجيجاً يا عم القاضي.

القاضى الفاضل : أنا أعمل ضجيجاً؟! أنا أقول الحقيقة.

كرم : أية حقيقة؟! الدينار هو الحقيقة.

القاضى الفاضل : تقصد أن تقول الجوع.

كرم : على كل حال لن أقبض عليك أو أقترب منك لكن على شرط، ألا أرى وجهك هنا في الاحتفال، أتسمع أم...؟

القاضى الفاضل : يا ناس حرام عليكم، يا ناس حرام عليكم، إياكم أن تخرجوا وتذهبوا لقراقوش، ماذا سيقول عنكم التاريخ!

كرم : إن عقولهم ليست في التاريخ، إن عقولهم في

الطبيخ.

(كرم يدور وهو يرى الزينات والاحتفال)

(يظهر عبود وهوى في الميدان)

عبود : ماذا هناك يا هوى؟

هوى : يقولون إن قراقوش تحرر من الأسر وعاد من عكا.

عبود : أعوذ بالله.

هوى : ولماذا يتجمع الناس ويزدحمون هكذا؟!

كرم : كل واحد يأخذ دينارين وكيلو من اللحم لمن يقابل قراقوش.

عبود : دينارين وكيلو من اللحم!

هوى : هل صار الحب بالإكراه أم ماذا؟

: (يظهر فل وبوسة وأبو شنب بريمة)

بوسة : (تهتف) قراقوشنا يا قراقوشنا. جئت أنرت الدنيا يا وحوشنا.

فل : المزاج الجديد سأسميه قراقوش.

أبو شنب بريمة : يا قراقوش سر سر، ونحن خلفك سوف نسير.

أيوب : أنا القراقوز عامل قراقوش قرب.. قرب.

حمزة : يا صبيان يا بنات، اسموا أولادكم قراقوش.

يوسف : تعال وشوف على المكشوف قراقوش، عاد بدون

جيوش.

وحيدة : (امرأة في العشرينات) (تدخل مسرعة) يا قراقوز.. يا قراقوز، أين الولد الذي يسمى ضوء المكان الشاطر؟

يوسف : اخفضي صوتك.. هذا عيب!

وحيدة : (تصيح) تاركنا جوعى، تارك أباه، تاركنا جوعى ويدور بالشوارع هذا الشاطر! أين الشاطر...

أيوب : عيب هذا يا ست وحيدة!

وحيدة : ما عيب إلا العيب يا أخي.

أبو شنب بريمة : تعالي اعملي معي (يقترب من أذنها)

وحيدة : اذهب هكذا، ابتعد عني (تضربه ويبتعد عنها) أين الولد ضوء المكان.

أيوب : الله يخرب بيتك، ما الذي جاء بك في هذه الساعة؟! (ينظر لضوء المكان من بعيد الذي راح يغطي وجهه بالقش) منك لله يا ضوء المكان أنت وأبوك.

هوى : ماذا حدث يا ست أنتِ؟

وحيدة : تاركني وتارك الأطفال جوعى.

هوى : من هو؟

وحيدة : ضوء المكان القراقوز.

هوى : هل أنت زوجته؟

وحيدة : لا، أنا زوجة أبيه.

هوى : معقولة! أنت ما زلت صغيرة جداً ...!

عبود : لا حول ولا قوة إلا بالله (يخرج من جيبه أموالاً)

وحيدة : ماذا أفعل؟ حظي السيء، ولديَّ ٣ أطفال، وأنا نمرة ٣٦ في النسوان.

هوى : وضوء المكان، كم مرة تزوج؟

وحيدة : هو لاقي ياكل حتى يتزوج! جاته جنازة.

عبود : خذي يا ست (يعطيها نقوداً)

وحيدة : أنا لست شحاذة، أنا بنت ناس غلابة، أبى مبخراتي في الحسين، طوال عمرى أخرج معه وألف معه، إلى أن رآني شيحا الحداد، رجل في سن أبي، لكن عنده صحة مثل أبي عشر مرات.. قال لأبي أنا تاجر وأريد أن أتزوج بنتك، لما وضع يده في كف أبي؛ تفعصت يد أبي، قال هذا رجل ونعم الرجال، ومنذ أن تزوجته وأنا أشعر أنى نمرة وسط النسوان والأطفال، نحن أربعة على ذمته حتى طليقاته أسكنهن بجانبه.

عبود : وماذا يعمل هذا الرجل؟

وحيدة : حرامي.

عبود : أستغفر الله.

حنا : (يدخل حنا) ماذا يا عبود؟ هل حضرت؟

عبود : نعم يا معلم حنا، جئت لأشتري بعض الأشياء لهوى.

حنا : كيفك يا هوى.

هوى : كيفك يا عم حنا.

عبود : هل جئت وحدك؟

حنا : لا، معي سمحون. يا سمحون.. يا سمحون.

سمحون : نعم يا حنا.

حنا : المعلم عبود هنا.

سمحون : حاج عبود معقولة! أهلاً.. أهلاً.

عبود : هلاً بك يا معلم سمحون.

سمحون : نحن الثلاثة هنا بالنهار جنب بعضنا البعض، وعندما نأخذ أجازة؛ نظل معاً. ما هذا؟ أليس غريباً؟ (يضحكون)

المنادي : (يدخل المنادي) قراقوش وصل.. قراقوش وصل (يدخل...)

الناس : هلاً.. أهلاً قراقوش.. قائد الجيوش.

المعارضة : جاء من الأسر مهزوماً، وعامل بطل! (يظهر ابن مماتي مع المجاميع وهو يلقي بالدنانير) مرحباً مرحباً بالأمير بهاء الدين قراقوش (يقف كرم ويقف بجواره قراقوش على منصته)

كرم : والآن كلمة نائب السلطان ومهندس البناء وباني القاهرة الأمير قراقوش.

قراقوش : أنا لا أصدق عينيَّ (يبكي) لا أصدق نفسي، شعب مصر العظيمة يستقبلني!

فل : عاش الأمير قراقوش.

الجميع : عاش الأمير قراقوش.

فل : هزمتهم كسرتهم، (يلقى قصيدة) وجئت لمصر أنرتها، وجئت لمصر عمرتها، وجئت لمصر أشعلتها. (يظهر فجأة القاضى عثمان)

عثمان : وجئت لمصر خربتها، وجئت لمصر دمرتها، وجئت لمصر جوعتها. (هرج ومرج)

لامار : (تدخل لامار تجري) لا داعي يا عثمان، لا داعي يا عثمان، ليس وقت هذا الكلام الآن.

قراقوش : (بدهشة) لامار.. لامار أين أنت؟

(يطلق السهم من قوس ضوء المكان؛ فيصيب كتف كرم)

(هرج ومرج وجري، قراقوش ينحني تحت المائدة)

كرم : امسكوه.. امسكوه (الناس تجري)

رجل١ : قراقوش اتصاب.

رجل٢ : قتلوا قراقوش.

كرم : (وهو يمسك كتفه) اقبضوا على الخونة.. الخونة.

: (يجري الناس مع موسيقى مضطربة، وصراخ وعويل، يقبض رجال الشرطة على حنا وسمحون وعبود ووحيدة)

هوى : (تصرخ والشرطة تدفعها) يا أبي يا أبي (يأخذها ضوء المكان بعيداً في المنزل البعيد وسط الهرج والمرج والضوضاء)

كرم : قبضنا على المجرمين المشتبه فيهم يا مولاي، اظهر وبان ولك الأمان.

قراقوش : (يظهر من تحت المائدة) أين لامار؟

كرم : يا مولاي، أنا ذراعي ينزف وها هم المجرمون.

قراقوش : (ينظر لهم) تريدون قتلي يا مجرمين؟

وحيدة : إن شاء الله عدوينك يا مولاي، نحن غلابة (تبكي)

قراقوش : من هذه؟

وحيدة : خادمتك وحيدة.

كرم : (من خياله) هذه السيدة أنشات تنظيم سري اسمه التوحيد، وهي قادمة من عند الفاطميين.

قراقوش : وأنت؟ أنا أعرفك. (يشير إلى سمحون)

سمحون : أنا سمحون يعقوب تاجر، أدفع الضرائب.

كرم : هذا تنظيم يهودي يا مولاي ضد السلطان، ونحن نراقبه منذ سنين.

سمحون : أنا في تنظيم يا كرم؟!

قراقوش : اخرس، وهذا، هذا (يشير إلى حنا)

حنا : أنا حنا البرنس بائع البسبوسة.

كرم : هذا تنظيم آخر تابع للصليبيين.

قراقوش : وهذا؟

عبود : المعلم عبود.

كرم : هذا تنظيم جماعات دينية شيعية متطرفة، ومسيحية أيضا، الذين يصطنعون أنهم مع السلطان وهم ضده، وهم لهم أتباع في الحجاز والشام وأفريقيا.

قراقوش : لماذا كلكم ضدي، كم تنظيم ضدي؟ أنا الذي أسهر لأجلكم.

وحيدة : أنت تريد من تخدمك وترعاك.

قراقوش : أنا أتعذب لأجلكم.

وحيدة : إن شاء الله عدوينك...

قراقوش : أنا لا أنام الليل وأنتم نائمون.

وحيدة : قطعت قلبي يا أخي، والله أنا أقدر أن أنيمك يا أخي وأريحك، فقط جربني هكذا.

قراقوش : لماذا تفعلون هذا معي.. لماذا؟! (يبكى)

وحيدة : (للمجموعة) عيب عليكم أن تفعلوا هذا في الرجل يدخل الحاجب، يجرى خائفاً ومرتعداً)

الحاجب : مولاي قراقوش.. مولاي.

قراقوش : ماذا حدث؟

الحاجب : مولاي السلطان صلاح الدين حالته خطيرة جداً، ويطلبك الآن.

قراقوش : خذ كل المتهمين إلى السجن الآن، وأنا ذاهب لمولانا السلطان.

(يخرج قراقوش.. يدفع الناس إلى السجن)

....

....

الزمان : ليلاً.

المكان : بيت ضوء المكان.

(ضوء المكان ينظر من الشباك وهو مغلق، هوى تجلس وتبكي)

هوى : انصرفوا؟

ضوءالمكان : نعم انصرفوا.

هوى : أخذوا عبود؟

ضوءالمكان : نعم.. ووحيدة زوجة أبي.

هوى : سيدة غلبانة، فلأذهب لأرى ماذا سأفعل في خيبتي هذه. (تقف وتتجه نحو الباب.. يقف ضوء المكان أمامها؛ ليمنعها)

ضوءالمكان : إلى أين يا هوى؟ (يمسك يدها)

هوى : أياك أن تمد يدك عليَّ يا ولد يا شاطر أنت، أتريد أن تغتصبني مثلما فعلت من قبل مع لامار؟!

ضوءالمكان : اللهم طولك يا روح، تريدين أن تموتي، اخرجي وموتي.

هوى : سأخرج وأقول لهم إنك أنت الذي ضربت قراقوش و..

ضوءالمكان : اخرسي يا مجنونة.

هوى : سأكون مجنونة فعلاً لو أرى عبود وهو يشنق ومتهم ظلماً، وأنت حي، أتريدني أن أسكت، ماذا أنت؟ ألا يوجد فيك قلب؟ ضمير!.

ضوءالمكان : ضمير، ليس عندي ضمير، وليس عندي قلب، ليس عندي أهل، وليس عندي زوجة ولا أطفال، ليس عندي أي شيء. أنا هو أنا، أبي لا يعرفنا من كثرتنا. ربما يعرفني لأنني مشاكس! هات قبلة بقى، لماذا تلومينى؟ خرجت للدنيا؛ وجدت سلاطين وعسكر وحكومة، منهم التركي، منهم الهندي، منهم من الشمال، منهم من الجنوب، عبيد وخصيان، أمراء وجواري، وماذا تكون يا صعلوك وسط الملوك! أنا لا

شيء، ولن أكون أي شيء. لهذا فأنا مستعد لعمل أي شيء حتى أعيش مثل كل الشباب في هذا البلد، وكل البلاد الشباب ضائع.

هوى : وتترك عبود يموت؟

ضوءالمكان : أنا بالفعل ميت يا بنت، وماذا فيها لو مات عبود ماذا يعني؟ هاتِ قبلة بقى. أنا أموت في اليوم مائة مرة، الناس تذهب لبيوتها وتنام بين أطفالها ونسائها، وأنا ليس لي بيت ولا زوجة. حتى البنت التي أحببتها كانت جارية، ولما وجدت الذي حررها؛ تزوجها. ولما طلقت..

هوى : (مقاطعة) ولماذا لم تتزوجها؟ كنت واقفاً مثل النساء تبكي وتندب حظك؟ أم أنها رفضت الزواج منك؟

ضوءالمكان : لا.. قراقوش أحبهان وأخذها عنده.

هوى : إياك أن تكون لامار الـ..

ضوءالمكان : نعم هي.

هوى : لامار؟! اغتصبتها يا ابن الكلب، وتزوجت من عثمان.

ضوءالمكان : لامار أين هي؟

هوى : مؤكد أنك جننت، لامار تحب زوجها وابنها.

ضوءالمكان : لا.. ماذا قلت؟ ابنها أي ابن؟ عثمان لا ينجب؛

إذا هو ابني، ابني أنا، وهي تحبني لا تحبه. لامار بنت فيها شهامة وتحبني، بحثت عنها كثيرا، اكتشفت أخيرا أنها تزوجت القاضي عثمان، واطمأنت. أما أنا يا عالم متى سيضربني شخص بخنجر أو مطواة. (دق على الباب) (ثلاث دقات كعلامة)

ضوءالمكان : ادخلي للداخل. اختبئي. ادخلي الآن.

هوى : (بقرف) حاضر. (يفتح الباب، يدخل ابن مماتي سرعاً مندفعاً)

ابن مماتى : ما هذا الذي فعلته يا مجنون، ارتعشت يدك؛ فأصبت كرم رئيس الشرطة!

ضوءالمكان : هو الذي تحرك، فارق ثانية واحدة فقط.

ابن مماتى : هذه الثانية سيدفع ثمنها ناس كثيرون.

ضوءالمكان : لا تعمل هذه الحركات علي، أنا أريد نقوداً.. مائتان وألف دينار وأهرب إلى الشام.

هوى : (تظهر هوى) أتهرب على الشام وتتركني وتترك عبود يشنق فهو مثل أبي؟

ابن مماتى : من هذه يا ضوء المكان؟

ضوءالمكان : هذه.. هذه. لن أتركك يا بنت، هاتِ قبلة يا هوى يا حلوة.

ابن مماتى : هوى ابنة من؟

هوى : هوى ابنة عبود الجزار، الذي اتهم ظلماً يا قتلة يا فجرة.

ابن مماتى : ضوء المكان، عبود لا ينجب هذه جاسوسة قراقوش، تصرف.

ضوءالمكان : إن لم تصمتي؛ سأكتفك. (يربط يديها وقدميها)

هوى : لا تستطيع أن تفعل معي شيئاً، ولا أي أحد يمكنه أن يفعل شيئاً .

: (يجرون وراء بعضهم، يكتف ضوء المكان هوى بالحبل)

هوى : حسنا، حسنا، لن أتكلم لا تربطني، سأبقى طيبة معك.

ضوءالمكان : ستكونين طيبة؟

هوى : نعم.

ضوءالمكان : هاتِ قبلة. (تبصق عليه)

ضوءالمكان : عسل.. عسل يا جميل.

ابن مماتى : أنت تخطف النساء؟!

هوى : رد يا ضوء المكان، فكني.

ضوءالمكان : أين نقودى..؟

ابن مماتى : أنا أحضرت لك بعضها، والباقي فيما بعد.

ضوءالمكان : فيما بعد! متى؟ في الجنة لما أموت؟

ابن مماتى : ها هم خمسون ألف. (يخرج أكياسا)

هوى : فكني يا ضوء المكان.

ضوءالمكان : ترجيني قليلاً.

المنادي : يا أهل مصر المحروسة، يا أهل مصر المحروسة، جائزة قدرها ألف دينار لمن يبلغ عن ابن مماتي الوزير الخائن، الذي اتفق مع الأشرار؛ لاغتيال قراقوش. (يكررها مرتين)

ابن مماتى : ما هذا؟ فضحنا؟ وبعد.. ماذا سنفعل؟

ضوءالمكان : ‌ن تفعل شيئاً أنا الذي سأفعل.

هوى : لا بد أن أتصرف الآن.

ضوءالمكان : سأدخل أنا وهوى في بيتها لأقابل لامار، وبعد ‌ذلك سأحضر لك أمراً من قراقوش بالإفراج.

ابن مماتى : ستبيعني يا ضوء المكان؟!

ضوءالمكان : أنا لن أبيعك، أنا سأشتريك، قل لي أين تخبئ نقودك؛ وأنا سأذهب لبيتك أحضر لك بعضاً منها.

ابن مماتى : ضوء المكان (وهو خائف) عدني.

ضوءالمكان : أعدك وعد الشطار وليس وعد التجار، سأهربك لخارج البلاد، ولن أجعل سيف قراقوش يقترب منك. هيا بنا ياهوى.

هوى : هيا بنا ياهوى؟! وأبي الملقى في السجن؟

ضوءالمكان : سأخرج أباك من السجن لا تقلقي، وعم حنا

وسمحون تاجر البسبوسة كلهم سأخرجهم، لا تقلقي. (يفك قيود هوى)

ابن مماتى : وأنا؟

ضوء المكان : انتهى الكلام يا عم، هل هي حدوتة؟ قلت لك سأخرجك بطريقتي.

(يخرج من صندوق، يرتدي عمامة مغربية، ويضع على أكتافه عباية مغربية، تغطي هوى رأسها بطرحة خضراء مزركشة)

هوى : هيا.

ضوء المكان : (لابن مماتي) لم تقل لي أين النقود؟

ابن مماتى : يا ضوء المكان النقود في صندوق في السرداب، والسرداب له ممر في الخلف، في ظهر البيت.

ضوء المكان : كم هي النقود التي في الصندوق؟

ابن مماتى : الصناديق كثيرة، فقط افتح أنت الصندوق الصغير.

ضوء المكان : كله رزق الغلابة، سلام عليكم. (يخرج ضوء المكان وهوى)

ابن مماتى : ما الذي جرى في البلاد؟ ومن الذي كشفنى، ولماذا لم يقولوا اسم ضوء المكان؟ ربما يأخذون أي شخص، ربما، لكنهم قالوا اسمي

أنا! مؤكد أن صلاح الدين لن يصمت أبداً، لو سلمت نفسي سيشنقني قراقوش، ولو لم أسلم نفسي إلى متى سأظل هارباً؟ هذا جزاء من يقترب من السلطان.

....

....

الزمان: نهارا.

المكان: بيت عبود.

(تجلس لامار وعثمان)

لامار : لو مات قراقوش؛ لكانت الأمور كلها حلت يا عثمان.

عثمان : لو.. لو، لو كلمة تفتح عمل الشيطان يا لامار، إنسي، ها هو يقبض على العباد ظالماً ومظلوماً.

لامار : (ينفتح الباب) من الذي يفتح الباب؟ هوى؟

هوى : (تدخل) نعم.. ادخل يا ضوء المكان.

ضوءالمكان : (يدخل في زي مغربي) سلام عليكم.

لامار : أنت؟ (تكشر)

عثمان : كيفك يا ضوء المكان؟

ضوءالمكان : يا عم القاضي، اسمعني جيداً، لا بد أن تفهمني جيداً فيما سأقوله لك، قراقوش سيشنق نصف

مصر.

هوى : سلم نفسك وقل إنك أنت الذي صوبت عليه السهم.

ضوءالمكان : لن يصدق ولو حلفت مائة يمين.

هوى : لكنك أنت الذي فعلتها.

ضوءالمكان : نعم فعلتها حتى يستريح كل الناس، فعلتها وخابت.

عثمان : وهل تظن أنك لو قتلت قراقوش؛ ستحل الأمور كلها؟

ضوءالمكان : نعم.. ستحل، مؤكد أن صلاح الدين سيختار واحداً منا.

عثمان : لا.. صلاح الدين سوف يختار "قراقوش جديد، صلاح الدين دخل مصر عسكرياً، وظل يكبر ويكبر، وهذا محكوم علينا يا مصريين أن يحكمنا أي شخص ليس مصرياً.

ضوءالمكان : أنا أريد أن أحل مشكلة الناس.

هوى : أبى سيضيع فيها.

ضوءالمكان : والحل في يدك يا لامار.

لامار : كيف في يدي أنا؟

ضوءالمكان : قراقوش يبحث عنك في كل مكان، أحد المخبربن قال لي ذلك، ومن سيجد لامار؛ سيأخذ ألف

دينار.

لامار : يا خيبتك يا لامار.

ضوءالمكان : ليس وقت صوات ونواح.

هوى : سأذهب معك إلى قراقوش.

ضوءالمكان : لا أحد يذهب معي غير لامار.

لامار : أنا!

عثمان : ماذا تقول؟!

ضوءالمكان : لكي تطلب الإفراج عن كل المساجين، وتقول له الحقيقة، ولماذا أنت خائف منه؟ إنه لا يهش ولا ينش، هي فقط ساعة ونطلب لك إفراجا، ونطلب للناس كلها.

عثمان : حسنا يا ضوء المكان، افعل ما تراه.

ضوءالمكان : هيا بنا يا لامار.

هوى : وأنا ؟!

ضوءالمكان : ابقي مع عمك عثمان (يهمس في أذنها) إنه لا يهش ولا ينش.

هوى : يا دمك (تضربه على كفته) يا قليل الأدب.

ضوءالمكان : هيا يا لامار (يخرجان)

(المكان قصر قراقوش، ستائر - كرسي واحد للعرش)

الحارس : (يدخل الحارس وقراقوش جالس على الكرسي)

على الباب شخص يدعى ضوء المكان، يود مقابلة مولاي نائب السلطان في أمر هام.

قراقوش : دعه يدخل في الحال. (يدخل ضوء المكان)

ضوءالمكان : السلام والأمان على نائب السلطان قراقوش المعظم.

قراقوش : أنت يا ولد من الزعران؟

ضوءالمكان : لا من الأعيان.

قراقوش : ماذا تريد يا ولد؟

ضوءالمكان : عندي لك هدية عظيمة، هدية أنت تحبها جداً، وتبحث عنها، وأريد أن نتفق أولاً.

قراقوش : وماذا تريد في مقابل الهدية؟

ضوءالمكان : عدني أنك ستعطيني ما أطلبه.

قراقوش : وعدتك ما هي الهدية؟

ضوءالمكان : لامار. (موسيقى)

قراقوش : لامار.. لامار. أين هي لامار؟

ضوءالمكان : بالخارج، هي قادمة، لكن على شرط.

قراقوش : هي تأمر وأنا أنفذ.

ضوءالمكان : يا لامار (ينادي ويخرج) يا لامار.. يا لامار. (تدخل لامار)

لامار : مولاي (ترفع الطرحة من فوق رأسها)

قراقوش : لامار.. أين كنت وأنا في الأسر؟ ليل نهار أفكر

فيك، بحثت عنك، مؤكد عدتِ لعثمان. انتظر أنت يا ولد في الخارج قليلاً. (يخرج ضوء المكان) لامار ردي علّي.

لامار : نعم يا مولاي عدت لعثمان.

قراقوش : وأنا يا لامار؟

لامار : ماذا أنت يا مولاي ؟

قراقوش : أنا المعذب في حبك يا لامار، أنا فعلاً لا أستطيع أن أحقق لك شيئاً لامار، لا أقدر أن أنجب أطفالاً. لكن أنا إنسان لي قلب، ليس ذنبي أني كنت عبداً، والعبيد لا بد أن يخصوهم حتى يتأكدون من أمانتهم. ليس ذنبي يا لامار أني أحبك وأريدك بجانبي، فعلاً لن أحقق لك كل حاجاتك، لكن صدقينى هناك شيء أهم من الجسم، القوة، المال، النفوذ، أنا أعطيك كل هذا؛ ستكونين زوجة قراقوش. (ينظر لها يجدها غاضبة)

لامار : أتريد الناس تسخر مني؟ زوجة قراقوش! وهم يعرفون قراقوش.

قراقوش : أنا أعرف أن الناس تكرهني، وأنا أيضاً أكرههم، لا يفهمون أنني أستطيع أن أحرقهم، وأحرق القاهرة مثلما حرق شاور القاهرة وناسها.

لامار.. حبيبتي لامار.

لامار : أحبك كيف؟ وأنت عملت أكثر من شاور؟! قتلت آلاف مع صلاح الدين، شيعة مصريين، وسنة وسودانيين، وحرقت وسجنت، وأكبر شيء فعلته الظلم، تركت القوي يأكل الضعيف، والغني يأكل الفقير، كيف تريدني أن أحبك وأنا أرى الدم يملأ يديك ولحم الفقراء في بطنك! كيف أحبك؟ فقط قل لي، أنا أعرف أنه لا توجد امرأة في المحروسة إلا وتتمنى تراب قدميك، لكن أنا لا أحب إلا عثمان؛ سترني وتبنى ابني، وأحضر لي أبي وأمي، وتاب عن الخمر والسحر والشعوذة والنصب.

قراقوش : أنت تحبين عثمان المجنون، التاف، الدعي زير النساء!

لامار : عثمان حررني وأنا جارية، عثمان سترني وتزوجني، وجعلني زوجة القاضي، عثمان استأمنني على ماله وبيته وتاب. كل رجل في مصر وأرض العرب هو عثمان، ولكن باسم آخر.

قراقوش : سأقتله، أتسمعين؟ سأقتله أمامك. (يعطيها ظهره)

لامار : أريد أن أحرر الناس من ظلمك، اقتلني اذبحني

قراقوش : لا أستطيع يا لامار، أستطيع أن أجعل القاهرة تنام من العصر، ولا أجعل ابن آدم يسعل، أقدر أن أحرقها، أهدمها، أقدر أن أذبح الناس كلهم إلا أنت! إلا أنت؛ لأني أحبك يا لامار، أحبك. أقبل يدك. (يحاول تقبيل يدها)

لامار : لن أكذب عليك وأقول لك إنني أستطيع البقاء بجوارك، لكن بشروطي.

قراقوش : أنا موافق.

لامار : لن تسمعها أولاً؟

قراقوش : قولي.

لامار : تفرج عن كل الناس الغلابة، عم حنا وسمحون وعبود ووحيدة، وكل الناس المتهمين في قتلك. كم سجين، ألف.. ألفين، عشرة.. عشرين، خمسين ألف؟ افرج عن الناس الذين تقبض عليهم في الشوارع؛ ليبنوا القلعة مقابل قطعة خبز وجبنة مش قديمة، رغيف يأكله في اليوم لأجل بناء قلعة صلاح الدين، كم يموتون كل يوم؟!

قراقوش : يفرج عنهم في الحال.

لامار : وأتزوج عثمان، وأظل معك هنا طاهية لك وخادمة.

قراقوش : لكن عثمان.

لامار : لا بد أن يبقى معي عثمان.

قراقوش : أنا موافق.

لامار : وأيضاً...

قراقوش : (يقاطعها) أبقي أيضاً؟

لامار : تسمع طلبات الولد ضوء المكان.

قراقوش : هذا الحقير.. الحرامى!

لامار : هذا الحقير الحرامى، هو الرجل الوحيد الذي أحببته في حياتي، وهو جرحني بشدة، وأكرهه أيضا.

قراقوش : أتحبين هذا وتكرهينه؟!

لامار : كنت أكرهه وأنا صغيرة، وأحببته وأنا كبيرة.

قراقوش : والآن؟

لامار : الحب في قلبي مات يا قراقوش منذ زمن. (تنادي ضوء المكان) يا ضوء المكان.. يا ضوء المكان.

قراقوش : يا ضوء المكان.

ضوءالمكان : (يدخل) نعم يا مولاي.

لامار : مولانا السلطان قراقوش أفرج عن كل الناس، وحيدة وعمك عبود وحنا وسمحون، كلهم إفراج وكل المساجين.

ضوءالمكان : عاش قراقوش.

قراقوش : أظن هكذا انتهينا؟

ضوءالمكان : ما زال لي طلب يا مولاي.

قراقوش : (يعطيه كيساً من المال) خذ.

ضوءالمكان : أنا لا أريد نقوداً.

قراقوش : ماذا تريد إذن؟

ضوءالمكان : أريد مرسوم إفراج آخر.

قراقوش : عمن؟ عن حرامي مثلك؟

ضوءالمكان : أنت وعدتني، ووعد الحر دين عليه، ووعد السلاطين ونواب السلاطين شيء عظيم.

قراقوش : لا تثرثر كثيراً ماذا تريد؟

ضوءالمكان : أريد مرسوم عفو.

قراقوش : لك المرسوم، باسم من؟

ضوءالمكان : باسم ابن مماتي.

قراقوش : (يمسكه من رقبته) من تقول يا ولد؟ ابن مماتي؟ هل جننت؟ أنا سأقطعه وأقطعك، سأقتله وأقتلك.

لامار : قراقوش.. مولاي قراقوش. الولد سيموت في يدك.

قراقوش : لن أتركه.

لامار : لا.. اتركه من أجلي أنا.

قراقوش : تركته، لكن على شرط أن يقول أين ابن مماتي؟

ضوءالمكان : رقبتي (وقد تركه قراقوش) إن يدك قوية جداً.

قراقوش : لا بد أن يقول أين ابن مماتي الآن، وإلا سأقطع

رقبتك.

ضوءالمكان : أنا مخطئ وأستحق ضرب الشبشب والمركوب، والأحذية لأني جئت إليك وأحضرت إليك لامار.

قراقوش : يا ولد يا قليل الأدب يا حرامي.

ضوءالمكان : أنا لست قليل الأدب، لكن كنت حرامي.

قراقوش : وماذا تعمل الآن؟

ضوءالمكان : قراقوز.

قراقوش : فهمت الآن، تعمل مع الأعداء.

ضوءالمكان : يا عم أي أعداء، روق يا عم.

قراقوش : ولد.

لامار : أنت وعدته يا مولاي.

قراقوش : يا لامار.. ابن مماتي سبني وأهانني، وكتب عني أكثر من كتاب منشور ومقالات.

لامار : عذراً يا مولاي، عفا الله عما سلف، أعطه العفو.

قراقوش : لا أستطيع العفو عنه.

لامار : لماذا؟

قراقوش : لا يوجد مسئول أو سلطان عفا عن واحد طويل اللسان!

لامار : العفو عند المقدرة.

ضوءالمكان : يا عم روق واجعل البساط أحمدي.

قراقوش : اسمع يا ولد يا ضوء المكان.

ضوءالمكان : أؤمر.

قراقوش : أنت تخرج ابن مماتي خارج البلاد، لا أرى وجهه في بر مصر؛ وأنا سأعطيك الأمان، لا أحد يتعرض له.

ضوءالمكان : هات بوسة.. هات بوسة بقى. (يحاول تقبيله)

قراقوش : لكن ليس اليوم.

ضوءالمكان : ومتى إذن؟

قراقوش : غداً.

ضوءالمكان : غداً..؟

قراقوش : غداً لكي تعطيه رسالة، ولا تقل له إنك قابلتني أو كلمتني، قل له إنك ستهربه وحدك، وأنا سأعطيك الرسالة الآن، وعندما يخرج خارج مصر؛ أعطها له في يده على الحدود.

ضوءالمكان : ما هذا الكرم والجمال! هات بوسة.

قراقوش : (يبعده) ما حكاية البوس هذه؟

ضوءالمكان : سآخذ الجواب، وهات عم عبود ووحيدة زوجة أبي معي.. عاش قراقوش.

: (المكان الحارة والساحة والناس فرحة وفي هرج ومرج)

: (ويخرج الزعران والشطار والقراقوزات في احتفالية فرحين بضوء المكان ولامار وعم عبود ووحيدة

وتقف هوى تزغرد)

(في ركن اليسار تظهر بقعة ضوء، يظهر فيها ابن مماتي وهو يقرأ الرسالة)

ابن مماتى : والآن أقرأ الرسالة التي أعطاها لي ضوء المكان (يفتح الرسالة) من بهاء الدين قراقوش إلى ابن مماتي. معقولة؟! فلأكمل...

ص قراقوش : شتمتني في كتابك، وقلت إن عقل بهاء الدين قراقوش مخرمة فاشوش، قد أتلفت الأمة، ووضعت كتاب الفاشوش في حكم قراقوش عسى الله أن يريح منه المسلمين، وأنا أعلم أنك ترحل الآن وتسافر وتغادر الزمان والمكان، لكن بموافقتي وعفوي عنك، وأعلم أنك كنت تختبئ في دار الأزعر ضوء المكان، الآن أراحنا الله منك، ولتعلم أني رحمت عشرات الألوف ومئات الألوف من المصريين والفرنج، لكني رحمتك حتى تعرف قدري وتكتب مرة تنصفني.. قراقوش.

ابن مماتى : ضوء المكان باعني لقراقوش، كيف، أفهم؟ جاء الزمان الذي يترك فيه المصري بلاده ويرحل بعيداً عنها، ويهرب من حكامها الظالمين الذين هم ليسوا مصريين! آه يا بلدي..

المكان: بيت ضوء المكان.

الزمان: نهارا.

ضوءالمكان : والله وأصبحت زوجتي.

هوى : أقول لك لا أريد أن تنظر هكذا أو هكذا للنساء.

ضوءالمكان : أنا أنظر للنساء؟!

هوى : أنا أعرف أن لامار كانت تحبك وكنت تحبها.

ضوءالمكان : كان زمان يا قمر، ونحن صغار، لكن لما كبرت وعقلت؛ رأيت القمر أمامى. أتركه؟ معقولة؟ هاتِ بوسة يا بنت.

هوى : بنت تبتك وأنا سيدتك.

ضوءالمكان : سيدتي وتاج رأسي.

عبود : (يدخل) هيا يا ضوء المكان، خذ زوجتك واذهبا للدار.

ضوءالمكان : أي دار يا با؟

عبود : داري.

ضوءالمكان : لا، داري أنا.

هوى : أنت لك دار يا أبو دار؟ أنا لن أخرج من دار أبي إلا على دار بني آدمين.

ضوءالمكان : ولم هذا الغلط يا بنت الناس؟ هو أبوك كده وكده، هو لا ينجب، وقال دي ابنتي وسأورثها مالي، لقد كنا مثل السمن على العسل.

هوى : سمن على عسل، سمن على بصل، أنا أريد داراً جديدة وأثاثاً جديداً، ليس لأن أبي وافق على زواجنا وكتب كتابي تظن أن المسألة هينة؟ أذهب وأرتب أموري فعلاً.

ضوءالمكان

هوى : أمورك؟ إيه أمورك يا أبو أمور؟! أنا أريد داراً مثل دور البنات.

(يدخل عبود)

عبود : سمعت مشاجرة من أجل الدار.. ما رأيكم أن تقيموا في داري.

هوى : لا ينفع يا أبي.

ضوءالمكان : ينفع يا عم عبود.

هوى : وأنت يا أبي أين تذهب؟

عبود : أنا سآخذ أمك ونقيم في دار جدتك عند باب زويلة.

ضوءالمكان : أفضل، التغيير أفضل، باب زويلة جميلة.

عبود : أتعرفين يا بنتي ماذا أتمنى؟

هوى : ماذا يا أبي؟

عبود : أن تأتي لنا بطفل صغير؛ أسعد به قبل موتي.

ضوءالمكان : هيا يا هوى بسرعة نصعد إلى دار أبيك، بسرعة.

هوى : لماذا يا ضوء المكان، ماذا حدث؟

ضوءالمكان : لكي نحضر لأبيك الطفل الذي يحبه.

هوى : اخرس يا قليل الأدب.

ضوءالمكان : يا بنت أنت زوجتي.

هوى : قلت لك اخرس.

ضوءالمكان : خرست.

عبود : سأذهب إلى الدكان (يتحرك بعيداً)

ضوءالمكان : أتعرفين؟ أنا أتمنى عندما ننجب طفلاً ماذا أود أن أسميه؟

هوى : ماذا نسميه يا ضوء المكان؟

ضوءالمكان : نسميه قراقوش.

هوى : ماذا تقول؟ (بدهشة) قراقوش!

ضوءالمكان : نعم.. أسميه قراقوش.

هوى : ألم تجد غير هذا الاسم؟

ضوءالمكان : هذا هو الاسم الذي يكبر، أريد أن أخصيه، وأبيعه للمماليك؛ حتى يكبر ويصبح وزيراً، ويصير سلطأنا للبلاد.

هوى : أجننت يا ضوء المكان؟

ضوءالمكان : لا، لم أجن بعد، إنها الحقيقة حولنا تقول ذلك.

المنادي : (يدخل المنادي) يا أهل مصر المحروسة، البقاء لله، البقاء لله (يلتف الناس حول المنادي) مات التقي الورع، حبيب الفقهاء، عف اللسان، وافر

الحلم، شديد التواضع، المتقشف وافر الجود والبذل، مات ولم يترك في داره لا درهماً ولا ديناراً ، ولا مالاً ولا عقاراً ، وجدوا في خزينته الخاصة ديناراً واحداً وسبعة وأربعين درهما! مات طاهر اليد وحامي مال المسلمين، مات البطل الإسلامي العظيم صلاح الدين الأيوبي، مات الزعيم والقائد والمعلم صلاح الدين الأيوبي، وتولى الحكم السلطان العادل.

عبود : لا حول ولا قوة إلا بالله، مات بطل المسلمين، إلى رحمة الله يا صلاح الدين...

ضوءالمكان : قراقوش هكذا مات مع صلاح الدين، قراقوش سينتهي يا هوى، قراقوش انتهى، لا تسمي الولد قراقوش، أسميه صلاح الدين.

هوى : حسنا يا ضوء المكان، نسميه صلاح الدين الأيوبي.

ضوءالمكان : هم يبكي وهم يضحك.

المنادي : وتولى حكم البلاد السلطان العادل، الذي عين أتابك مصر الجديد رئيس وزراء ومسئولا عن أمنها : أبو سعيد بهاء الدين قراقوش الأسدي.

ضوءالمكان : قراقوش مرة أخرى؟! قراقوش ثاني! لا.. لا.

هوى : لا.. لا، لماذا تفعل هذا فينا يا صلاح الدين؟

ضوءالمكان : نحن نحبك يا صلاح الدين، أتترك لنا قراقوش مرة أخرى! ماذا أقول لك؟ رحمك الله يا زعيم. أسمي الولد قراقوش.

والغريب في الأمر أن صلاح الدين في موقعة حطين الشهيرة الجهيرة؛ توصل صلاح الدين إلى إحلال السلام، وإنهاء حالة الحرب مع الصليبيين، رضخ بصورة مذهلة وغريبة إلى كل الشروط التي اشترطوها عليه أثناء المفاوضات، ومنها: التنازل للصليبيين عن الكثير من المدن التي كان صلاح الدين قد استردها منهم بالحرب، مثل حيفا - يافا – قيسارية – نصف مدينة اللد- ونصف مدينة الرملة – عكا – صور – وسوى ذلك؛ حتى صارت لهم فلسطين إلاّ القليل.

إضافة إلى ما وراء ذلك من اعتراف بوجودهم وإقرار لاحتلالهم، ورفع العنت والمعأناة عن رقابهم الموضوعة تحت سيوف المجاهدين، وإعطائهم الفرصة الذهبية للراحة، والاستعداد التام للانقضاض على القدس من جديد، والغريب في الأمر أن عند وفاته صلى عليه!

أحضر الكفن ومؤنة التجهيز القاضي الفاضل من صلب ماله الحلال، هذا وأولاده الكبار والصغار يتباكون وينادون، وأخذ الناس فى العويل والانتحاب والدعاء له والابتهال، ثم أبرز جسمه في نعشه فى تابوت بعد صلاة الظهر، وأم الناس عليه القاضي ابن الزكي، ثم دفن في داره بالقلعة بالمنصورة، ثم شرع ابنه فى بناء تربة له، ومدرسة للشافعية بالقرب من مسجد القدم، لوصيته بذلك قديماً، فلم يكمل بناؤها، وذلك حين قدم ولده العزيز. وصلاح الدين ولم يخلف أموالا ولا أملاكاً؛ لجوده وكرمه وإحسانه

إلى أمرائه وغيرهم، حتى إلى أعدائه، وقد تقدم من ذلك ما يكفي، وقد كان متقللا في ملبسه، ومأكله ومركبه، وكان لا يلبس إلا القطن والكتاب والصوف، ولا يعرف أنه تخطى إلى مكروه، ولا سيما بعد أن تولى ملك مصر والشام. كان صلاح الدين إلى جانب هيبته رقيق النفس والقلب, على شدة بطولته, وكان رجل سياسة وحرب, بعيد النظر, متواضعا مع جنده وأمراء جنده, يحس المتقرب منه بحب ممزوج بهيبته. له اطلاع حسن على جانب من الحديث والفقه والأدب، ولا سيما أنساب العرب ووقائعهم. لم يدخر لنفسه مالا ولا عقارا، وكانت مدة حكمه بمصر ٢٤ سنة، وبسورية ١٩ سنة, وخلف من الأولاد ١٧ ولدا ذكرا وأنثى واحد. . للمصنفين كتب كثيرة في سيرته منها: كتاب (الروضتين) لأبي شامة في تاريخ دولته ودولة نور الدين محمود، وكتاب (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لابن شداد) ويسمى سيرة صلاح الدين، وكتاب (البرق الشامي) في أخبار فتوحاته وحوادث الشام في أيامه لعماد الدين الكاتب، و(النفح القسي في الفتح القدسي لعماد الدين) أيضاً و(صلاح الدين وعصره) لمحمد فريد أبو حديد، و(حياة صلاح الدين الأيوبي) لأحمد بيلي المصري. توفي صلاح الدين بقلعة دمشق عن ٥٧ عاماً، وارتفعت الأصوات بالبلد بالبكاء. بويع لولده الأفضل نور الدين علي من بعده، وكان نائبه على دمشق فارس نبيل وبطل شجاع.

....

....

المحور الثانى
قراقوش والأراجوز
قصص قصيرة

الحكاية الأولى

جاءوا إلى قراقوش بغلام وفي يده ديك، فقال: "يا هذا إن هذا الديك لو نقر عينك لكان يقلعها، يا غلمان خذوا منه دية عينه".

فحلف الغلام ألا يقعد في مدينة يكون حاكمها قراقوش..

الحكاية الثانية

يحكى أن قراقوش جاءه شيخ وصبي أمرد، كل منهما يقول: " يا مولاي.. داري!"

عند ذلك نظر قراقوش إلى الصبي وقال:

" معك كتاب يشهد لك؟ "، قال : "لا "

قال الأمير بهاء الدين :

" فالدار إذن للشيخ الكبير. يا صبي ادفع له داره، وإذا صرت في عمر هذا الشيخ الكبير؛ دفع لك هذه الدار قراقوش".

الحكاية الثالثة

قال المذيع الوسيم:

جاء إلى قراقوش ثلاثة رجال: أحدهم ـ ليس له لحية ولا شارب ـ أجرود. والآخران كبيرا اللحيتين. وقد تعدى الأجرود على كل منهما ونتف ذقنه من جذورها. فذهب الرجلان إلى قراقوش وقالا له:

"يا مولانا بهاء الدين، خذ لنا حقنا من هذا الأجرود، فقد نتف ذقوننا وخرق ثيابنا"

نظر قراقوش إلى الأجرود وقال لصاحبيه:

"ويلكما، نتفتما ذقن هذا الصبي وجئتما تشكوانه إليَّ!. خذوهما إلى الحبس، ولا تخرجوهما حتى تطلع ذقن هذا الصبي..."

الحكاية الرابعة

يحكى أن قراقوش جاءه شاب مضروب؛ فبعث معه خمسة رجال من (الجاندرمة) أي الحراس المتتبعين للعصاة والمجرمين. فبلغ ذلك خصمه الذي ضربه؛ فسبقه ووقف بجانب قراقوش. فلما أقبل الشاب قال الخصم:

"هذا الذي قاتلني وضربني!"

فأقبل قراقوش على الشاب المظلوم وبطحه وضربه، إلى أن أشرف

على الموت والأخر يقول:
" أنا مظلوم! أنا مظلوم! "
فقال له قراقوش: "سبقك !"
فحلف الناس أنهم لا يقعدون ما دام قراقوش في البلد حاكماً.

الحكاية الخامسة

قيل إن غلاماً لقراقوش كان يشتغل عنده (ركابدار) أي صاحب الركاب، وإن هذا الغلام قتل نفساً. فقال: "اشنقوه !"

قيل له: " إنه حدادك، وينعل لك الفرس، فإن شنقته؛ خسرته ولم تجد غيره. " فنظر قراقوش ناحية بابه، فوجد رجلاً قفاصاً (أي صانع أقفاص)، فقال: "ليس لنا بهذا القفاص حاجة !"

فلما أتوا به قال: " اشنقوا القفاص. وسيبوا الركابدار الحداد لكي ينعل لنا الفرس!"

المحور الثالث
قراقوش والأراجوز
مسرحية

مقدمة

إلى قراقوش، العبد الخصي، الذي حكم مصر في عهد صلاح الدين الأيوبي، وحكمها بعد موت صلاح الدين الأيوبي. إلى العبقري في الحرب والبناء، والغبي في العدل والإنصاف.

إلى عدو الثقافة والكتب، وحبيب العسس والجند والمماليك.

إلى من ولى ومن يجيء ....

وكما قال الشاعر أمل دنقل:

يا أصدقائى.. لا تحلموا بعالم سعيد

فخلف كل قراقوش يموت

قراقوش أخر جديد

وخلف كل ثائر يموت

دمعة سدى وأحزان بلا جدوى

لكنني أرى في هذا الحزن كما من الضحك والكوميديا، الكوميديا الإنسانية.. كوميديا الشعب المصري، الذي واجه السيف بالضحك، وواجه الظلم بالنكات!

فدعونى أقدم لكم هذه الكوميديا الساخرة. من زمن عمنا قراقوش.

رحمة الله على أجدادنا الذين تحملوه، ويرحمنا الله من أي قراقوش.

المؤلف

السيد حافظ

شخصيات المسرحية حسب الظهور على المسرح

١- جعفر : شاب في الثلاثين ، متشرد ، صعلوك. تظهر القوة على ملامحه.
٢- عثمان : القاضى.. رجل في السبعين.
٣- لامار : فتاة جميلة كانت جارية في قصر العاضد بالله.
٤- ابن مماتى : أديب ووزير مصر أيام العاضد بالله.
٥- فـل : تاجر حشيش.
٦- صلاح الدين الأيوبى : القائد الإسلامى العظيم.
٧- بهاء الدين قراقوش : نائبه.
٨- القاضى الفاضل : زعيم المعارضة المصرية.
٩- زنبيل : تاجر رقيق وعبيد.
١٠- ابو شنب بريمة : تاجر نساء (قواد).
١١- بوسه : مطربة بالحانة.
١٢- حمزة :
١٣- يوسف : (أرجوزات يقدمون خيال الظل).
١٤- أيوب :
١٥- عباس : فارس الحصان كفتة.
١٦- سعيد : سايس اسطبل السلطان صلاح الدين الأيوبى.
١٧- كرم : رئيس الشرطة.
١٨- نرجس : ابنة عبود الجزار.
١٩- عبود : جزار.
٢٠- حنا : حلاق.
٢١- سمحون : حلوانى.
٢٢- وحيدة : زوجة أبى جعفر.

الزمان : ٧٥٠هـ

المكان : القاهرة الأيوبية.

: فراغ مسرحي / ضوء الفجر / خيال الظل.

: (يفتح الستار على خيال الظل بطول وعرض المسرح)

: على المستوى الثالث.. تابلوه استعراضي.. الكلمات تقول:

: حلق حوش... رايح جاي عمك قراقوش.

: (الناس تجرى يميناً ويساراً في خيال الظل)

: قراقوش في السيدة.

: قراقوش في الحسين.

: قراقوش في بين القصرين.

: (يظهر قراقوش في خيال الظل فوق حصان يضرب الناس. كلما ضرب شخصاً ضرباً مبرحاً ظهر على المسرح (لايف) حياً مجسداً وهو مصاب.. حتى يمتلئ المسرح بالبشر المصابين والمجروحين.

: وكلمات الأغانى تقول على لسان قراقوش.

: رفعنا الضرايب عن المصريين.

أمرنا المصريين بالعمل في بناء القلعة.

: مثلما بنيتم الأهرامات تبنون القلعة لصلاح الدين.

: (عندما يجرى الناس أطفالاً وشيوخاً ونساء في أرجاء المسرح، يظهر قراقوش وهو قادم من خيال الظل محمولاً على ظهور الناس. كلهم منحنون؛ ليدوس عليهم أمامنا ويقول:
جئت كى أعلم الناس الأدب.. فمثل هذا الشعب لا يستحق إلا قراقوش).

(ثم عند انتهاء التابلوه.. يختفى خيال الظل وقراقوش والمجاميع والفرقة).

" ينزل ديكور مسرحي، بيت في المواجهة، بيت القاضي عثمان وعليه علقت فوانيس، مدخل الحارة من اليمين. مدخل الحارة من اليسار. صوت كلب ينبح. الظلام. ناس تجري يميناً ويساراً. رجل يرتدى جلباباً. أطفال صغار يجرون).

المشهد الأول

صوت١ : قراقوش في الجيزة.

صوت٢ : قراقوش خرج من الفسطاط منذ ساعة.

صوت٣ : قراقوش ترك القاهرة وقادم إلى هنا.

: (يدخل جعفر شاب في الثلاثين. متشرد صعلوك. تظهر القوة على ملامحه)

جعفر : قراقوش.. قراقوش.. كل الناس تستيقظ وتنام قائلون قراقوش.. ماذا حدث؟ ما الذي يجري؟ ما له قراقوش؟!، ألا يوجد في مصر غير قراقوش! يا إلهي ألم يعد في مصر رجال؟!، ما يحيرني فعلاً، كيف اختاره صلاح الدين الأيوبي؟ لماذا هذا بعينه اختاره نائباً له يحكم البلاد ويتحكم فى العباد، ومالي أنا؟ (يهرش في رأسه) (يفتش في جيوبه ويخرج ما فيها، حيث لا يوجد شيء) أنا مفلس. وماذا بعد؟، ماذا أفعل ؟ (ينظر يمينه ويساره؛ فيجد بيت القاضي) هذا هو بيت القاضي، فلأناديه وأزعجه.

(ينادي) يا عمي القاضي.. يا عم عثمان .. يا قاضي الجيزة.

عثمان : (يفتح الشباك بالدور الثاني. رجل في السبعين، له ذقن مصبوغة بالأسود، نحيف) من ينادي على القاضي؟

جعفر : أنا جعفر عبد الهادي.

عثمان : (مغتاظاً يرد من النافذة) وماذا تريد يا بن عبد الهادي في هذه الساعة؟

جعفر : أريدك يا عمي القاضي عثمان.

عثمان : (مغتاظاً) الصباح رباح يا بن عبد الهادي.

جعفر : المشكلة صعبة يا عمي القاضي.

عثمان : إن كنت تشكو أحداً، أو أحد يشكوك، فالصباح رباح. تعال غداً إلى الديوان.

جعفر : (يضيق وهو يحرك جيوبه في الهواء للجمهور) يا عمي القاضي الأمر عاجل ولا يتحمل الانتظار، انزل في الحال.

عثمان : أنا نائم. ليس لدي وقت لك. (يغلق النافذة) لم يبق إلا أنت يا بن عبد الهادي.

جعفر : الله. الله.. ما هذا؟! أتغلق النافذة في وجهي وتتركني هكذا!. يا للعار. (يصيح بصوت عالٍ) أين العدل.. اين العدل.. وأنت نائم يا جناب القاضي!. انقذني يا جناب القاضي. العدل نائم

وأنت نائم... آه.. آه يا أبي وأه يا أماه. الفقير ليس له من ينصفه!.

عثمان : (يفتح الباب ويخرج له) ماذا بك يا ولد؟ لماذا تنوح هكذا؟

جعفر : قراقوش.

عثمان : أعوذ بالله.. ماذا به؟.

جعفر : يقولون إنه ترك العمال بالقلعة ونزل إلى البلد.

عثمان : ولماذا يتركها في مثل هذه الساعة؟! ثم ما شأنك وشأن قراقوش؟ أتوقظني من نومي لتقول لي: قراقوش قادم والعدل نائم، والقاضي نائم، عيب عليك. لقد كبرت وشاربك في وجهك وتفعل أفعال الصغار!.

جعفر : أنا عامل لك مخبر وعسس وجاسوس.

عثمان : لا أريد مخبرين ولا عسس ولا جواسيس.

جعفر : أنا مخطئ يا سيدي.. لا تغضب مني.

عثمان : لو فعلتها مرة أخرى (يريد أن يدخل لينام) سآمر بحبسك في الصباح.

جعفر : إلى أين أنت ذاهب؟

عثمان : سأدخل لأنام.

جعفر : لا.. لن تنام.

عثمان : ماذا تريد؟

جعفر : (يهرش في رأسه) زوجة أبي في حالة وضع الآن؟ ووالدى يريد معونة، وأنا ليس لدي نقود، وهذه هي جيوبي (يشير إلى جيوبه)

عثمان : ماذا؟! أبوك يا جعفر ما زال...

جعفر : الحمد لله.

عثمان : من أمك ...؟

جعفر : لا من زوجته الجديدة.

عثمان : من؟ الست " وحيدة " ؟

جعفر : لا.. البنت عزيزة بنت نحمده بائعة الجبن القديم.

عثمان : أيتزوج ممن هي في سن بناته.

جعفر : اتحسد أبى على صحته!

عثمان : صحيح لديه سبعون عاماً، ولديه من الأولاد ثلاثون، وأنت أكبرهم، أنظر إلى نفسك، ماذا تعمل؟! لص.. لص يا جعفر وبقية أخوتك.

جعفر : (مقاطعاً) الله.. الله، ما هذا؟ لماذا توبخني هكذا؟ هل وجدتُ عملاً شريفاً ورفضته؟! ثم أنك فى سن أبي وتزوجت مرة واحدة، وماتت زوجتك ولم تنجب منها!

عثمان : حكمة الله.. اتشمت فيَّ يا بن عبد الهادي؟ اذهب

بعيداً عني. فليقطع عنك الله الخلف.

جعفر : سامحك الله.. سامحك الله يا عمى القاضى. أنت مثل أبي ولن أرد عليك.

عثمان : أنا لست مثل أبيك. أبوك شيخ منصر. شيخ الحرامية.

جعفر : هذا كان زمان، ثم إنك أنت الذي قلت: لا تسرقوا. لا تسرقوا. وها نحن لم نعد نسرق ولا نجد لقمة العيش، إذن اعطنا نقوداً؛ لنعيش ما دمنا هجرنا السرقة.

عثمان : لا يا ضنايا. لقد ترتكم السرقة لخوفكم من قراقوش.

جعفر : لسنا وحدنا الخائفين من قراقوش. المحروسة كلها خائفة من قراقوش، ولكن قولي يا شيخ عثمان ما معنى قراقوش هذه؟

عثمان : قرة تعني أسود.. وقوش تعني طائر. أي الطائر الأسود.

جعفر : لكنه ليس أسود. فهو أبيض. وخدوده حمراء. وشعره أصفر. وعيناه زرقاوان...

عثمان : (مقاطعاً) اسمع يا ولد خذ نصف دينار وانصرف.

جعفر : نصف دينار؟! وماذا أفعل به؟! الداية تريد دينارًا، والعطار يريد ديناراً؛ مقابل المغات

والحمص والسودانى والبندق والفستق. ألن نقيم سبوعاً للولد أم ماذا؟ أيولد هكذا في صمت دون احتفال؟ لا بد له من سبوع!

عثمان : خذ ديناراً آخر(يعطيه ديناراً) وأرنى عرض أكتافك.

(ص) لامار : يا عثمان .. هيا كف عن الكلام.

جعفر : يوجد صوت سيدة في منزلك! الله.. الله في بيتك حريم يا شقي؟!

عثمان : (يرتبك) كف عن هذا الهراء وانصرف. يقول في بيتي حريم.. أنا؟!

(ص) لامار : (من الداخل) هيا يا عثمان.

جعفر : أيها الشقي؛ سأبلغ عنك قراقوش، وأقول إنك تحضر النساء إلى منزلك ليلاً.

عثمان : يا ولد يا جعفر يا لص. ما الذي جعلني أسايرك في الحديث مع إنني أعرفك لص وبصاص وبائع حمير مغشوشة. لكنك أبيض القلب. كلك عيوب لكنك طيب.

جعفر : أطال الله في عمرك. لكن.. لماذا تقيم زوجتك عند أهلها وأنت هنا وحيد؟ أنت تحتاج لامرأة تحضر لك ماء ساخناً لتضع قدميك فيه. قدح من الشاي. لقمة حلوة. تدلك ظهرك. قلت لي ما اسم

زوجتك؟ ابنة من؟

عثمان : (يخرج من جيبه كيس نقود، يخرج قطعة يقدمها له) خذ نصف دينار وانصرف.

جعفر : الحياة غالية، والأسعار نار.

عثمان : خذ نصف دينار آخر وأصمت.

جعفر : أعطني نصف دينار آخر؛ لأصمت ولا أخبر أحدًا ولا سبتولا جمعةً . قلت لي ما اسمها؟

عثمان : خذ (يعطيه نصف دينار آخر)

جعفر : يبدو أنها سيدة عجوز خطفتها من الترب. فأنا أعرفك تنظر للنساء الذاهبات للترب يوم الخميس. قلت ما اسمها؟

عثمان : امش وكف عن تطويل اللسان. (يدخل ويغلق الباب قائلا) ما هذا البلاء الذي يأتينا فى مثل هذه الساعة؟!

جعفر : (ينظر للباب) (صارخاً) يا عمي القاضي. أتغلق الباب في وجهي! صبراً. فلينتقم منك الله ويبعث إليك بقراقوش على غفلة، يفتش تحت السرير ويلقاها عندك. (يسير خطوتين) لو وجد قراقوش هذه السيدة عندك أخبره أنها أمي. أم جعفر. وقل له إني ضربتها وتركتها لتنام عندك. لكن لم

تخبرنى ما اسم أمي؟ (يضحك)

عثمان : امش من هنا. صدعت رأسى يا ولد. (يخرج ويرمي عليه كوب ماء)

جعفر : الله.. الله. رش المياه عداء. (ينظر للصالة) من المؤكد أنه تزوج واحدة من إياهم. لا.. لا يفعلها. إذن فقد تزوج غازية أو مغنية. فلأنصت إلى الباب قد أسمع شيئاً.

(يقف لينصت على الباب) (صوت لامار وعثمان)

ص لامار : ماذا يا عثمان. ما كل هذا الكلام؟ مع من كنت تتحدث؟

ص عثمان : إنه ولد فقير. أمه تلد الآن. ويريد مساعدة؛ أعطيتها له.

ص لامار : لا بد أن أنصرف فقد تأخرت.

جعفر : أنا أعرف هذا الصوت جيداً.

ص عثمان : هناك متسع من الوقت؛ فلتبقي معي قليلاً.

ص لامار : سأمر عليك غداً في نفس الموعد.

ص عثمان : انتظري؛ لأرى إن كان هناك أحد بالخارج.

جعفر : (وهو يختبئ) فلأختبئ.

(يفتح عثمان الباب. يلتفت يميناً ويساراً. يطمئن؛ يشير إلى لامار)

عثمان : مع السلامة. مع السلامة يا حياتي. يا حبيبتي.

: (تخرج لامار. فتاة رشيقة تغطي وجهها بشاش أبيض أو أسود. تسير في الشارع) (عثمان يغلق الباب)

جعفر : (يفاجئ لامار) إلى أين يا جميل؟

لامار : أفزعتني يا رجل. من أنت؟

جعفر : أنا جعفر أشطر شطار المحروسة.

لامار : وماذا تريد يا جعفر؟

جعفر : عري وجهك يا بنت. وقولي من أنت؟

لامار : استر عليَّ؛ يسترك ربنا ويستر أهلك.

جعفر : أنا أعرف هذا الصوت جيداً. صوت حلو جداً يا بنت.. أقصد يا خالتي.

لامار : (بشجاعة وقوة) هل تعرف من زوجي؟

جعفر : أعرف. أنت زوجة القاضي. وما دمت زوجة القاضي فأنت خالتي.

لامار : ما دمت تعرف؛ أبعد عن طريقي واجعل الليلة تمر على خير. (تحاول أن تمر فيمنعها)

جعفر : هذا الصوت أعرفه جيداً. أرني وجهك.

لامار : سأصرخ ليتجمع الناس حولك.

جعفر : اصرخي. أصرخي يا خالتي. فضيحة. زوجة

القاضي وجعفر الشاطر الصايغ فضيحة فى المحروسة. أرني وجهك. أعرفك ثم أتركك تمرين. وأعدك أنني لن أخبر أحداً.

لامار : احلف لي.

جعفر : بشرف الشاطر. وليس بشرف التاجر.

لامار : وما الفرق؟

جعفر : التاجر إذا حلف بشرفه؛ فهو سارق، أما اللص إذا حلف بشرفه؛ فهو أمين.

لامار : حسنا يا أمين (تعري وجهها) ها أنا. رأيتني. عرفتني. انبسطت. ارتحت! (تبكى)

جعفر : لامار (يفاجأ)

لامار : نعم لامار.

جعفر : (يدق قلبه) لامار.. أجمل جارية في قصر الخليفة العاضد بالله؟! أنت يا لامار تتزوجين من عمي عثمان القاضي العجوز.

لامار : مال بختي.

جعفر : لقد بحثت عنك كثيراً، عندما باع صلاح الدين جواري الخليفة؛ بحثت عنك في كل الأسواق. والآن أراك بعد ستة عشر عاماً! أنا لا أصدق عيني.

لامار : للضرورة أحكام يا جعفر. استأذنك. اتركني أمشي.

جعفر : وكيف تمشين بعدما وجدتك؟

لامار : لا تقلب علي الأوجاع يا جعفر.

جعفر : كنت دائماً أقفز إلى قصر الخليفة العاضد بالله؛ لأراكِ في البستان.

لامار : كان هذا من زمن عندما كنا أطفالاً.

جعفر : نعم كنا أطفالاً. لكنك اختفيت.

لامار : منذ أن حرق الوزير شاور القاهرة وحرقوا مصر القديمة؛ حتى لا يدخلها عسكر الفرنج.

: (فلاش باك.. موسيقى)

(خيال الظل في الخلفية. حريق القاهرة أيام شاور وزير الخليفة العاضد بالله. الناس تجري. بيوت تقع)

(استعراض.. لايف مع رستاتيف أغاني)

صوت١ : شاور يحرق القاهرة.

صوت٢ : ممنوع إطفاء النار.

صوت٣ : أغثنا يا مغيث.

صوت٢ : ممنوع إطفاء القاهرة.

صوت٤ : انقذنا يا أرحم الراحمين.

صوت١ : أطفالي.

صوت٢ : زوجي.

صوت٣ : ابنتي.

صوت٤ : ابني.

جيش شاور : احرق.. احرق.. دمر.. دمر.

(ظهور شاور في استعراض خيال الظل ثم اللايف)

شاور : من يطفئ النار فى القاهرة؛ سأحرقه. من يرمي قطرة مياه؛ سأقطع يده. اتركوها تشتعل. لا بد أن تحرق القاهرة. لا بد أن تحرق بأهلها؛ حتى لا يحتلها الصليبيون ولا ينالها أحد. لا يجب أن يبقى فيها شيء.

(يضحك شاور ضحكة هستيرية)

الأهالى والشعب : (تغني بنداء) أين الخلاص. أين صلاح الدين؟ يا صلاح الدين؛ اظهر وبان عليك الأمان.

صلاح الدين : (يظهر.. يصارع شاور بالسيف حتى يقع شاور)

شاور : أتقف أمامي يا صلاح الدين؟ يا عسكر أتقف أمام الوزير!

صلاح الدين : باسم الشعب، أمرنا بقطع رقبة شاور بأيدي الشعب.

(الناس تحمل شاور للمشنقة)

ص القاضى الفاضل : خمسون يوماً يا قاهرة وأنتِ تحترقين. خمسون يوماً والناس تأكل الناس والبيوت.

صوت المجاميع : عاش صلاح الدين.. عاش صلاح الدين.

(تختفى المجاميع والإضاءة وخيال الظل)

(عودة من الفلاش باك إلى الحاضر)

(بعد انتهاء الاستعراض يظل جعفر ولامار)

لامار : وجاء صلاح الدين، وباعوني لقصر السلطان الخليفة العاضد جارية، رويداً رويداً؛ صار صلاح الدين وزيراً. قلنا إننا سنعيش في سلام. لكن من أين يأتي السلام؟ والمكتوب على الجبين لا بد أن تراه العين، وأصبح الكل يتحدث عن الوزير صلاح الدين الأيوبى.

جعفر : أذكر ذلك اليوم عندما ثار الوزير صلاح الدين الأيوبي على الخليفة العاضد وأحرق قصره، وأعلن صلاح الدين أنه هو الخليفة.

لامار : وأتى لنا صلاح الدين بقراقوش؛ ليصبح وزيره.

جعفر : جعل عاليها سافلها، يذبح من بها، ويشنق أهلها.

لامار : وهربت كل الجواري. باع صلاح الدين جواري وترك التجار يبيعونا؛ فذهبت للقاضي أشكو

زماني، فقال سأتزوج هذه البنت سراً حتى لا يغضب مني قراقوش. أحضر إلى هنا فأنظف له المنزل، وأعد له الطعام وأنا عند أمي.

جعفر : تمهلي قليلاً، تنظفين المنزل حسنا، تطهين الطعام حسنا، وماذا بعد؟

لامار : ماذا تعني؟

جعفر : أعني أتغسلين ملابسه؟

لامار : طبعاً.. ألست زوجته؟

جعفر : أتحمميه؟!

لامار : أنت يا ولد.. لقد صرت قليل الأدب.

جعفر : يا بنت ما دام هو زوجك وأنتِ امرأته؛ أقيمى معه أنتِ وأمَكِ.

المنادي : (يظهر المنادي في بقعة ضوء)

يا موظفين.. يا موظفات.. مرسوم، مرسوم من قراقوش. ممنوع الزواج حتى لا تتعطل الأعمال. الموظف الأعزب؛ سيهتم بالعمل أكثر، والموظف المتزوج سيبقى مهموماً غلبانا يفكر في الست والعيال.

جعفر : الزواج حرام في زمن الخصيان. عجبي من هذا الزمان! الشباب لا يقدر على تكاليف الزواج،

وناس في سن السبعين معهم أموال ويتزوجون في السر! فعلاً هذا زمن الجيب الدافئ، والجيب العمران. اذهبي يا لامار، اذهبى يا بنت الناس.

لامار : استر عليَّ يا جعفر، في أمان الله.

جعفر : قلت لك كلام شطار وليس كلام تجار. في أمان الله. (يخرج) فلأذهب إلى حانة نعمان.

: (يخرج جعفر. تقف لامار حائرة)

لامار : استر يا رب (يدخل ثلاثة رجال ملثمين، بينهم قراقوش)

قراقوش : من أنتِ يا بنت؟

لامار : قولوا من أنتم؟

قراقوش : أنتِ جاسوسة للفاطميين أم للصليبيين؟

لامار : أي جاسوسة؟ ولمن؟ وما هذا الذي تقوله؟

قراقوش : تعالي هنا يا بنت.. اقتربي.

لامار : اقترب؟ كيف؟ (تخاف ترتعد.. تدق باب عثمان)

: يا عثمان. يا عثمان. افتح يا عثمان بسرعة.

عثمان : من؟.. من؟! لامار.. (يفتح الباب، تدخل لامار وتجري) ماذا حدث يا لامار؟

لامار : انقذني يا عثمان من هؤلاء اللصوص. (يضحك قراقوش. يضحك الرجلان)

عثمان : اسمع يا لص أنت وهو، ألا تعرفون من أنا؟!

قراقوش : (وهو ما زال ملثما) لا.. لا نعرف.

عثمان : أنا القاضي عثمان.

قراقوش : حسنا أيها القاضي، هذه البنت جاسوسة للفاطميين والصليبيين.

لامار : بنت تبتك يا غبي، أنا سيدتك. ألا تعرف من أنا؟ قل لهم يا عثمان.

عثمان : نعم نعم.. ماذا أقول لهم (يتردد) ألا تعرفون من هذه؟

لامار : أنا زوجته. زوجة القاضي. وأنا وصيفة الخليفة العاضد رحمه الله.

قراقوش : إذن أنتِ لامار.

لامار : سيدتك لامار يا غبي.

قراقوش : إذن فقد تزوجتَ لامار يا قاضي وخالفت أوامر قراقوش.

لامار : ومن هذا القراقوش، مجرد عبد مملوك ليس له أهمية، ظل يتسحلب ويتدحلب في قصر الخليفة العاضد بالله.

قراقوش : صه اسكتي يا بنت، مقبوض عليكِ أنتِ وعثمان.

عثمان : هأ هأو.. أنا القاضي يا غبي. أنا الذي آمر

بسجنك والقبض عليك؛ بتهمة التعرض لامرأة في الطريق العام ومحاولة اغتصابها، وأطلت لسانك على القاضي.

لامار : يبدو أنهم عيال شطار متخفين في زي عسكر.

قراقوش : لا.. لسنا شطار يا لامار (يزيح اللثام) أنا قراقوش.

الجنديان : عاش قراقوش.

لامار : عثمااان.

عثمان : لامار.. رحنا في داهية.

(فيـــــد أوت)

المشهد الثانى

: (يتغير الديكور على أغنية في حانة نعمان. أغنية قطعني حتت هاتوا السكاكين)

(المسرح في المستوى الأول والثاني حانة نعمان.. دخان وكؤوس تدور)

: (في اليمين مستوى أول: تجلس بوسة مطربة ومغنية.. تغنى ياللي الهوى رماك)

(في مستوى ثانٍ: يجلس فل تاجر الحشيش.. وبجواره ابن مماتي)

(في مستوى ثانٍ: يجلس زنبيل تاجر العبيد ومعه بعض الجواري)

(في المستوى الثالث: ثلاثة براويز. برواز ذهبي في اليمين (لصلاح الدين)، برواز فضي في الوسط (قراقوش)، برواز اربيسك ثالث (للقاضي الفاضل)

(المطربة تغنى قطعنى حتت هاتوا السكاكين)

(يدخل إلى الحانة جعفر وهو يتمايل ويرقص ويغنى)

جعفر : قطعنى حتت هاتوا السكاكين. مساء الفل على

الحبة دول (ينظر إلى اليسار) والحبة دول (ينظر إلى اليمين) (يلتفت جعفر حتى يجد ابن مماتي يشرب من كأس وأمامه زجاجة؛ يتجه نحوه، يهرش في رأسه كعادته)

جعفر : مساء الفل

ابن مماتى : اجلس واشرب كأس.

جعفر : اعطنى ديناراً أولاً.

ابن مماتى : لماذا؟

جعفر : لكي أشرب كأساً، أنا جعفر، محسوبك عبد من عباد الله الجدعان الشطار الفقراء. اعطني ديناراً.

ابن مماتى : (يخرج كيس النقود، يعطيه ديناراً) خذ (ينظر جعفر للنقود بشراهة؛ يخرج ابن مماتي نقودا) وخذ ديناراً أخر، وديناراً ثالثا.

جعفر : الله.. الله، يبدو أنك رجل كريم جداً، ويبدو أن معك نقوداً كثيرة.

ابن مماتى : أنا معي كنوز، عندي كنوز.

جعفر : (يلتفت يميناً ويساراً) اخفض صوتك، الناس تسمعك! وأولاد الحرام لم يتركوا لأولاد الحلال حاجة. اشرب.. اشرب.

(يشرب كأساً) وأين هذه الكنوز إذن؟

ابن مماتى : معي هنا بعضها.

جعفر : معك هنا؟! (بلهفة وهو ينظر حوله؛ فيجد جوالاً)

ابن مماتى : نعم معى هنا، ها هي (يشير إلى الجوال)

جعفر : يا سلام عليك يا رايق، والله لقد انشرح لك قلبي. هل تعرف؟ شيء ما جذبني عن بعد، ناداني بمجرد أن دخلت الحانة، وقال لي: هذا الرجل الملاك بعثه الله إليك. اعطني قليلاً من كنوزك.

ابن مماتى : حاضر.. حاضر يا ابني.

جعفر : سأغمض عينيَّ حتى لا أفقد الوعى. أول مرة أرى كنزاً حقيقياً. ها أنا أغمض عينيَّ. واحد.. اثنان.. ثلاثة.

ابن مماتى : (يخرج ابن مماتي كتاباً يقدمه له) خذ.

جعفر : أفتح عينيَّ؟

ابن مماتى : افتح.

جعفر : (يفتح عينيه) أين؟

ابن مماتى : ها هو الكنز.. كتاب تلقين أحكام الفقه (يقدم له كتاباً آخر) وهذا كنز آخر.. سر الشعر.. وسر النثر.

جعفر : أنت لم تفهم ما أقصد هذا ورق، أنا أريد كنوزاً.

ابن مماتى : هذه هي الكنوز.

جعفر : هل سكرت أم ماذا؟ أقول " كنوز وليس تيوس" الورق يأكله التيوس، يعنى الخنازير. أنت لم تفهم. قلت لي معك كنوز أين تخفيها؟

ابن مماتى : ها هي الكنوز.

جعفر : ل شربت حجرين شديدين من فُ ل (ينظر إلى فُ ل تاجر الحشيش) يا فُل يا معلم فُ ل.

ابن مماتى : أين الفل؟ أين الزهرة الجميلة الفل؟

فُل : (يدخل) مساء الخير (شكله كريه للغاية)

ابن مماتى : أنت فل؟! هذا لا يعقل، أنت اسمك خطأ. لا بد أن يكون اسمك زبالة. كناسة. مركوب.

فُل : ولِمَ هذا الغلط؟ افتح دماغك يا رجل (يحاول الهجوم عليه)

جعفر : لا.. إنه رجل عنده كنوز، لكنه أخطأ قليلاً بدل أن يحضر جوال الكنوز؛ أحضر قليلاً من زبالة ورق من أجل التيوس.

فُل : يا عم هذا لا يبدو على وجهه أي كنوز.

جعفر : ا فُ ل انظر جيداً. أنه يلبس جبة غالية، وطاقية غالية.

فُل : غالية ونفيسة وبهيجة. يا عم اتركني، طيرت

الحجرين من رأسي. (يتركه ويمشي)

ابن مماتى : اقعد يا ولد.

جعفر : أنا خدامك، لكن قل لي أين الكنز؟ (ارحني أراحك الله من الدنيا وبلواها.

ابن مماتى : أنت تعجبني يا ولد.

جعفر : أنا لا أحب هذا الكلام، أعجبك أو لا أعجبك، أنا رجل وسيد الرجال.

ابن مماتى : يا ولد أنت تعجبني.

جعفر : لا داعي لهذه الأشياء. من أنت؟!

ابن مماتى : أنا ابن مماتي.

جعفر : نعم! ابن مين؟

ابن مماتى : ابن مماتي.

جعفر : من الذي مات؟

ابن مماتى : أنا أسمي ابن مماتي. أبي كان من الأدباء الكبار والمسئولين الكبار في الدولة الفاطمية، وفي أيام المجاعة كان الأطفال يقفون على بابه ويوقولن مم أتي.... م أتى .. فسموه مماتي.

جعفر : ومات...؟

ابن مماتى : نعم.

جعفر : سيدخل الجنة مع أبي رحمه الله، إن شاء الله

عندما يموت أبي. وماذا تعمل؟ (يشرب كأساً)

ابن مماتى : وزيراً.

جعفر : (يبصق المياه من فمه) أعوذ بالله.

ابن مماتى : سابق .. وزير سابق.

جعفر : خضتنى.. الحمد لله أنهم خلعوك. قلت لي أين تضع الكنوز؟ لأنه في الحقيقة عندما يكون عند أحد كنز فإنه يوجعه، لا يعرف النوم ليلاً ويقول آه يا كنزى. أقطع إصبعك، أقصد كنزك؛ تشفى. هيا اعطني الكنز؟

ابن مماتى : (وهو يشرب) قلت لي ماذا تعمل؟

جعفر : رجل أعمال.

ابن مماتى : لا أفهم ماذا تعمل؟

جعفر : أحياناً أقفز على المنازل لأنظفها من الفضلات.

ابن مماتى : ترفع الزبالة؟

جعفر : لا.. الذهب، الماس، وأحياناً أعمل موزعاً مع فل. وأنت هل أنت وزير صلاح الدين الأيوبي؟

: (يظهر في الخلف في البرواز صلاح الدين الأيوبي)

(فيد أوت.. إضاءة على المستوى الأول والثاني)

صلاح الدين : بأمر صلاح الدين الأيوبي خليفة المسلمين أقلنا

الأيوبى الوزير ابن مماتي، وتم تعيين بهاء الدين قراقوش وزيراً ونائباً لنا. (صياح الجماهير) عاش صلاح الدين.. عاش صلاح الدين.

(ظهور قراقوش في البرواز)

قراقوش : بأمر قراقوش وزير ونائب السلطان صلاح الدين الأيوبى المعظم؛ أمرت بحرق الكتب، وطرد الكتاب، وحرق المكتبات، واعتقال الشعراء والأدباء. لا صوت يعلو على صوت المعركة.

: (ضوء على صلاح الدين.. بلاك على قراقوش)

صلاح الدين : إن المعركة الأساسية التي تواجه الأمة العربية هي الوحدة. وطن واحد من المحيط الى الخليج. (بلاك)

(ضوء على القاضي الفاضل برواز ٣)

القاضى الفاضل : من القاضي الفاضل إلى السلطان المعظم صلاح الدين الأيوبي أما بعد.. فإن هذه الكتب هي روح الأمة، والثقافة هي النور، والعلم هو نعمة الله علينا. فأسمحوا لي بشراء هذه الكتب.

قراقوش : بأمر قراقوش نائب السلطان المعظم صلاح الدين. الكتابة هبابة. والكتب بها أفكار سوداء، وحشو، ولغو، وتطرف فى الدين. والكتاب والشعراء ليس لهم أي لزوم.

(اختفاء الضوء على المستوى الثالث)

جعفر : **كيف أصبح قراقوش نائباً للسلطان؟ ومن قراقوش هذا؟**

القاضى الفاضل : **بهاء الدين قراقوش هو عبد خصي من المماليك، اشتراه أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين، وعندما تولى صلاح الدين الوزارة للخليفة الفاطمي العاضد بالله؛ عينه صلاح الدين مشرفاً على كل شيء في القصر. ذهب، ماس، مجوهرات، ناس، حريم. ورويداً رويداً أصبح الرجل الأول لصلاح الدين ويده اليمنى....**

(ضوء باك عليه)

جعفر : **هل تعرف؟ لقد ندمت الآن.**

ابن مماتى : **على ماذا ندمت؟**

جعفر : **على أنني لم أعد عبداً من العبيد في قصر السلطان. كان يمكن أصبح وزيراً أو حتى قراقوش نائب السلطان.**

ابن مماتى : **ألم أقل لك أنك تعجبنى يا ولد؟ (يمد يده على كتفه؛ فيبعدها جعفر)**

جعفر : **دعك من هذه الألاعيب، لقد كنا محترمين، الآن.. ماذا حدث؟ تكلم من بعيد لا تضع يدك على كتفي (ينادي) زنبيل.. زنبيل..**

زنبيل : (يتقدم ومعه العبيد) نعم يا جعفر.

جعفر : هل عندك عبيد؟

زنبيل : عندى ثلاثة.. ثلاثة من الشباب الأقوياء الأشداء.

جعفر : (ينظر إلى ابن مماتي) حلال لك يا عم الثلاثة، من يعجبك؛ خذه واشتريه واتركني وشأني.

زنبيل : أنا خادم السيد أتريدهم؟

ابن مماتى : لا.. لا أريد أحداً.

زنبيل : تريد جواري؟ أنا عندي خمس جوار.

ابن مماتى : لا.. لا أريد شيئاً، لا أريد الشراء.

زنبيل : إذا غيرت رأيك أخبرني. فهمه يا جعفر.

جعفر : (يهمس بصوت مرتفع لزنبيل) إنه لديه كنوز ولا يفهم قصدي، لقد نسي أن يحضر النقود، وأنا فقط أريد أن أعرف مكانها، واشتري منك الجواري.

زنبيل : حسنا يا جعفر.. (يتركه وينصرف)

ابن مماتى : عندما يهان الكتاب ويلقى في النار وتحرق الأفكار؛ فعلى الدنيا السلام.

جعفر : لماذا تغضب نفسك هكذا من أجل أوراق؟! عمك قراقوش يحرق الكتب فى الأسواق مجيئة وذهاباً. هل خدعوك وأخذوا منك الكنز وأعطوك

الأوراق؟

ابن مماتى : أنا لدي ٢٢ كنزاً.

جعفر : ٢٢ كنزاً؟! يا بختك ياعم. اعطني قليلاً ؛ وأنا أفعل أي شيء تطلبه مني.

ابن مماتى : هل يمكنك أن تذهب للسلطان صلاح الدين؟

جعفر : أعطني الكنوز وأنا أذهب إليه.

ابن مماتى : قل له إن المفكرين لم يعد لهم قيمة حذاء، والوزير صار من الخصيان، والكاتب أهين.

جعفر : أكتب لي كل ما تريد قوله؛ وأنا سأحفظه وأقول له يا صلاح الدين يا صلاح الدين.(فيد أوت على الحانة)

: (ضوء على صلاح الدين في المستوى الثالث)

صلاح الدين : إن الصليبيين يحتلون بيت المقدس، والقدس تناديكم؛ فحرروها من أيدي الروم ومن أيدي الطغاة.

(صوت الجماهير .. عاش صلاح الدين.. عاش صلاح الدين)

قراقوش : (ضوء على قراقوش) احرقوا بيوت الكفار والملحدين وأصحاب الأفكار الهدامة في مصر المحروسة، وابنوا سوراً كبيراً يضم مصر

والقاهرة، واهدموا المساجد التي تحمل الفتنة، واهدموا الأهرامات الصغيرة في الجيزة. لا أريد تماثيل وأهرامات وأثاراً بالية تقف في عرض الطريق، واحرقوا قصور العاضد بالله.

(فيد أوت)

القاضى الفاضل : (ضوء عليه) يا ناس حرام.. المسلم يحرق المسلم، والأهرامات الصغيرة تهدم والآثار والمساجد والقبور. أرحمونا من قراقوش. أين أنت يا صلاح الدين؟ أين أنت يا سلطان المسلمين؟

صلاح الدين : إن المعركة الأساسية هي الوحدة العربية أولاً، ثم الوحدة الإسلامية. ثانياً، ثم تحرير القدس وهزيمة الصليبيين.

: (فيد أوت)

(صوت الجماهير وصهيل الخيول.. عاش صلاح الدين)

(ضوء على الحانة.. المطربة تغنى) قطعني حتت هاتوا السكاكين (والجميع يغنون)

جعفر : أنا سوف أتكلم مع صلاح الدين، وسأتكلم مع قراقوش. لو أردت أن أكلم الجن الأحمر كله؛ سأكلمه.

ابن مماتى : (مقاطعاً) لا.. قراقوش لأ.

جعفر : فقط اعطني النقود.

ابن مماتى : أية نقود؟

جعفر : الكنوز، الـ٢٢ كنزاً. أنت لا تفهم؛ فأنت تخلط بين الكنوز والورق، الصنف الذي عند نعمان مضروب.

ابن مماتى : (يضحك) أنت تعجبنى يا ولد (يمد يده على كتفه)

جعفر : قلنا دعك من هذه الألاعيب يا أبا شنب.. يا أبا شنب بريمة.

(يحضر أبو شنب بريمة ومعه ثلاث بنات) (له شوارب كبيرة)

أبوشنب : أهلاً.. أهلاً بالحبيب الغالي، عندي رومية وعندي بيزنطية وتركية، انتق واختار.

جعفر : (لابن مماتي) انتقي واختار وابعد عني ولا تمد يدك على أكتافي، أنت اثنتان وأنا واحدة، يبدو عليك أنك محروم يا عيني عندما خلعك صلاح الدين وعين مكانك قراقوش.

أبوشنب : الساعة بخمسة دنانير، والليلة كاملة بخمسين ديناراً.

ابن مماتى : ماذا يفعل هذا ؟

جعفر : لا يفعل شيئاً على الإطلاق، فقط يقول "تريد ساعة، أم ليلة، وكم واحدة؟"

ابن مماتى : أنا لا أريد أي واحدة.

جعفر : (يقف) لا حول ولا قوة الا بالله.

ابن مماتى : أنت تعجبني يا ولد.

جعفر : يا جدع دعك من هذا الكلام وإلا أصبتك (يمسكه من الجاكيت)

ابن مماتى : خذ (يخرج كيس النقود) ادفع لهذا الرجل نقوداً وخذ أنت الباقي.

ابو شنب : (يخطف الكيس من يد جعفر. جعفر يمسك الكيس من يده)

أوعى.. هات الكيس، الرجل قال لك اعطه له.

جعفر : أنت تخطف الكيس من يدي؟! طيب خذ، خذ (يحدث شجار بينهما. ينتهي بفوز جعفر على أبو شنب؛ تحمله البنات وتمشى.

(يأخذ جعفر كيس النقود ويعطيه إلى ابن مماتي)

جعفر : أيرضيك هذا! ستجعل الناس يطمعون في أكياس المال؛ لم الدور. غني يا بوسة، قطعني حتت هاتوا السكينة.

بوسة : (تغني المطربة) حاضر يا جعفر.

جعفر : (يشرب كأس) أنا أريد أن أفهم شيئاً واحداً فقط، صلاح الدين الأيوبى ماذا يريد بالضبط؟

صلاح الدين : (يظهر) التاريخ الذي سيقول من الذي وحد العرب والمسلمين وحرر بيت المقدس.

: (صياح الجماهير.. عاش صلاح الدين)

جعفر : وقراقوش.. ماذا يفعل بالضبط؟

قراقوش : (يظهر في البرواز) أنا الحاكم الفعلي لمصر، وللسلطان صلاح الدين له المجد، وأنا لي الشعب. المصريون هم لي وأحكمهم، أحرق، أبني أهدم، وأعمر، هذه هي بلادي..

جعفر : وأين الناس؟

القاضى الفاضل : (يظهر في البرواز) حسرتي عليك يا شعب مصر، حسرتي عليكِ يا بلد، للأن لم يأتِ لك الولد يحكم أرضك وناسك، شارب من ماء نيلك، مولود من أب مصري وأم مصرية، حتى صلاح الدين ترك قراقوش يتحكم في العباد! حسرتي عليك يا بلد.

جعفر : أنا أريد أن أشرب كل الكؤوس، أريد الكنوز، أريد أن أنسى، أريد أن أنسى كل ما سمعته الآن. أنا سكران.. لا.. أنا ثمل، وهذا الرجل ثمل، لا..

هو سكران، أنا حمار وأريد أن أبقى حمارًا.

(يغني جعفر) قطعني حتت هاتوا الكسينة (تدخل الراقصة ترقص معه. مع بلاك أوت، ويرقص معه كل من في الحانة ومعهم ابن مماتي)

المشهد الثالث
(محكمة قراقوش)

: يفتح الستار على استعراض خفيف، يقول الناس فيه" اليوم محكمة قراقوش" يتقدم أصناف من الناس تشكو حالها وظروفها وضيق أحوالها، تظهر لافتة في الخلف كُتب عليها "محكمة قراقوش" كرسي فى المستوى الثالث للقاضي، كرسيان يميناً لمستشاري اليمين، وكرسيان يساراً لمستشاري اليسار.

في المستوى الثاني يميناً يوجد قضبان سجن وقد وقف القاضي عثمان ولامار. شرطيان يقفان أمام القفص، ميزان العدل مقوس وظاهر الإعوجاج. كُتبت لافتة في الخلف بخط جميل "محكمة قراقوش"

عثمان : من المؤكد أن الذي أبلغ عنا هو الولد جعفر اللص.

لامار : جعفر لا يفعلها.

عثمان : ومن أين عرفت أنه يفعلها أو لا؟! هل تعرفينه؟

لامار : (ترتبك) لا.. ومن أين أعرفه، وهل أعرف أنا

لصوصاً؟!

عثمان : لكنك تقولينها وأنت متأكدة!

لامار : لقد سمعته يقول لك: وشرفي، وشرف الشطار ليس مثل شرف التجار.

عثمان : شرفه! لص يكون له شرف؟! وشرف الحرامي هذا كيف يكون شكله؟ أنا أوكد أنه هو الذي أبلغ قراقوش.

لامار : ألم يجد صلاح الدين الأيوبي في مصر المحروسة، ولا الشام، ولا الحجاز الا قراقوش يعينه علينا ويتحكم؟! يبدو أنه مكتوب علينا يا عثمان أن نعيش متعبين.

عثمان : أتظنين قراقوش ماذا يمكن أن يفعل؟ يفصلني.. يسجنني؟

لامار : لماذا يفصلك ويسجنك؟ لماذا؟ هل ارتكبت جريمة أم ارتكبت جريمة؟! أنت فقط تزوجت. قل له أنا كبرت، تعبت، وأريد أحداً يخدمني.

عثمان : لا أستطيع يا لامار لا أستطيع.

لامار : (تقلده) لا أستطيع.. لا أستطيع. كلما قلت لك شيئاً تقول لي لا أستطيع، قل لي ما الذي تقدر عليه؟ قل لي شيئاً واحداً...

عثمان : آه لو رأيت الولد جعفر؛ لكسرت رقبته.

لامار : لا شأن لك بجعفر، دعنا في مصيبتنا.

عثمان : أقطع ذراعى إنك تعرفينه.

الحاجب : (يدخل) مولاي نائب السلطان الأمير بهاء الدين قراقوش.. محكمة

(يدخل قراقوش وسط احتفال مهيب ومعه المستشارون ويجلس)

قراقوش : فتحت الجلسة.

الحاجب : القضية الأولى عثمان عبد الراضي ولامار بنت بهانة.

عثمان : نحن موجودون.

قراقوش : (ينظر إلى لامار) وهذه لامار التي تزوجتها بدون علمى، وكسرت كلامي وأوامري؟!

عثمان : في الحقيقة أنا.. أنا كبرت وأحتاج إلى ....

قراقوش : (مقاطعاً بلهجة استهجان) ماذا تحتاج؟ ماذا تحتاج وأنت قاض؟ والقاضي يعني العدل. عندما يتزوج القاضي ويكون عنده مشاكل؛ لن يحكم بالعدل. إذن ما الذي قلب العدل في البلد وقلب الميزان؟ الزواج. (ينظر إلى لامار) ثم إن لامار هذه كانت جارية في قصر الخليفة السابق رحمه الله؛ إذن

فهي ملك من أملاك الدولة، يعنى ملكنا، أليس كذلك يا لامار؟ لماذا أنتِ صامته؟

لامار : ماذا تريدني أن أقول يا مولاي قراقوش؟.

قراقوش : صوتك ناعم يا لامار به أنغام، مؤكد أن القاضي عثمان ينام على صوت مثل الكروان؛ لهذا خالف النظام وأعلن العصيان.

لامار : القاضي عثمان لم يخالف النظام، ولا أعلن العصيان، ولم يفعل شيئاً، أنا السبب.

قراقوش : لا أريد كلام.. أمرنا نحن قراقوش نائب السلطان بطلاق لامار من المدعو عثمان، بعد أن اعترف أنه مخطئ، وأنه حاول قلب نظام الحكم. أموافق يا عثمان؟

عثمان : الذي تراه يا مولاي..

قراقوش : قل لها أنتِ طالق يا عثمان وأرحنا؛ لأن لدي قضايا كثيرة.

عثمان : حاضر.. أنتِ طالق يا لامار.. يا لامار أنتِ(يرتبك) طالق.

قراقوش : هائل.. الآن بضاعتنا ردت إلينا، تعود لامار إلى القصر ثانية (عثمان يبكي) لا تبك يا عثمان؛ لأن قلبى يتمزق عندما أرى رجلاً في وجهه شارب ويبكي، وأنتِ سعيدة يا لامار؟

لامار : **لا.. جارية مرة أخرى! لا، وكيف أعود جارية وأنا زوجة القاضي، أيعقل هذا؟ زوجة القاضي تعود جارية في قصر السلطان صلاح الدين! يا عيب الشوم يا أولاد، وماذا سيقول عنك الناس يا قراقوش؟ وأنت العدل والميزان (تشير إلى الميزان) والميزان معووج.. ها هو..**

أنا خادمتك يا مولاي قراقوش، فقط أعطني الأمان، وأعدل الميزان، واعطني وظيفة بدلاً من أن أكون جارية.

قراقوش : **وفي ماذا تعملين؟ في الحمام، أم في البستان، أم في المطبخ؟**

لامار : **في المطبخ.. أطبخ لك بيدي يا سيدي.**

عثمان : **وأنا معها.. أعمل طباخاً أساعدها.**

قراقوش : **لا.. أنت لن تعمل معها، أنت مرفود، أنت بح. انتهت قضية عثمان، اذهب يا عثمان ولا تخرج من الدار.**

عثمان : **ولامار؟**

قراقوش : **ليس لك شأن بلامار، انتظري يا لامار، تعالي أجلسي بجواري. (يقف أحد المستشارين وتجلس لامار)**

عثمان : ألقاك على خير يا لامار.

قراقوش : القضية التالية.

الحاجب : الأراجوزات يوسف وأيوب وحمزة.. (يدخل الثلاثة يقفون)

قراقوش : يوسف وأيوب وحمزة (يفتح ملف ورق) كنتم لصوصاً ثم اشتغلتم في خيال الظل.

الثلاثة معاً : ربنا تاب علينا.

قراقوش : تقدمون تشخيصات، وتقلدون، وتغنون وتهرجون.

الثلاثة معاً : حتى نسعد الناس بالحكايات.

قراقوش : حكايات مثل ماذا؟ أرونى ماذا تفعلون...؟

حمزة : بص.. فتح عينك تاكل ملبن يا مولاى (يقومون بعمل ستارة) (يظهر في خيال الظل أيوب يمثل دور شاور ويوسف دور المعلق وحمزة دور مواطن)

يوسف : كان يا ما كان، وزير ظالم اسمه شاور.

ايوب : أنا شاور حرقت القاهرة وجعلت الناس تموت وتجرى. أنا الرعب، أنا الموت، أنا أحب الملوخية.

حمزة : يا عم شاور، نحن الشعب. حرام أن تحرق بيوتنا وحاجاتنا.

ايوب : أتريدني أترك الفرنج يدخلون القاهرة ويحتلونها؟!

حمزة : ندافع عنها.

ايوب : لا.. نحرقها ونشعل النار فيها بدلاً من أن ندافع عنها ونموت.

حمزة : يا خلق، يا ناس، هذا هو شاور!

يوسف : اتفرج يا سلام على شاور.

قراقوش : (بغضب) يكفي. يكفي قلة أدب.

الثلاثة : ماذا حدث.....؟

قراقوش : أنتم تسبون " وزيرا سابق"

أيوب : لكنه مات وقتل.

قراقوش : أنا لا أحب أن يشتم الفقير الوزير حتى لو مات. ولأنكم تجرأتم وشتمتم الوزير السابق؛ حكمت على كل واحد منكم بخمسين جلدة على قدميه عند باب القصر بعد صلاة العصر.

ايوب : حرام والله.

حمزة : حرام.

يوسف : لماذا هذا يا عم قراقوش؟!

قراقوش : صاروا ستين جلدة. ولو تكلمتم كلمة أخرى؛ لصاروا سبعين. إذن.. فلنجعلهم ثمانين جلدة. انتهت القضية. ما بعده.

الحاجب : سعيد سائس اصطبل مولاي السلطان صلاح الدين

الأيوبى، وعباس فارس الحصان كفتة. (يدخل سعيد وعباس.. خائفان)

قراقوش : (يضرب المنصة بيده ويقف غاضباً) فضيحة.. حصان قراقوش هُزم يا أولاد! زغرطوا يا بنات! حصان قراقوش هُزم. والسبب مين؟! سائس الاصطبل سعيد. أليس كذلك يا سعيد..؟

عباس : (قراقوش يمسك عباس) أنا لست سعيداً، أنا عباس يا مولاي.

قراقوش : "قتة" حصاني قتة، حصان قراقوش يُهزم؟! ومن الذي هزمه "كفته"! الحصان كفته! والسبب من سائس الحصان الذي يدعى عباس. (قراقوش يمسك بسعيد) أنت يا عباس عملتها.

سعيد : أنا سعيد يا مولاي وهذا عباس. (يشير لعباس)

قراقوش : يا حاجب أين عباس؟

الحاجب : (يقدم له عباس) هذا هو عباس يا مولاي.

قراقوش : (يمسك عباس من قفاه) أنت يا عباس تخونني وتجعل "قتة" يهزم من الحصان "كفتة" فى السباق! حصاني العزيز. (يبكى بكاء كاريكاتيرياً)

عباس : والله.. والله يا أمير قراقوش الحصان "كفتة" هو الذي سبق حصانك. شددت عليه اللجام؛ رفض

الوقوف. نط، فط، جرى؛ سبق حصانك..قلت له يا كفتة عيب عليك تفعل هذا!

قراقوش : آه يا حصاني، حصانى مهزوم. لا بد أنه حزين.

لامار : (تذهب ترتب على كتفه) معلش يا مولاي لا تحزن. قطعت قلبى. أنت غاضب من عباس؟

عباس : والله شددت عليه اللجام حتى يقف وقلت له قف "يا كفتة"

قراقوش : أنا لست غاضباً من عباس. أنا غاضب من كفتة.

لامار : غاضب من كفتة نعم. عباس لا.

قراقوش : (وهو يبكي) نعم غاضب من كفتة. كيف يفعل هذا؟! كفتة هذا أعتبره مثل ابني. أقصد مثل حصاني قتة. مثلما أحضر لقتة تفاحا؛ أحضر لكفتة تفاحا. مثلما هذا يشرب ذاك يشرب. مثلما هذا يستحم ذاك يستحم. كيف يخونني الحصان كفتة..؟!

لامار : حصان عقله ناقص يا مولاي. قرر أنت كيف تريد أن تعاقبه.

قراقوش : (يدق بالشاكوش) قرار من قراقوش؛ يُمنع الحصان كفتة من الطعام لمدة ثلاثة أيام. لا طعام ولا ماء.

لامار : (تصرخ) يا خرابي! يموت. الحصان يموت.

قراقوش : قال يموت يا عباس؟

عباس : نعم يا مولاي يموت.

قراقوش : كيف يموت؟

لامار : زي الناس. ثلاثة أيام بدون طعام ولا ماء؛ يموت!.

قراقوش : اقسم يا عباس. احلف..

عباس : على ماذا أحلف يا مولاي؟!

قراقوش : قل والله العظيم والله العظيم.

عباس : والله العظيم والله العظيم.

قراقوش : لن أقول للحصان ولا لأي أحد.

عباس : لن أقول للحصان ولا لأي أحد.

قراقوش : إنك تطعمه وتسقيه، وأنني أعرف ذلك.

لامار : (على حدة) يا نفوخي. أيحلف أنه لن يقول للحصان ولا أي أحد أنه يعرف؟! العقل ياااا رب.

قراقوش : ماذا بك يا لامار؟

لامار : لا شيء يا مولاي.

قراقوش : تشكل لجنة لبحث أسباب فشل الحصان "قتة" في السباق.

سعيد : قبل أن تشكل اللجنة يا مولاي، أحب أن أعترف لك بسر يتعبني عن الحصان "قتة"

قراقوش : أي سر. ماذا عن قتة؟

سعيد : قتة يرفض أن يلبس حدوته.

قراقوش : ما دام قتة يرفض إطاعة أوامري؛ أكسروا دماغه. تقطع رقبة الحصان قتة؛ لأنه يريد قلب نظام الحكم، ويرفض طاعة الأوامر. وبعد ما يموت؛ ركبوا له حدوة الحصان حتى يسمع الكلام وهو ميت. آه يا قتة أتضح أنك خائن.

عباس : أمرك يا مولاى. (يخرج) هيا يا سعيد. (يخرج سعيد)

لامار : استأذنك يا مولاي.

قراقوش : لا تتركيني وحدي يا لامار. اقعدي معي في المحكمة.

لامار : يا حظك المائل يا لامار.

قراقوش : ماذا حدث يا لامار؟ دائماً تقولين يا بختك المائل. ابق بجانبي. انتهت قضية الحصان قتة والحصان كفتة، وحكاية عباس وسعيد، القضية التي تليها.

الحاجب : القضية رقم ٣ قضية فل وجعفر ورئيس الشرطة كرم.

قراقوش : أدخلهم بسرعة.

الحاجب : فل وجعفر ورئيس الشرطة كرم.

فل : (يدخل) أنا بامسي على الحبة دول، والحبة دول، والحبة دول.

قراقوش : ولد احترم المحكمة.

فل : احترمت المحكمة.

كرم : (يدخل) مولاي نائب السلطان قراقوش المعظم.

فل : ماذا هنا يا كرم! ما القضية؟

كرم : هذا الولد. أين هو؟ (ينظر لا يجد جعفر) أين جعفر؟

جعفر : (يدخل) السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قراقوش : من أنت؟

جعفر : محسوبك جعفر. (يفاجأ بلامار) لامار؟! (يفرك فى عينيه) لامار بنت بهانة. لامار..!

لامار : لم نفسك يا جعفر يا بن عبد الهادي.

قراقوش : أتعرفين هذا الولد؟

لامار : لا .. لا أعرفه.

قراقوش : من هذا الولد؟ وما القضية يا كرم يا رئيس شرطة القاهرة؟

كرم : مولاي.. "فل" تاجر من التجار جاءني لقسم الشرطة، وطلب مني القبض على المدعو جعفر بسبب ديون على جعفر لم يسددها لفل.

قراقوش : أنت يا ولد يا جعفر. هل عليك فلوس لفل؟

جعفر : نعم عليَّ فلوس لفل.

فل : ها هو يعترف يا مولاي قراقوش.

قراقوش : ولماذا لا تريد أن تردها له؟

جعفر : ليس معي يا مولاي.

قراقوش : ماذا تعمل يا ولد؟

جعفر : ماذا أعمل؟ (يهرش في رأسه) أعمل رجل أعمال. اسأل السؤال الأول لفل يا مولاي لماذا أنا؟

قراقوش : (لفل) ماذا تعمل؟

فل : أعمل أسطى لمزاج الشعب، عندما أجد مزاج الشعب غير مظبوط؛ أظبطه. وعندما أجد مزاج الشعب تعبان؛ أشفيه. ومنذ أن مسكت الحكم يا مولاي؛ والشغل يلاحقني على ودنه ليل نهار، أواصل عدل مزاج الشعب.

قراقوش : هذا عمل عظيم .

جعفر : يا مولاي قراقوش إنه يتاجر في الممنوع!

فل : المزاج ممنوع يا مولاي؟

كرم : نحن لسنا في قضية المزاج، نحن في قضية جعفر.

جعفر : أنا معترف .. علىَّ فلوس.

قراقوش : ادفع.

جعفر : ليس معي الآن. كلما وجدت معي فلوس أذهب وأبحث عن فل لا أجده؛ أصرف الفلوس. ماذا أفعل؟ أقطع نفسي؟! قولي لهم يا لامار.

قراقوش : هل تعرفين هذا الولد يا لامار؟

لامار : لا أعرفه يا مولاي. لكنى سمعت عنه أنه ولد من الشطار، تعبان وهايف.

قراقوش : حكمنا نحن قراقوش نائب السلطان صلاح الدين وحاكم مصر الآن بالنيابة بأن يسجن المدعو فل.

فل : أنا الذي أسجن أم هو؟! (يشير إلى جعفر)

قراقوش : أنت الذي يسجن يا ولد في السجن.

فل : لماذا؟

قراقوش : لأجل كلما صار مع الولد جعفر فلوس، يحضر إلى السجن؛ فيجدك ويدفعها لك.

جعفر : عاش العدل.. عاش العدل.. عشرة على عشرة يا قراقوش.. عاش قراقوش.

فل : يا نفوخي.. يا نفوخي.. أنا الذي يسجن، وأنا الذي أريد الفلوس؟

(فيد أوت إضاءة)

(مع أغنية واستعراض المطبخ)

: (مطبخ قصر قراقوش. تقف النساء للطبخ. تتقدم الفتيات باستعراض الطبيخ. الفتيات يقفن ويغنين بما معناه.. هنا الأكل المحمر والمشمر واللحوم والشواء والناس تصرخ من شواء الغلاء والأسعار)

(مجموعة قد تكون كبيرة وصغيرة.. فتاة تدق الثوم. تظهر لامار)

لامار : هيا يا أختى أنتِ وهي.. أسرعوا.. مولانا السلطان صلاح الدين قادم للغذاء مع قراقوش. لا بد أن يجهز الطعام سريعاً.

فتاة١ : أنا حضرت الفراخ.

لامار : وأنت يا أفراح؟

فتاة٢ : جهزت الحمام المحشى بالفريك.

لامار : وأنتِ يا أم خليل عملتي الملوخية...؟

فتاة٣ : عملتها يا ست لامار.

لامار : والشوربة والكوارع؟

فتاة٤ : جاهزة. حضرتها. ها هي نرجس قادمة.

نرجس : (تدخل نرجس) صباح الخير.

لامار : صباح الفل.. صباح القمر هكذا يا نرجس تتأخرين في احضار اللحم (نرجس فتاة جميلة في العشرين

من العمر)

نرجس : وماذا أفعل يا لامار. أبى كان مريضاً اليوم. وقام بصعوبة؛ ليقطع اللحم ويسويه.

لامار : أنت تعرفين أن قراقوش عازم صلاح الدين على الغذاء. سمعت أن هناك اجتماعاً هاماً اليوم.

نرجس : لا أستطيع أن أفهم. صلاح الدين لماذا اختار قراقوش بالذات ليتحكم فينا؟

لامار : كل الناس تقول هذا الكلام. وكل الناس تشتكي وصلاح الدين يقول: "أبداً.. إلا قراقوش" لقد قال لي هذا.

نرجس : من الذي قال لك؟

لامار : قراقوش طبعاً الذي أخبرني، أمال صلاح الدين؟!

نرجس : لكني أريد أن أعرف لماذا قراقوش متمسك بكِ؟

لامار : عندما أعرف سأخبرك.

نرجس : يا بنت عليَّ أنا؟!

لامار : وحياتك أنتِ يا نرجس أنا لا أعرف. لكنه يقول إنه يرتاح لي، ويطمئن أنه يأكل من يدي؛ يخشى أن يضع له أحد السم في الأكل.

نرجس : ليت أحد يضع له السم.

لامار : (تلتفت يميناً ويساراً خوفاً من الجواسيس) ماذا

تقولين يا بنت! هل جننت؟

نرجس : ممنوع زواج الموظفين. ممنوع المشي على النيل في الليل. ممنوع البيع والشراء إلا بعد دفع الضرائب. ممنوع .. ممنوع..

لامار : اعطنى اللحم. (تأخذ منها القفة)

: (يدخل جعفر في زي امرأة، يرتدى طرحة، يحمل قفة)

جعفر : (يقلد صوت امرأة) أين أنتِ يا شابة؟ أين أنتِ يا شابة. أين أنتِ يا لامار يا حبيبتي.

لامار : أهلاً يا ست من أنتِ...؟

جعفر : (يحاول أن يقبلها من خدها) وحشاني وحشاني. هاتي قبلة.. هيا.. هيا.

لامار : (تدفعه بعيداً) من أنتِ؟

جعفر : أنا حبيبة قلبك. هاتى قبلة.

نرجس : (تدفعه هي الأخرى) كيف دخلتِ القصر يا امرأة؟!

جعفر : (يلتفت إلى نرجس) الله الله.. أنتِ هنا؟

نرجس : ما معنى أنتِ هنا؟ نعم هنا؟ طبعاً هنا. من أنتِ؟ وكيف دخلتِ القصر؟

جعفر : على مهلك عليَّ يا شابة. لماذا تصرخين فيَّ وأنا مثل أمك؟ هاتي قبلة.

نرجس : ما هذا؟! هاتي قبلة هاتي قبلة. أنا لا أعرفك.

جعفر : يعني لا بد أن تعرفيني حتى تعطيني قبلة؟

نرجس : ماذا تريدين؟

جعفر : ما اسمك يا حلوة؟

لامار : ما هذا؟ ما اسمك وما اسم أبوك؟ ماذا تريدين يا امرأة؟

جعفر : يا قاسية. يا قاسية القلب. زعلتيني (يبكي) أهئ.. أهئ.. هاتي قبلة بقى. عيب عليكِ يا لامار، أنا من داخت حتى تراكِ.

لامار : أنا لا أعرفك.. كيف دخلتِ إلى القصر؟

جعفر : قلت لهم إنى زوجة أبيك.

لامار : أبى مات.

جعفر : أعرف ذلك.

نرجس : اللهم طولك يا روح.

جعفر : والبنت الحلوة الأمورة هذه ابنة من؟

نرجس : أنا بنت عبود الجزار. هل تعرفينه؟

جعفر : أعرفه؟ إلا أعرفه. عبود الأهبل الذي يرمي اللحم للكلاب والقطط!

نرجس : كفاك قلة أدب يا ست. أبي رجل طيب وليس أهبلا.

جعفر : في زمن قراقوش الطيب يسمونه أهبل.

لامار : معكِ حق يا ست. قلتي ما اسمك؟

جعفر : اسمي عنبر. هاتِ قبلة بقى.

نرجس : خسارة فيكِ هذا الاسم.

جعفر : لماذا تقسين عليَّ يا شابة؟ ليه حاطة نئرك من نئري؟ (تدخل امرأة تجري)

المرأة : مولاي قراقوش قادم يا ست لامار.

نرجس : وماذا لو رآنا هنا؟.

لامار : اختبئي مع هذه السيدة.

جعفر : أين نختبئ أنا وهذه الحلوة...؟

لامار : تحت هذه المائدة (يختبئان تحت المائدة بحيث يظهران أمامنا)

قراقوش : (يدخل) لامار لامار.

لامار : مولاي نائب السلطان قراقوش المعظم.

قراقوش : عملتي الحمام والفراخ والديوك المحشية والشوربة والكوارع؟

لامار : والفتة، وأحضرت فاكهة طازجة من البستان، وماء بارداً.

قراقوش : اليوم السلطان صلاح الدين الأيوبى سيحدثني في أمر مهم.

لامار : أي أمر يا مولاي؟

قراقوش : أذيقنى الملوخية أولاً (تعري لامار حلة الملوخية وتقدمها له ليتذوق)

قراقوش : الله.. حلوة.. تسلم يديك.

لامار : أبقاك الله يا مولاي.

قراقوش : أذيقيني البامية.

لامار : حاضر (يتعرى غطاء البامية) ذق يا مولاي.

قراقوش : الله .. جميلة.

جعفر : (تحت المائدة) أذيقني خدودك يا نرجس.

نرجس : عيب عليك يا ست.

جعفر : ولماذا يتذوق قراقوش وأنا لا؟

نرجس : يا ساتر.

قراقوش : (وهو يمر على الحلل يتذوق) أتعرفين يا لامار أنا أود أن أكافئك مكافأة عظيمة.

لامار : لو تريد أن تكافئني فعلاً.. أعدني لعثمان.

: (يضرب قراقوش المائدة؛ تخاف نرجس وتمسك جعفر)

جعفر : تعالي في حضن أمك يا حبيبتي.

قراقوش : لماذا تتزوجين؟ ماذا ينقصك في هذا القصر؟ أنتِ لك شرف ثقة قراقوش بكِ، أنت الوحيدة التي ترين السلطان صلاح الدين الأيوبي كل يوم تقريباً، أنا

وصلاح الدين سندخل تاريخ الأمة الإسلامية والعربية. وأنا سأدخل تاريخ الجواري، والشوارع، وسأبنى أكبر قصر على الجبل، قلعة الجبل. وأنتِ تفكرين في عثمان! زعلتيني يا لامار.

جعفر : (تحت المائدة لنرجس. يمسكها من ذراعها) قمر. حلوة. اتأكلين اللحم كل يوم يا بنت عبود الجزار؟ يا بختك؛ لهذا أنتِ مربربة. هاتي قبلة.

قراقوش : (للامار) سآخذك معي يا لامار.

لامار : إلى أين ستأخذني يا مولاي؟ أنا لست جارية.

قراقوش : سآخذك معي. حرة. خادمتي. ونسافر إلى عكا.

لامار : عكا ؟! لماذا ؟

قراقوش : حتى نبني سوراً لمدينة عكا ضد الصليبيين يا لامار.

لامار : أقبل قدميك يا مولاي أتركنى هنا. (تركع تحت قدميه. (تشاهد جعفر ونرجس؛ فيجذبها جعفر لتقبله)

جعفر : قبليني أنا (تقف لامار بسرعة)

قراقوش : اسمعيني يا لامار. أنا اعتدت عليك من كثرة ما سمعت عنك وما كتبوه في التقارير؛ أحسست أنكِ مكسب كبير لا يمكن أن يفرط فيه أحد بسهولة.

لامار : سأنتظرك هنا في قصرك ولن أذهب إلى أي مكان.

قراقوش : لكني أخشى من هم حولي. أخشى المصريين، أخشى الفاطميين، أخشى أن يقتلني عم صلاح الدين، أخشى أخوته، أخشى أبناءه. الكل يحسدني، أنا لا أشعر بالأمان إلا معكِ.

لامار : (تركع مرة أخرى) أتوسل إليك.

جعفر : هاتي قبلة (يحاول تقبيل لامار.. تقف بسرعة)

قراقوش : أنا سمعت كلمة قبلة هنا أو قلة.

لامار : (ترتبك) يا مولاي. اذهب إلى الديوان ودعك من القلة والقبلة، مولانا السلطان صلاح الدين الأيوبي على وشك الوصول.

قراقوش : سأسافر بعد يومين يا لامار. ولا أريد أن يعرف أحد أنني سافرت؛ لأن المصريين إذا عرفوا سيخربون البلد. لا بد أن يبقوا خائفين، وأنت لا بد أن تفتحي المطبخ كل يوم وتطبخين.

لامار : وماذا نفعل يالطعام؟

قراقوش : ألقيه. أرميه. لكن المهم أن يعرف الناس أنني موجود بالقصر. هذه أسرار الدولة.

: (تدخل جارية تجري)

الجارية : مولاي قراقوش.. السلطان صلاح الدين الأيوبي

وصل.

قراقوش : أنا قادم في الحال. أستأذنك يا لامار (يخرج)

لامار : (تضرب المائدة) هيا اظهروا.

جعفر : يا أختي القعدة حلوة هنا. تعالي اقعدي معانا.

لامار : لا أريد هزاراً.

نرجس : (تخرج) حاجة تقرف. هذه السيدة رائحتها غريبة.

جعفر : الصنف الذي أحضره فل سيئاً هذه المرة.

لامار : هيا يا نرجس ارحلي.

جعفر : أين تذهب؟ سأذهب معها.

نرجس : انقذيني يا لامار من هذه المرأة المصيبة.

لامار : أنا أريد أن أعرف من أين تعرفين اسمي؟ وكيف جئتِ؟

جعفر : من شخص يحبك ويموت في هواكِ.

لامار : عثمان؟

جعفر : ما عثمان هذا! الشيخ مريض.

لامار : أي شخص.. من؟

جعفر : جعفر.

لامار : الحرامي؟!

جعفر : تاب والحمد لله ويعمل الآن أراجوز.

لامار : أراجوز والله!

جعفر : والله أحياناً يعمل في خيال الظل أيضاً.

لامار : قولي لجعفر هذا أنا لا أحبه، ولا أريد منه أي شيء أبداً. أتسمعين؟

جعفر : لكنه أخبرني أنك كنتِ تحبينه، وهو يحبك من زمن.

لامار : كنت صغيرة ولا أعي.

جعفر : لماذا بختك مائل هكذا يا بنت؟ من شيخ مسن عنده سبعين عاماً إلى قراقوش الذي لا يتزوج أبداً!

لامار : لاااا.. أنتِ امرأة طويلة اللسان.

نرجس : أخرجي من هنا يا امرأة وإلا قطعت لسانك.

: (يشدونه فتنقطع الطرحة والباروكة)

نرجس : دا راجل راجل (تصرخ)

لامار : جعفر يا ابن الإيه!

جعفر : هاتي قبلة يا بنت أنِتِ وهي.

المشهد الرابع
(في الضاحية)

المكان : شجرة.. مكان مهجور في ضاحية خارج المدينة.

: (يقف ثلاثة رجال من فرقة القراقوز)

يوسف : ولم يأتِ الرجل المهم كما قال الولد جعفر.

أيوب : الولد جعفر هذا كذاب وحرامي ونصاب، ولم أكن أريده يعمل معنا، وأي شخص يسأله ماذا تعمل؟ يقول: "أعمل قراقوز"

حمزة : لا أعرف كيف صدقناه؟

يوسف : ها أنت ترى منذ العلقة التي أعطاها لنا قراقوش؛ لا نجد عملاً، ونخشى تقديم أي شيء للناس.

حمزة : (يروح ويجيء ويراقب من بعيد) أتمنى أن يصدق جعفر هذا ولو مرة واحدة في حياته. هناك قادم من بعيد. لا إنهما اثنان.

يوسف : (يقترب منه) إنه الولد جعفر، يبدو أن الرجل المهم معه.

جعفر : (يظهر جعفر وقد ربط رأسه مصاباً ومعه ابن مماتى) السلام عليكم.

الجميع : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

ابن مماتى : كيفكم يا شباب وكيف أحوالكم؟

الجميع : الله يسلمك يا محترم.

جعفر : (يقدمهم له) هذا يوسف مغني، وهذا أيوب يلعب ويغير من صوته، وهذا حمزة أحسن واحد في خيال الظل والقراقوز في المحروسة.

ابن مماتى : أهلاً وسهلاً بالشباب.

جعفر : (يشير إلى ابن مماتى) وهذا الوززز ... (يقاطعه ابن مماتى)

ابن مماتى : ماذا تقول؟!

جعفر : أقول هذا زير. أقصد بائع المواسير والكوارع، وأصبح من الأعيان، ولديه أفكار وحكايات ألفها مخصوص، ويريدنا أن نقدمها في الشوارع والحواري والأسواق.

الجميع : ونحن خدامون.

حمزة : وكم ستدفع لنا بالصلاة على النبي؟

ابن مماتى : (يخرج كيسين من المال) ها هما كيسان.

جعفر : (يأخذ الكيسين) نتفق أولاً على الحكايات.

يوسف : ما اسم الحكاية؟

ابن مماتى : الفاشوش في حكم قراقوش.

الجميع : ماذا.. قراقوش؟ (ينظرون إلى بعضهم)

يوسف : أنت تمزح!

ابن مماتى : أنا لا أمزح، ستقدمون حكايات عن قراقوش في الأراجوز.

أيوب : يا عم نحن خارجون تواً من مشكلة مع قراقوش، واتفقنا أن نقدم حكايات عن الشاطر حسن، عن ست الحسن، عن عنتر، عن أبي زيد الهلالي. لكن قراقوش صعبة! أخرها المشنقة.

جعفر : ماذا حدث؟ ما بالكم تقفزون فوق رأس الراجل هكذا؟ لا تريدون نقوداً؟! أفضل. لا داعي، أبو زيد مثل عنتر، مثل قراقوش.

حمزة : (يقف أمام جعفر) لا يا جعفر، قراقوش معناه أننا سنضع رقابنا تحت سيف قراقوش.

جعفر : سيف قراقوش! هآو هآو، منذ متى وأنتم تخافون من قراقوش؟!

أيوب : إنه رجل مجنون؛ ضربنا ٨٠ جلدة من أجل شاور. فما بالك من أجله ماذا سيفعل؟

ابن مماتى : سأدفع خمسة أكياس من الذهب (يعطيهم ليوسف)

يوسف : يا جماعة انتظروا، قليلاً من العقل.

جعفر : لا.. لا ينتظروا، سآخذ أنا الأكياس الذهبية الخمسة ولا داعي لوجع الدماغ. (يأخذ أكياس النقود من

يوسف) أنتم وش فقر، خسارة فيكم النعمة. هل تأتى لأحد النعمة تحت قدميه ويرفضها؟!

يوسف : يا حمزة نريد أن نعرف الحكاية، ما اسمها؟ قل مرة أخرى؛ لنفكر فيها.

ابن مماتى : الفاشوش في حكم قراقوش.

أيوب : هل أخبرك أحد أننا نريد الموت مبكراً؟! أنا لم أدخل الدنيا بعد.

حمزة : هذه الحكاية خلفها مشاكل كبيرة ورقاب تذبح.

ابن مماتى : ثمانية أكياس من الذهب. (يخرج الأكياس)

جعفر : ياللعار على الرجال. أعطنى النقود. العار على الرجال الورق.

ابن مماتى : (يخرج ثلاثة أكياس أخرى من المال) هذه ثلاثة أكياس أخرى من الذهب.. إذن ١١ كيساً من الذهب.

جعفر : (يمسك أكياس المال) كل هذه أكياس من الذهب. ماذا قلتم؟

ابن مماتى : ماذا قلتم؟ ستأخذونها أم لا؟

جعفر : يا عم.. أنا سأجمع فرقة جديدة وسأعمل أراجوزا، وأقدم بها الحكايات، وآخذ الـ١١ كيساً الذهبية لي، وسأسافر بها إلى أسيوط، وأتجول في الوجه

القبلي وأبحر وأرجع إلى المحروسة. هيا بنا يا عم. (يجذب ابن مماتى)

يوسف : ماذا جرى يا جعفر؟ الكلام أخذ ورد.. كف عن هذا المزاح.

جعفر : أنا لا أمزح ١١ كيساً من الذهب يمكن لكل واحد أن يشتري منها منزلاً ويتزوج وينجب أيضاً.

ايوب : اعطني فرصة لأتحدث مع الرجل الذي سنؤدي له العمل.. هذا ليس بقليل.. سنعمل عن قراقوش.. هل تفهم.. أنت لم تضرب مثلنا عنده.

جعفر : الرجل كتبها ومستعد بها، موافقون على أن تقدموها أم لا..؟

حمزة : موافقون .. لكن...

جعفر : لا يوجد لكن. ماذا قلت يا أيوب موافق أم لا؟

أيوب : موافق.. لكن على شرط أن يكون جعفر معنا.

جعفر : وأنت يا يوسف.

يوسف : موافق بشرط أن تحضر أنت معنا.

ابن مماتى : فلنتوكل على الله وجعفر معكم.

جعفر : رقبتي يا أمي...

(**موسيقى – فيد أوت**)

المشهد الخامس
الســـوق

: (يتغير الديكور مع موسيقى القراقوز. وأصوات الباعة الشعبيين مع فيد إن. إضاءة . يدخل ديكور السوق)

: في المستوى الأول: أمام الجمهور فراغ ساحة السوق.

فى المستوى الثاني: مدخل للحارة في اليمين وبائع حلوى يجلس على الأرض، في اليسار بائع بقفص برتقال.

: في المستوى الثالث: دكان عبود الجزار. دكان رضا الحلاق. ودكان سمحون الحلواني.

: (يدخل تابلوه استعراضي.. القراقوز بما يعنى) (حكايات القراقوز أفضل من أكل اللوز.. كلها معانى وكلها أغانى. وبعد انتهاء التابلوه، يقومون بتقديم ستار كبير لخيال الظل)

عبود : يا فتاح يا عليم على الصبح.. اذهبوا بعيداً عن الدكان.

جعفر : ماذا حدث يا عم عبود...؟

عبود : لا شيء .. نريد أن نأكل عيش.. ابعد عنا القراقوز

وخيال الظل من أمام الدكان.. ابعد يا ولد أنت وهو (يمسك الساطور)

جعفر : ونحن أيضاً نريد أن نأكل عيش.. هل لأنك تأكل اللحم لا تشعر بالفقراء مثلنا! كل يوم تأكل لحما، وأولادك يأكلون لحما، حتى ذراع نرجس مربربة وممتلئة.

عبود : (يمسك سكيناً في يده) هل قلت بنتي نرجس؟

جعفر : اتختلق المشاكل يا رجل أم ماذا؟ هل أنا ذكرت سيرة بنتك نرجس؟ وما أدراني باسمها؟ سمعك ثقيل يا حاج. قال نرجس قال.

عبود : إذن فلتذهب بعيداً عن الدكان، لم الشطار أمثالك وابعد عن هنا.

حمزة : كفاك يا عم عبود.. أى شطار؟ لا داعى للغلط.

أيوب : إنها نصف ساعة فقط ونترك المكان.

عبود : لأ.

يوسف : ربع ساعة يا عم عبود ولا تغضب.

عبود : لا نص ولا ربع ولا خُمس ولا سدس

جعفر : (يهمس لعبود) أقول لك شيئاً يا عم عبود (يأخذه جانباً) هؤلاء الأولاد شطار لو طردتهم سيعملون ضوضاء، ويقولون عم عبود طردنا عندما رأيناه

يذبح قطة وكلباً، وهو يبيع لحم القطط والكلاب ويعمل بهم الكفتة والكباب. ويالها من فضيحة يا عم عبود من شلة شطار وزعران.

عبود : أتهددونني؟

جعفر : يا عم اتركهم يقدمون الحكاية وينصرفون.. موافق هه (يسكت عبود) يا جماعة يا جماعة (للفرقة) عم عبود الجزار يقول قدموا حكاياتكم بدون تطويل وانصرفوا سريعاً، ولا تعيدوا أو تزيدوا في الكلام.

نرجس : (تدخل) يا أبي .. يا أبي .. يا أبي.

عبود : ماذا يا نرجس..؟ ما الذي جاء بك إلى هنا؟

نرجس : يا أبي. أمي تريدك في أمر هام، أخي رضا يفتعل مشكلة (تنظر تجد أمامها جعفر) أنت؟

جعفر : لا ليس أنا (يدير ظهره)

نرجس : لا أنت هو (تمسكه من ظهره كي تنظر في وجهه)

جعفر : لا ليس أنا.. يخلق من الشبه أربعين.. أنا لا أعرفك ولم أرك من قبل. (يمسك عبود السكينة في يده)

عبود : ماذا حدث يا بنت.. هل غازلك هذا الولد؟

نرجس : لا يقدر يا أبي.

جعفر : لا.. يقدر يا أبي.

نرجس : ولا عشرة مثله.

جعفر : ولا عشرة مثله.

نرجس : لكني متأكدة أنه أنتَ. (تحاول أن تلتفت لترى وجهه)

جعفر : لا ليس أنا (يبتعد عنها)

نرجس : اشممني رائحتك (تحاول أن تمسكه فيبعدها) دعني أشمك.

جعفر : عيب.. عيب عليك يا نرجس أن تشمي رجلاً أمام أبيك.. وأنت بنت محترمة.

نرجس : أقطع ذراعي أنك هو.. هذه رائحتك العفنة أعرفها.

جعفر : (يهرب منها) (ينادي) قرب.. قرب.. تعال وشوف.. الحكاية الغريبة.. حكاية القراقوز.. الحكاية العجيبة.

حمزة : عجيبة العجائب.

أيوب : غريبة الغرائب.

يوسف : حكاية الفاشوش في حكم قراقوش.

جعفر : قرب.. قرب. (يتجمع الناس) (تقترب نرجس من أبيها)

نرجس : أنا متأكدة أنه هو.

عبود : يا بنت جننتيني.. ما حال أخيك رضا مع أمك؟

نرجس : يتعارك معها يقول لن آكل.. كل يوم تطهين لنا

لحماً! مللت اللحم.

جعفر : أنا كنت بحب المشمش دلوقت أحب اللحم. قالك قراقوش موجود في البلاد أم هج أخذ له سكة.. قلت لهم قراقوش في عكا.. قراقوش في عكا.. سافر عكا، وترك القاهرة في السر يا ولداه.

المجاميع : ترك القاهرة.. معقولة قراقوش ليس هنا..!

نرجس : عكا!! إذن هو. (يغمز جعفر لنرجس)

جعفر : قلت له اذهب يا قراقوش والقلب معاك وأبعث لنا بسبوسة.. هاتِ بوسة (ينظر لنرجس) موسى نبي.. عيسى نبي.. محمد نبي.. وكل من له نبي يصلي عليه. (الناس تتجمع)

المجموعة : عليه الصلاة والسلام.

جعفر : صقفة لوجه الله. (يصفقون) وصقفة أخرى لجل حبيب الله رسول الله. (يصفقون) وصقفة أخرى للسلطان صلاح الدين الأيوبي الذى كلنا فداه. (يصفقون) بص شوف على المكشوف.

: (تدخل لامار إلى الحلبة وتقف بجوار نرجس) (يوسف وأيوب وحمزة يرتدون أقنعة.. أو يمثلون بعرائس خشبية، أيهما يفضل المخرج، أن يكون قراقوز حي أو القراقوز كما هو معروف)

أيوب : (يمثل قراقوش) أنا قراقوش.

حمزة : وأنا العسكري عبد الموجود.

يوسف : وأنا زوج سمارة (يمثل دور فلاح ويشير على جعفر)

جعفر : وأنا سمارة (يمثل دور امرأة)

عبود : (يضحك) أما هؤلاء الأولاد فهم عفاريت.

يوسف : يا عم الوزير قراقوش.. وأنا ماشي في طريقي وزوجتي بجانبي، ضرب العسكري عبد الموجود زوجتي على بطنها؛ سقطت على الأرض، والولد إللي في بطنها نزل وسقط. ابني مات.. ابني مات.. سقط.

أيوب : هذا الكلام صحيح يا عبد الموجود...؟

عبدالموجود : غصباً عني يا مولاي الوزير قراقوش.. والله ما ختش بالي!

أيوب : خلاص.. خلاص.. العسكرى عبد الموجود.

عبدالموجود : نعم يا سيدي الوزير قراقوش.

أيوب : خذ هذه السيدة عندك.. زوجة الفلاح يوسف اطعمها واسقها وحميها وأملأها (يضحك الناس)

وعندما تصير حاملاً في سبع شهور؛ أعدها لزوجها ومعها طفل في بطنها . وتبقوا خالصين.

يوسف : عليه العوض.. هيا يا أم العيال.. (يضحك الناس ويصفقون)

عثمان : (يدخل بملابس ممزقة ويمسك عصا. يصيح والأطفال خلفه كورال) زواج قراقوش من لامار باطل.

الأطفال : زواج قراقوش من لامار باطل.

(يضحك الناس. تقترب لامار من عثمان وهي في ذهول)

لامار : عثمان.. اسمعنى.. انظر إليَّ .

(وهو ما يزال يردد زواج قراقوش من لامار باطل)

عثمان : من أنتِ ماذا تريدين ...؟!

لامار : أنا لامار.

نرجس : هذه لامار يا عم عثمان.

(يضحك جعفر ويضحك الناس في الحلقة)

جعفر : عن ماذا تضحكون؟ هذه أفعال قراقوش في القاضي عثمان.

نرجس : اخفض صوتك.

جعفر : ولماذا أخفضه؟ (يضحك الناس) على ماذا

تضحكون؟!

المجموعة : زواج قراقوش من لامار باطل.

عثمان : (يقف) نعم.. قولوا زواج قراقوش من لامار باطل.. باطل.. باطل .. (الأطفال يرددون خلفه)

عبود : (يدخل الحلقة. يجذب عثمان ونرجس ولامار) تعالوا بعيداً عن الناسن تعالوا إلى الدكان. (يذهب بهم بعيداً عن الدكان في ركن في يمين المسرح. (يقف جعفر في وسط الحلبة يصيح)

جعفر : قرب.. قرب.. بص وشوف على المكشوف.. القراقوز عملها في قراقوش شوف هذه الحكاية من حكايات قراقوش. (يقف وسط الناس يمثل)

جعفر : أنا الفلاح الغلبان عبد العاطي.

أيوب : وأنا قراقوش (يمثلان بالقراقوز)

جعفر : يا عم قراقوش انقذني.

أيوب : ماذا حدث؟

جعفر : نزل البرد على الحقول وأفسد زراعة الفول، ويريدون أخذ ضرائب مني.

أيوب : كيف ينزل البرد على الحقول؟! خطأ أن تزرعوا فولاً وتتركوا البرد يأكله! كان لا بد أن تزرعوا جنب الفول صوف حتى يدفئ الفول. (يضحك

الناس ويهرجون ويمرحون)

(فى يمين المسرح تجلس لامار بجوار عثمان الذي راح يهذي، نرجس وأبوها يقفان يأملان إقناعه بأنها لامار)

عثمان : (القاضي يحدث شخصية لامار التي في خياله، يتخيلها في مكان أخر. بينما لامار تبكي وتحاول إقناعه أنها لامار)

لامار.. أنت هنا يا لامار؟

لامار : نعم يا عثمان.

عثمان : (ينظر لها بضيق) أنا أكلم زوجتى لامار. لماذا تردين أنتِ؟!

لامار : أنا لامار يا عثمان.

نرجس : لا حول ولا قوة إلا بالله.

عثمان : تأخرتِ عليَّ.. قلقتُ عليكِ، جئتُ لأراكِ وتريني، لا تتأخري مرة أخرى يا لامار.

نرجس : لامار ها هي أمامك يا جناب القاضي.

عثمان : لا.. لامار هناك (يشير للفراغ) تحضر الخضار واللحم.

عبود : اللحم موجود.. فقط تشفى أنت يا عثمان يا راجل يا عترة.

(يدخل ابن مماتى يجري إلى السوق صارخاً)

ابن مماتى : يا ناس افرحوا.. يا ناس ارقصوا.. قراقوش وقع، قراقوش أمسك به الصليبيون، وقع أسيراً. قراقوش وقع في الأسر عند الصليبيين.

(هرج ومرج وزغاريد وتهليل)

لامار : أفق.. أفق يا عثمان.. قراقوش وقع في الأسر.. قراقوش راح والكل ارتاح.

عبود : وزعوا شربات وحلويات على حسابي.

عثمان : قراقوش راح؟ مات؟!

لامار : نعم مات.. وفي ستين داهية.

عثمان : وستتزوجينني.

لامار : نعم سأتزوجك.

عثمان : من أنتِ.

لامار : أنا لامار.

عثمان : لا.. لامار (بصوت مرتفع وهو يهلل) الله أكبر.. الله أكبر.. قراقوش مات.. مات قراقوش.

(استعراض قراقوش مات وارتاح)

: (الكل فرح.. الكل يرقص ويغني في تابلوه بما معناه(راح الغم راح.. راح الغم راح) يظهر في السوق عند انتهاء التابلوه رجال الشرطة وكرم

رئيس الشرطة)

كرم : كله يسلم نفسه.. اقبضوا على المجرمين الأشرار.

(يهرب ابن مماتي، رئيس الشرطة كرم يلمحه. يهرب جعفر والقراقوزات، يهرب الكثير، الناس تخاف)

(يقف كرم رئيس الشرطة يقرأ الإعلان)

كرم : بأمر الناصر صلاح الدين الأيوبي.. سلطان البلاد وناصر السلام؛ يعلن الحداد والحزن على اعتقال قراقوش نائب السلطان، الذي سقط أسيراً في يد الظالمين الكفرة. طلب الكفار فدية له ألف ألف دينار. كل من يقدر يدفع فدية؛ يدفع. (يدخل إلى السوق فجأة القاضي الفاضل)

القاضى الفاضل : لا يا ناس.. لا أحد يدفع فدية قراقوش. لا أحد منكم يدفع فدية عبد من عبيد السلطان. النقود أنتم أولى بها، كلوا بها، اشربوا بها، أنتم غلابة. اتركوا قراقوش، يغور قراقوش، يوجد ألف شخص يساعدون بدلاً منكم.

كرم : أقبضوا على كل من يتجرأ ويهاجم نائب السلطان قراقوش.. ممنوع التجول. ممنوع التجول في القاهرة. الكل ينام بأمر السلطان صلاح الدين الأيوبي.

المشهد السادس
(قصر صلاح الدين الأيوبى)

: (فراغ مسرحي.. ستائر.. كرسى كبير للسلطان صلاح الدين)
(الكرسي خال.. يدخل صلاح الدين الأيوبي من اليمين.. يدخل من اليسار ابن مماتي)

ابن مماتى : (ينحني ابن مماتي أمام صلاح الدين) مولاي السلطان الناصر صلاح الدين.

صلاح الدين : يا ابن مماتي.. تخطيت الحدود وتعديت الأصول!

ابن مماتى : (وهو يرتعد ويسقط منه السروال) يا مولاي صلاح الدين.. أنا خدامك.. وأنت تعرف أني كنت وزيرك وطيلة عمرى بين يديك (يرفع السروال)

صلاح الدين : سمعت أنك تهاجم قراقوش.

ابن مماتى : قراقوش! ما لي أنا به؟ ولِمَ أهاجمه؟

صلاح الدين : يا ابن مماتي.. أنا لا أحب الثقافة؛ لأنها سخافة، ولا أحب المثقفين؛ لأنهم مثل دود الأرض، ياكلون كل شيء.. الإنسان والنبات والحيوان.

ابن مماتى : يا مولاي السلطان الناصر العظيم.. الأدباء والشعراء والعلماء هم ذراعك.

صلاح الدين : العسكر هم ذراعي، هل سأحارب الأعداء الصليبيين، ريتشارد قلب الأسد، وملك أسبانيا وملك ألمانيا بالقصائد والشعر والكتب؟ هه؟!

ابن مماتى : (يرتعد. يسقط منه السروال؛ يرفعه بسرعة) لا يا مولاي.. طبعاً ستحارب بالسيف والسهام والمجانيق.

صلاح الدين : إذن.. لا يصلح لمنصب الوزير إلا العسكر والجنود والفرسان.. صح؟

ابن مماتى : صح يا مولاى (يسقط السروال ويرفعه)

صلاح الدين : إذن محاولاتك السخيفة ومعك الشعراء والسخفاء والكتاب ضد قراقوش؛ لن تفيد أحداً، بل ستضرك. أنا أمنع قراقوش من التعرض لك، وطلبت منه ألا يقتلك. أتسمع؟

ابن مماتى : نعم.. نعم أسمع.

صلاح الدين : شغل الثلاث ورقات أنا لا أحبه، عندى معارك أساسية، أولاً.. وحدة الأمة العربية، ثم وحدة الأمة الإسلامية كلها، ثانياً.. تحرير بيت المقدس والقدس. (صوت الجماهير : عاش صلاح الدين.. عاش صلاح الدين) وأنت تقود ثورة مضادة ضد قراقوش! هذا إنذار لك، إنذار أخير. انتهى الاجتماع.

ابن مماتى : أمر مولاي. (يهرول والسروال بين قدميه)

(يقف صلاح الدين عند كرسى العرش)

الحاجب : القاضي الفاضل بالخارج مع كرم رئيس الشرطة.

صلاح الدين : يدخل في الحال القاضي الفاضل بمفرده.

القاضى الفاضل : (يدخل) السلام على السلطان الناصر صلاح الدين.

صلاح الدين : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.. أريد أن أعرف لماذا تكرهني؟!

القاضى الفاضل : أنا أكرهك؟! ولماذا أكرهك؟

صلاح الدين : ألم تقل إنك تريد أن تشتري الكتب الموجودة بمكتبات قصور الأمراء والخليفة العاضد بالله؟ وأنا وافقت.. صح؟

القاضى الفاضل : هذه ليست كتب الخليفة والأمراء، هذه كتب الحضارة الإسلامية والعربية، وليس من حق أحد أن يحرقها.

صلاح الدين : أنا أحرقها، لأنها تحمل فساد الرأي للناس، وتبلبل أفكارهم، وتضيع وقتهم.

القاضى الفاضل : هل قرأتها؟

صلاح الدين : لم أقرأها... لكن قيل لي.

القاضى الفاضل : قالوا لك الكتب ضد الإسلام، هذا كذب يا مولاي صلاح الدين. قالوا لك القصور والمدارس خطأ؛

هدمتها. قالوا لك الأهرامات الصغيرة والمقابر والآثار خطأ؛ هدمتها. قالوا لك الأدباء والشعراء والعلماء ليس لهم أهمية؛ طردتهم. من الذي قال؟

صلاح الدين : قراقوش هو الذي قال.

القاضى الفاضل : قراقوش يكره المصريين، وهو الذي جعلهم يبنون قلعة الجبل مع العسكر الصليبيين الأسرى، عشرات الآلاف بل مئات الألاف من المصريين يقعون كل يوم في السخرة على يد قراقوش. خشونة وقسوة، أسرى وعبيد ومصريون. يخطفون الناس من الشوارع والبيوت بالإكراه، يذهبون لبناء قلعة الجبل وقناطر الجيزة. هل تعرف ماذا يأكلون يا مولاي؟ كسرة خبز جاف. ظلم فادح وقسوة على آلاف من الفقراء تعمل بالكرباج عند قراقوش، وأنت صامت يا مولاي على قراقوش.

صلاح الدين : ولماذا لا تقل إن قراقوش جندي عظيم حمى الإسلام والمسلمين؟ لماذا لا تقل أن قراقوش مهندس عظيم بنى عين الصيرة، والقلعة، وقناطر الجيزة، وبنى سور عكا؟ وللأسف أسروه! وأنت تحرض المصريين والمسلمين على ألا يدفعوا الفدية حتى يفرج عنه. أليس كذلك؟ لماذا لا تتحدث عن انتصاراته؟!

القاضى الفاضل : ولماذا لا أتكلم عن أفعاله المشينة يا مولاي؟

صلاح الدين : لا تحاول الوقوف أمام قراقوش، لا بد أن أفرج عنه وأحرره.

القاضى الفاضل : تفرج عنه بألف ألف دينار! مبلغ كبير جداً يا مولاي يحتاجه المصريون، يحتاجه جيش صلاح الدين، نحتاجه لنبنى به ألف بيت وألف مستشفى وألف دكان وألف بستان.

صلاح الدين : أنت لا تفهم شيئاً ولن تفهم الكلام. الكلام معك ليس له داع. انتهت المقابلة.

(يلتفت القاضي الفاضل.. يظهر قراقوش من خلف ظهره)

القاضى الفاضل : قراقوش؟!

قراقوش : نعم قراقوش.

القاضى الفاضل : (يظهر سروال القاضي الفاضل وقد غطته المياه؛ فقد بال على نفسه من الخوف)

: (فيد أوت)

المشهد السابع
(ساحة المدينة)

: (ساحة المدينة. الكل يهرول ذهاباً وإياباً. ضوضاء واضطرابات في الساحة. من بعيد ثلاثة منازل دور واحد. عليها قش وخشب. الناس تجري)

شخص١ : قراقوش ظهر. قراقوش ظهر وراجع مع صلاح الدين.

شخص٢ : قراقوش راجع. دفعوا له الفدية وراجع!

: (يظهر رجال الشرطة ويظهر كرم رئيس الشرطة)

: (الناس تجري وتختبئ في كل مكان)

كرم : (يفتح كرم ورق - مرسوم- في يده) يا أهالي مصر المحروسة.. يا أهالى مصر المحروسة، أفرحوا وهللوا، رجع قراقوش.

: (لا أحد يظهر. لا أحد يفرح. ينظر كرم إلى جنوده)

العكسر : هه.. هه.. عاش قراقوش.

كرم : (يخرج مرسوماً آخر) مرسوماً من شرطة القاهرة، على كل صاحب دكان، أو صاحب خان، أو صاحب حانة؛ أن يعلق لافتة مكتوب عليها، أهلاً بقاهر الهاموش. القائد العظيم قراقوش. أهلاً ببطل

الانتصار على الهكسوس قراقوش. أهلاً بصاحب الفتوحات والانتصارات قراقوش. والدكان الذي لن يعلق لافتة أو إشارة؛ ستكون أيامه هباب، ويسجن لمدة أسبوع، ويدفع غرامة مائة دنيار. المرسوم الثانى.. على كل الناس أن تخرج للاحتفال بقائد الانتصار قراقوش، ويخرج تلاميذ الكتاتيب وطلاب الأزهر والعمال والحرفيين والفلاحين. ومن سيخرج للاحتفال؛ سيأخذ نصف دينار.. تسجل الأسماء الآن عند العسكري عمران.

عمران : من سيسجل اسمه؟ (يظهر رجلان فقط)

كرم : اثنان فقط؟ سندفع ديناراً.. ديناراً.. ديناراً (يتجمع بعض الناس)

كرم : وكيلو من اللحم. دينارا وكيلو من اللحم لمن سيشارك في احتفال قراقوش.

: (يظهر الناس في ازدحام، يظهر جعفر مع يوسف وأيوب وحمزة)

جعفر : قراقوز.. قراقوز.. أهلاً قراقوش.

كرم : حسنٌ هذا الكلام يا جعفر.

جعفر : كم ستعطينا؟

كرم : ديناراً لكل واحد.

ايوب : دنيار فقط؟! نحن نكسب في اليوم عشرة دنانير.

حمزة : هيا بنا.. دعك منه.

يوسف : أنا لا يعجبنى هذا الكلام.

كرم : ديناران لكل واحد. هذا آخر كلام، ومن لن يسمع الكلام سأسجنه لمدة شهر.

جعفر : حسنٌ.. حسنٌ.. موافقون يا أعظم رئيس شرطة.

كرم : يا أهالى مصر المحروسة.. أفرحوا وهللوا لعودة قراقوش.

جعفر : القراقوز.. القراقوز.. والشعب يحبك يا قراقوش.

القاضى : (يظهر القاضي الفاضل)

الفاضل يا ناس حرام عليكم.. يا ناس حرام عليكم، لا تذهبوا لاستقباله ولا ترحبوا به، هذه جريمة.. جريمة. ماذا يقول عنكم التاريخ؟ يقول ذهبوا لاستقبال الجلاد والسفاح الذي قتلكم وذبحكم.

: (يقترب كرم من القاضي. بينما الناس تهتف على المستوى الثانى.. واللافتات تعلق.. والجنود يوزعون الدنانير على الناس.. وجعفر يبتعد بعيداً وفرقة القراقوز تعرض عرضها)

(جعفر يذهب إلى أحد أسطح البيوت وفوقه يرقد ويظهر معه من بعيد سهم وقوس)

كرم : لماذا تعمل ضجيجاً يا عم القاضي.

القاضى : أنا أعمل ضجيجاً؟! أنا أقول الحقيقة.

الفاضل

كرم : إية حقيقة؟ الدينار هو الحقيقة.

القاضى : تقصد أن تقول الجوع.

الفاضل

كرم : على كل حال لن أقبض عليك، أو اقترب منك، لكن على شرط، ألا أرى وجهك هنا في الاحتفال.. أتسمع أم...؟

القاضى الفاضل : يا ناس حرام عليكم.. يا ناس حرام عليكم.. إياكم أن تخرجوا وتذهوا لقراقوش.. ماذا سيقول عنكم التاريخ.

كرم : إن عقولهم ليست في التاريخ، إنما عقولهم في الطبيخ.

: (كرم يدور وهو يرى الزينات والاحتفال)

(يظهر عبود ونرجس في الميدان)

عبود : ماذا هناك يا نرجس؟

نرجس : يقولون يا أبي أن قراقوش تحرر من الأسر وعاد إلى عكا.

عبود : أعوذ بالله.

نرجس : ولماذا يتجمع الناس ويزدحمون هكذا؟

كرم : كل واحد يأخذ دينارين وكيلو من اللحم؛ لمن يقابل قراقوش.

عبود : دينارين وكيلو من اللحم!

نرجس : هل صار الحب بالإكراه أم ماذا؟

: (يظهر فل وبوسة وأبو شنب بريمة)

بوسة : (تهتف) قراقوشنا يا قراقوشنا.. جئت أنرت الدنيا وحوشنا.

فل : المزاج الجديد سأسميه قراقوش.

ابو شنب بريمة : يا قراقوش سر ونحن خلفك سوف نسير.

أيوب : أنا القراقوز عامل قراقوش قرب.. قرب.

حمزة : يا صبيان يا بنات.. اسموا أولادكم قراقوش.

يوسف : تعال وشوف على المكشوف.. قراقوش عاد بدون جيوش.

وحيدة : (تدخل مسرعة) يا قراقوز.. يا قراقوز.. أين الولد الذي يُسمى جعفر الشاطر؟

يوسف : أفخضي صوتك.. هذا عيب.. (وحيدة امرأة في العشرينات)

وحيدة : (تصيح) تاركنا جوعى.. تارك أباه.. تاركنا جوعى

ويدور بالشوارع هذا الشاطر.. أين الشاطر...

أيوب : عيب هذا يا ست وحيدة

وحيدة : ما عيب إلا العيب يا أخى.

أبو شنب بريمة : تعالي أعملي معي (يقترب من أذنـها)

وحيدة : أذهب هكذا جاتك نيلة (تضربه ويبتعد عنها) أين الولد جعفر.

أيوب : الله يخرب بيتك.. ما الذي جاء بك في هذه الساعة؟! (ينظر لجعفر من بعيد الذي راح يغطي وجهه بالقش) منك لله يا جعفر أنت وأبوك.

نرجس : ماذا حدث يا ست أنتِ؟

وحيدة : تاركني وتارك الأطفال جوعى.

نرجس : من هو؟

وحيدة : جعفر القراقوز.

نرجس : أنت زوجته؟

وحيدة : لا. زوجة أبيه.

نرجس : معقولة! أنت ما زلت صغيرة جداً...!

عبود : لا حول ولا قوة إلا بالله (يخرج من جيبوه أموالاً)

وحيدة : ماذا أفعل؟ حظي السيء، لدي ثلاثة أطفال، وأنا نمرة ستة وثلاثون في النسوان

نرجس : وجعفر.. كم مرة تزوج؟

وحيدة : هو لاقي يأكل حتى يتزوج! جاته جنازة.

عبود : خذى يا ست (يعطيها نقوداً)

وحيدة : أنا لست شحاذة، أنا بنت ناس غلابة، أبي مبخراتي في الحسين، طول عمري أخرج وألف معه، إلى أن رآني عبد الهادي، رجل في سن أبي.. لكن عنده صحة مثل أبى عشر مرات، قال لأبى أنا تاجر وأريد أن أتزوج بنتك. لما وضع يده في كف أبي؛ تفعصت يد أبي، قال هذا رجل ونعم الرجال. ومنذ أن تزوجته وأنا أشعر أني نمرة وسط النسوان والأطفال، نحن أربعة على ذمته، حتى طليقاته أسكنهم بجانبه.

عبود : وماذا يعمل هذا الرجل؟

وحيدة : حرامي.

عبود : استغفر الله.

حنا : (يدخل حنا) ماذا يا عبود؟ هل حضرت؟

عبود : نعم يا معلم حنا، جئت لأشتري بعض الأشياء لنرجس.

حنا : كيفك يا نرجس.

نرجس : كيفك يا عم حنا.

عبود : هل جئت وحدك؟

حنا : لا.. معي سمحون. يا سمحون .. يا سمحون.

سمحون : نعم يا حنا.

حنا : المعلم عبود هنا.

سمحون : الحاج عبود معقولة.. أهلاً.. أهلاً.

عبود : أهلاً بك يا معلم سمحون.

سمحون : نحن الثلاثة هنا. بالنهار جنب بعضنا البعض، وعندما نأخذ أجازة نظل معاً. ما هذا؟ أليس غريباً؟ (يضحكون)

المنادي : (يدخل المنادي) قراقوش وصل.. قراقوش وصل. (يدخل احتفال واستعراض صغير بما معناه...)

الناس : أهلاً .. أهلاً قراقوش.. قائد الجيوش.

المعارضة : جاء من الأسر مهزوماً وعامل بطل! (يظهر ابن مماتي مع المجاميع وهو يلقي بالدنانير) مرحباً مرحباً بالأمير بهاء الدين قراقوش. (عند انتهاء الاستعراض يقف كرم ويقف بجواره قراقوش على منصته)

كرم : والآن كلمة نائب السلطان ومهندس البناء وباني القاهرة الأمير قراقوش.

قراقوش : أنا لا أصدق عيناي (يبكي) لا أصدق نفسي، شعب مصر العظيمة يستقبلني.

فل : عاش الأمير قراقوش.

الجميع : عاش الأمير قراقوش.

فل : هزمتهم كسرتهم (يلقي قصيدة) وجئت لمصر أنرتها، جئت لمصر عمرتها، جئت لمصر أشعلتها. (يظهر فجأة القاضي عثمان)

عثمان : جئت لمصر خربتها، جئت لمصر دمرتها، جئت لمصر جوعتها! (هرج ومرج)

لامار : (تدخل لامار ترجوه) لا داعي يا عثمان.. لا داعى يا عثمان، ليس وقت هذا الكلام الآن.

قراقوش : (بدهشة) لامار.. لامار أين أنتِ؟

: (يُطلق السهم من قوس جعفر؛ يصيب كتف كرم) (هرج ومرج وجري، قراقوش ينحني تحت المائدة)

كرم : امسكوه.. امسكوه (الناس تجري)

رجل١ : قراقوش اتصاب.

رجل٢ : قتلوا قراقوش.

كرم : (وهو يمسك كتفه) اقبضوا على الخونة.. الخونة.

: (يجري الناس مع موسيقى مضطربة. وصراخ وعويل. يقبض رجال الشرطة على حنا وسمحون وعبود ووحيدة)

نرجس : (تصرخ والشرطة تدفعها) يا أبي.. يا أبي (يأخذها

جعفر بعيداً في المنزل البعيد وسط الهرج والمرج.. والضوضاء)

كرم : قبضنا على المجرمين المشتبه فيهم يا مولاي. أظهر وبان ولك الأمان.

قراقوش : (يظهر من تحت المائدة) أين لامار؟

كرم : يا مولاي.. أنا ذراعي ينزف، وها هم المجرمون.

قراقوش : (ينظر لهم) تريدون قتلي يا مجرمين؟!

وحيدة : إن شاء الله عدوينك يا مولاي.. نحن غلابة (تبكي)

قراقوش : من هذه؟

وحيدة : خدامتك وحيدة.

كرم : (من خياله) هذه السيدة أنشأت تنظيم سري اسمه التوحيد.. وهي قادمة من عند الفاطميين.

قراقوش : وأنتَ.. أنا أعرفك. (يشير إلى سمحون)

سمحون : أنا سمحون يعقوب تاجر أدفع الضرائب.

كرم : هذا تنظيم يهودي يا مولاي ضد السلطان، نحن نراقبه منذ سنين.

سمحون : أنا في تنظيم يا كرم؟!

قراقوش : اخرس.. وهذا .. هذا (يشير إلى حنا)

حنا : أنا حنا البرنس بائع البسبوسة.

كرم : هذا تنظيم أخر تابع للصليبيين.

قراقوش : وهذا.

عبود : المعلم عبود.

كرم : هذا تنظيم جماعات متطرفة، الذين يصطنعون أنهم مع السلطان وهم ضده، ولهم أتباع في الحجاز والشام وأفريقيا.

قراقوش : لماذا كلكم ضدي؟ كم تنظيم ضدي! أنا الذي أسهر لأجلكم.

وحيدة : أنت تريد من تخدمك وترعاك.

قراقوش : أنا أتعذب لأجلكم.

وحيدة : إن شاء الله عدوينك...

قراقوش : أنا لا أنام الليل وأنتم نائمون.

وحيدة : قطعت قلبي يا أخي.. والله أنا أقدر أن أنومك يا أخي وأريحك.. فقط جربني.

قراقوش : لماذا تفعلون هذا معي.. لماذا؟! (يبكي)

وحيدة : (للمجموعة) عيب عليكم أن تفعلوا هذا في الرجل! (يدخل الحاجب يجري خائفاً ومرتعداً)

الحاجب : مولاي قراقوش.. مولاي.

قراقوش : ماذا حدث؟

الحاجب : مولاى السلطان صلاح الدين حالته خطيرة جداً ويطلبك الآن.

قراقوش : خذ كل المتهمين على السجن الآن، أنا ذاهب لمولانا السلطان.

(يخرج قراقوش.. يدفع الناس إلى السجن.. يظل المسرح خالياً)

(تتحرك قطع ديكور المنزل وتتقدم نحو المسرح وتنفتح يميناً ويساراً على المستوى الأول فيظهر البيت الذي به جعفر ونرجس من الداخل)

المشهد الثامن

: (جعفر ينظر من الشباك وهو مغلق. نرجس تجلس وتبكي)

نرجس : انصرفوا؟

جعفر : نعم انصرفوا.

نرجس : أخذوا أبي؟

جعفر : نعم.. ووحيدة زوجة أبي.

نرجس : سيدة غلبانة. فلأذهب لأرى ماذا سأفعل في خيبتي هذه. (تقف وتتجه نحو الباب. يقف جعفر أمامها ليمنعها)

جعفر : إلى أين يا نرجس؟ (يمسك يدها)

نرجس : إياكَ أن تمد يدك عليَّ يا ولد يا شاطر أنت.

جعفر : اللهم طولك يا روح.. تريدين أن تموتي، أخرجي وموتي.

نرجس : سأخرج، وأقول لهم إنك أنت الذي ضربت قراقوش و..

جعفر : اخرسى يا مجنونة.

نرجس : سأكون مجنونة فعلاً لو أرى أبي وهو يشنق ومتهم ظلماً، وأنت حي. أتريدني أن أسكت! ماذا أنت؟ ألا

يوجد فيك قلب؟ ضمير؟!

جعفر : ضمير.. ليس عندي ضمير، وليس عندي قلب، ليس عندي أهل، وليس عندي زوجة ولا أطفال، ليس عندي أي شيء، أنا.. هو أنا. أبي لا يعرفنا من كثرتنا. ربما يعرفني؛ لأنني مشاكس. هات قبلة بقى لماذا تلومينى؟ خرجت للدنيا وجدت سلاطين وعسكر وحكومة، منهم التركى، منهم الهندي، منهم من الشمال، منهم من الجنوب، عبيد وخصيان، أمراء وجوارى، وماذا تكون يا صعلوك وسط الملوك، أنا لا شئ.. ولن أكون أي شيء. لهذا فأنا مستعد لعمل أي شيء؛ حتى أعيش.

نرجس : وتترك أبي ليموت؟!

جعفر : أنا بالفعل ميت يا بنت، ماذا فيها لو مات أبوك مرة؟ هاتى قبلة بقى. أنا أموت في اليوم مائة مرة. الناس تذهب لبيوتها وتنام بين أطفالها ونسائها، وأنا ليس لي بيت ولا زوجة، حتى البنت التي أحببتها خطفوها وباعوها جارية، ولما وجدتْ الذي حررها؛ تزوجها، ولما طلقت..

نرجس : (مقاطعة) ولماذا لم تتزوجها؟ كنت واقف مثل النساء تبكي وتندب حظك؟ أم أنها رفضت الزواج منك؟

جعفر : لا.. قراقوش أحبها وأخذها عنده.

نرجس : إياك أن تكون هي الـ..

جعفر : نعم هي.

نرجس : لامار؟! لم تقل لي مع أنها معي ليل نهار في الدار هي وعثمان!

جعفر : لامار عندك في الدار؟

نرجس : مؤكد أنك جننت، لامار تحب زوجها.

جعفر : لا.. لا تحبه. لامار بنت فيها شهامة وكانت تحبني؛ لكنها كانت تحب أكثر أن تتستت في وسط بيت وأهل وناس؛ فتزوجت القاضي عثمان. أما أنا يا عالم متى سيضربني شخص بخنجر أو مطواة؟ (دق على الباب) (ثلاث دقات كعلامة)

جعفر : ادخلي للداخل.. ادخلى الآن.

نرجس : (بقرف) حاضر. (يفتح الباب.. يدخل ابن مماتي مسرعاً مندفعاً)

ابن مماتى : ما هذا الذي فعلته يا مجنون؟! أرتعشت يدك فأصبت كرم رئيس الشرطة.

جعفر : هو الذي تحرك.. فارق ثانية واحدة فقط.

ابن مماتى : هذه الثانية سيدفع ثمنها ناس كثيرون.

جعفر : لا تعمل هذه الحركات عليَّ، أنا أريد نقوداً.. مائتين

وألف دينار وأهرب إلى الشام.

نرجس : (تظهر نرجس) تهرب على الشام وتتركني وتترك أبي يشنق؟!

ابن مماتى : من هذه يا جعفر؟

جعفر : هذه.. هذه.. لن أتركك يا بنت، هاتى قبلة يا نرجس يا حلوة.

ابن مماتى : نرجس ابنة من؟

نرجس : نرجس.. ابنة عبود الجزار الذي أتهم ظلماً يا قتلة يا فجرة.

ابن مماتى : جعفر.. تصرف.

جعفر : إن لم تصمتي سأكتفك.

نرجس : لا تستطيع أن تفعل معي شيئاً، ولا أي أحد يمكنه أن يفعل شيئاً.

: (يجرون وراء بعضهم، يكتف جعفر نرجس بالحبل)

نرجس : حسنٌ، حسنٌ، لن أتكلم، لا تكتفني، سأبقى حسنة معك.

جعفر : ستكونين حسنة؟

نرجس : نعم.

جعفر : هاتى قبلة. (تبصق عليه)

جعفر : عسل.. عسل يا جميل.

ابن مماتى : أنت تخطف النساء؟

نرجس : حسنًا يا جعفر.. فكني.

جعفر : أين نقودي؟

ابن مماتى : أنا أحضرت لك بعضها والباقى فيما بعد.

جعفر : فيما بعد! متى ؟ في الجنة لما أموت؟

ابن مماتى : ها هم خمسون ألف (يخرج أكياس)

نرجس : فكني يا جعفر.

جعفر : ترجيني قليلاً.

المنادي : يا أهل مصر المحروسة.. يا أهل مصر المحروسة.. جائزة قدرها ألف دينار لمن يبلغ عن ابن مماتي الوزير الخائنن الذي اتفق مع الأشرار لاغتيال قراقوش (يكررها مرتان)

ابن مماتى : ما هذا؟ فضحنا! وبعد.. ماذا سنفعل؟

جعفر : لن تفعل شيئاً أنا الذي سأفعل.

نرجس : لا بد أن أنصرف الآن.

جعفر : سأدخل أنا ونرجس في بيتها لأقابل لامار، وبعد ذلك سأحضر لك أمراً من قراقوش بالإفراج.

ابن مماتى : ستبيعني يا جعفر؟!

جعفر : أنا لن أبيعك، أنا سأشتريك. قل لي أين تخبئ نقودك؟ وأنا سأذهب لبيتك أحضر لك بعضاً منها.

ابن مماتى : جعفر (وهو خائف) عدنى.

جعفر : أعدك وعد الشطار وليس وعد التجار، سأهربك لخارج البلاد، ولن أجعل سيف قراقوش يقترب منك. هيا بنا يا نرجس.

نرجس : هيا بنا يا نرجس؟! وأبي الملقى في السجن؟

جعفر : سأخرج أباك من السجن لا تقلقي. وعم حنا وسمحون تاجر البسبوسة، كلهم سأخرجهم لا تقلقي.

ابن مماتى : وأنا؟

جعفر : انتهى الكلام يا عم هل هي حدوتة؟ قلت لك سأخرجك بطريقتي.
(يخرج من صندوق في الدار، يرتدي عمامة مغربية، ويضع على أكتافه عباية مغربية، تغطي نرجس رأسها بطرحة خضراء مزركشة)

نرجس : هيا.

جعفر : (لابن مماتي) لم تقل لي أين النقود؟

ابن مماتى : يا جعفر النقود في صندوق في السرداب، والسرداب له ممر في الخلف في ظهر البيت.

جعفر : كم هي النقود التي في الصندوق؟

ابن مماتى : الصناديق كثيرة.، فقط افتح أنت الصندوق الصغير.

جعفر : كلها رزق الغلابة. سلام عليكم. (يخرج جعفر ونرجس)

ابن مماتى : ما الذي جرى في البلاد، ومن الذي كشفني؟ ولماذا لم يقولوا اسم جعفر! ربما يأخذون أي شخص؟ ربما.. لكنهم قالوا اسمي أنا! مؤكد أن صلاح الدين لن يصمت أبداً. لو سلمت نفسي سيشنقني قراقوش، ولو لم أسلم نفسي إلى متى سأظل هارباً؟ هذا جزاء من يقترب من السلطان.

: (فيد أوت.. يتحول البيت إلى بيت عبود وتجلس لامار مع عثمان)

لامار : لو مات قراقوش؛ لكانت الأمور كلها حلت يا عثمان.

عثمان : لو.. لو.. لو تفتح عمل الشيطان يا لامار! انسي.. ها هو يقبض على العباد ظالم ومظلوم.

لامار : (ينفتح الباب) من الذي يفتح الباب؟ نرجس؟

نرجس : (تدخل) نعم.. ادخل يا جعفر.

جعفر : (يدخل في زي مغربي) سلام عليكم.

لامار : أنت؟! (تكشر)

عثمان : كيفك يا جعفر؟

جعفر : يا عم القاضي.. اسمعني جيداً، لابد أن تفهمني جيداً فيما سأقوله لك، قراقوش سيشنق نصف مصر.

نرجس : سلم نفسك وقل أنك أنت الذي صوبت عليه السهم.

جعفر : لن يصدق ولو حلفت مائة يمين.

نرجس : لكنك أنت الذي فعلتها.

جعفر : نعم، فعلتها حتى تستريح كل الناس، فعلتها وخابت.

عثمان : وهل تظن أنك لو قتلت قراقوش ستحل الأمور كلها؟

جعفر : نعم، ستحل.. مؤكد أن صلاح الدين سيختار واحداً منا.

عثمان : لا.. صلاح الدين سوف يختار "قراقوش جديد" صلاح الدين دخل مصر عسكرياً، وظل يكبر ويكبر.. وهذا محكوم علينا يا مصريين؛ أن يحكمنا أي شخص ليس مصرياً.

جعفر : أنا أريد أن أحل مشكلة الناس.

نرجس : أبي سيضيع فيها.

جعفر : والحل في يدك يا لامار.

لامار : كيف في يدي أنا؟!

جعفر : قراقوش يبحث عنك في كل مكان، أحد المخبرين قال لي ذلك، ومن سيجدك سيأخذ ألف دينار.

لامار : يا خيبتك يا لامار.

جعفر : ليس وقت صوات ونواح.

نرجس : أذهب معك لقراقوش؟

جعفر : لا أحد يذهب معي غير لامار.

لامار : أنا!

عثمان : ماذا تقول؟!

جعفر : لكي تطلب الإفراج عن كل المساجين، وتقول له الحقيقة. ولماذا أنت خائف منه؟ إنه لا يهش ولا ينش. هي فقط ساعة؛ ونطلب لك إفراج ونطلب للناس كلها.

عثمان : حسنًا يا جعفر.. افعل ما تره.

جعفر : هيا بنا يا لامار.

نرجس : وأنا ؟!

جعفر : أبقي مع عمك عثمان (يهمس في أذنها) إنه لا يهش ولا ينش.

نرجس : يا دمك! (تضربه على كفته) يا قليل الأدب.

جعفر : هيا يا لامار (يخرجان.. يتحول الديكور إلى قصر قراقوش.. ستائر .. كرسى واحد للعرش)

الحارس : (يدخل الحارس وقراقوش جالس على الكرسى) على الباب شخص يدعى جعفر؛ يود مقابلة مولاي نائب السلطان في أمر هام.

قراقوش : دعه يدخل في الحال (يدخل جعفر)

جعفر : السلام والأمان على نائب السلطان قراقوش المعظم.

قراقوش : أنت يا ولد من الزعران؟

جعفر : لا.. من الأعيان.

قراقوش : ماذا تريد يا ولد؟

جعفر : عندي لك هدية عظيمة، هدية أنت تحبها جداً، وتبحث عنها، وأريد أن نتفق أولاً.

قراقوش : وماذا تريد في مقابل الهدية؟

جعفر : عدني أنك ستعطيني ما أطلبه.

قراقوش : وعدتك ما هي الهدية؟

جعفر : لامار (موسيقى)

قراقوش : لامار.. لامار.. أين هي لامار؟

جعفر : بالخارج. هي قادمة لكن على شرط.

قراقوش : هي تأمر وأنا أنفذ.

جعفر : يا لامار (ينادي ويخرج) يا لامار.. يا لامار (تدخل لامار مع جعفر).

لامار : مولاي (ترفع الطرحة من فوق رأسها)

قراقوش : لامار.. أين كنتِ وأنا في الأسر؟ ليل ونهار أفكر فيكِ بحثت عنكِ. مؤكد عدتِ لعثمان. انتظر أنت يا ولد في الخارج قليلاً.(يخرج جعفر) لامار ردي علىَّ.

لامار : نعم يا مولاي عدتُ لعثمان.

قراقوش : وأنا يا لامار؟

لامار : ماذا أنت يا مولاي..؟

قراقوش : أنا المعذب في حبك يا لامار، أنا فعلاً لا استطيع أن أحقق لك شيئاً لامار، لا أقدر أن أنجب أطفالاً؛ لكن أنا إنسان لي قلب. ليس ذنبي أنى كنتُ عبداً.. والعبيد لا بد أن يخصونهم حتى يتأكدون من أمانتهم، ليس ذنبى يا لامار أنى أحبك، وأريدك بجانبى. فعلاً لن أحقق لك كل حاجاتك؛ لكن صدقيني هناك شيء أهم من الجسم، القوة.. المال.. النفوذ. أنا أعطيك كل هذا؛ ستكونين زوجة قراقوش.. (ينظر لها يجدها غاضبة)

لامار : أتريد الناس تسخر مني؟ زوجة قراقوش.. وهم يعرفون قراقوش.

قراقوش : أنا أعرف أن الناس تكرهني، وأنا أيضاً أكرههم، لا يفهمون أننى أستطيع أن أحرقهم، وأحرق القاهرة مثلما حرق شاور القاهرة وناسها. لامار.. حبيبتي لامار.

لامار : أحبك كيف؟ وأنت عملت أكثر من شاور، قتلت، حرقت، سجنت، وأكبر شيء فعلته الظلم، تركت القوي يأكل الضعيف، والغني يأكل الفقير. كيف تريدني أن أحبك! وأنا أرى الدم يملأ يديك ولحم الفقراء في بطنك؟! كيف أحبك فقط قل لي! أنا

أعرف أنه لا يوجد امرأة في المحروسة إلا وتتمنى تراب قدميك، لكن أنا لا..

قراقوش : أنتِ تحبين عثمان المجنون.

لامار : عثمان حررني وأنا جاريةِ، عثمان سترني وتزوجني وجعلني زوجة القاضي، عثمان استأمنني على ماله وبيته.

قراقوش : سأقتله.. أتسمعين؟ سأقتله أمامك. (يعطيها ظهره)

لامار : أريد أن أحرر الناس من ظلمك.

قراقوش : لا أستطيع أن أنساكِ يا لامار. على الرغم من أني أستطيع أن أجعل القاهرة تنام من العصر، ولا أجعل ابن آدم يسعل، أقدر أن أحرقها، أهدمها، أقدر أن أذبح الناس كلهم. إلا أنتِ.. إلا أنتِ.. لأني أحبك يا لامار. ابقي بجواري.. أقبل يدك. (يحاول تقبيل يدها)

لامار : لن أكذب عليك وأقول لك إنني أستطيع البقاء بجوارك، لكن يمكن أبقى بشروطي.

قراقوش : أنا موافق.

لامار : ألن تسمعها أولاً؟

قراقوش : قولي.

لامار : تفرج عن كل الناس الغلابة. عم حنا، وسمحون

وعبود، ووحيدة، وكل الناس المتهمين في قتلك.

قراقوش : يُفرج عنهم في الحال.

لامار : وأتزوج عثمان، وأظل معك هنا طاهية لك وخادمة.

قراقوش : لكن عثمان...

لامار : لا بد أن يبقى معي عثمان.

قراقوش : أنا موافق.

لامار : وأيضاً...

قراقوش : (يقاطعها) أبقي أيضاً؟

لامار : تسمع طلبات الولد جعفر.

قراقوش : هذا الحقير.. الحرامي!

لامار : هذا الحقير الحرامي، هو الرجل الوحيد الذي أحببته في حياتي.

قراقوش : أتحبين هذا؟!

لامار : كنت أحبه وأنا صغيرة.

قراقوش : والآن؟

لامار : الحب في قلبي مات يا قراقوش منذ زمن (تنادي جعفر) يا جعفر.. يا جعفر.

قراقوش : يا جعفر.

جعفر : (يدخل) نعم يا مولاي.

لامار : مولانا السلطان قراقوش أفرج عن كل الناس،

وحيدة وعمك عبود وحنا وسمحون. كلهم إفراج.

جعفر : عاش قراقوش.

قراقوش : أظن هكذا انتهينا؟

جعفر : ما زال لي طلب يا مولاي.

قراقوش : (يعطيه كيساً من المال) خذ.

جعفر : أنا لا أريد نقوداً.

قراقوش : ماذا تريد إذن؟

جعفر : أريد مرسوم إفراج أخر.

قراقوش : عمن؟ عن حرامي مثلك؟

جعفر : أنت وعدتني، ووعد الحر دين عليه، ووعد السلاطين ونواب السلاطين شيء عظيم.

قراقوش : لا تثرثر كثيراً، ماذا تريد؟

جعفر : أريد مرسوم عفو.

قراقوش : لك المرسوم .. باسم من ؟

جعفر : باسم ابن مماتي .

قراقوش : (يمسكه من رقبته) من تقول يا ولد؟ ابن مماتي؟ هل جننت؟! أنا سأقطعه وأقطعك، سأقتله وأقتلك.

لامار : قراقوش.. مولاي قراقوش. الولد سيموت في يدك.

قراقوش : لن أتركه.

لامار : لا.. اتركه من أجلي أنا.

قراقوش : تركته.. لكن على شرط؛ أن يقول أين ابن مماتي؟

جعفر : رقبتي (وقد تركه قراقوش) إن يدك قوية جداً.

قراقوش : لا بد أن يقول أين ابن مماتي الآن.. وإلا سأقطع رقبته. ؛ لأني جئت إليك وأحضرت إليك لامار.

جعفر : أنا مخطئ وأستحق ضرب الشبشب والمركوب.. والأحذية؛ لأني جئت إليك وأحضرت إليك لامار.

قراقوش : يا ولد يا قليل الأدب يا حرامي.

جعفر : أنا لست قليل الأدب.. لكن كنتُ حرامي.

قراقوش : وماذا تعمل الآن؟

جعفر : قراقوز.

قراقوش : فهمت الآن.. تعمل مع الأعداء.

جعفر : يا عم أي أعداء، روق يا عم.

قراقوش : ولد!

لامار : أنتَ وعدته يا مولاي.

قراقوش : يا لامار.. ابن مماتي؛ سبني وأهانني وكتب عني أكثر من كتاب منشور ومقالات!

لامار : عذراً يا مولاي.. عفا الله عما سلف، أعطه العفو.

قراقوش : لا أستطيع العفو عنه.

لامار : لماذا؟

قراقوش : لا يوجد مسئول أو سلطان عفا عن واحد طويل

اللسان.

لامار : العفو عند المقدرة.

جعفر : يا عم روق.. وأجعل البساط أحمدي.

قراقوش : اسمع يا ولد يا جعفر.

جعفر : أأمر.

قراقوش : أنت تخرج ابن مماتي خارج البلاد، لا أرى وجهه في بر مصر، وأنا سأعطيك الأمان، لا أحد يتعرض لكما.

جعفر : هات بوسة.. هات بوسة بقى (يحاول تقبيله)

قراقوش : لكن ليس اليوم.

كعفر : ومتى إذن؟

قراقوش : غداً.

جعفر : غداً..؟

قراقوش : غداً لكي تعطيه رسالة. ولا تقل له إنك قابلتني أو كلمتني. قل له إنك ستهربه وحدك، وأنا سأعطيك الرسالة الأن.. وعندما خرج خارج مصر أعطها له فى يده على الحدود.

جعفر : ما هذا الكرم والجمال! هات بوسة.

قراقوش : (يبعده) ما حكاية البوس هذه؟

جعفر : سأخذ الجواب. وهات عم عبود ووحيدة زوجة أبي

معي.. عاش قراقوش.

: (يتحرك الديكور إلى الحارة والساحة والناس فرحة وفي هرج ومرج)

: (يخرج الزعران والشطار والقراقوزات في احتفالية فرحين بجعفر ولامار وعم عبود ووحيدة. وتقف نرجس تزغرد)

(استعرض الإفراج عن المساجين)

: تقول كلمات الاستعراض فى شكل رستاتيف.

نجح الشطار في هزيمة قراقوش.

ويطلب جعفر يد نرجس من أبيها.

ويوافق الأب.

ونرجس تطلب منه أن يكون له عمل غير القراقوز.

ويوافق جعفر.

: (ويظل الاستعراض فى شكل مرح وفرح وبهجة)

(عند انتهاء الاستعراض فيد أوت إضاءة)

(فى ركن اليسار تظهر بقعة ضوء.. يظهر فيها ابن مماتي وبيده رسالة)

ابن مماتى : والآن أقرأ الرسالة التي أعطاها لي جعفر (يفتح الرسالة) من بهاء الدين قراقوش إلى ابن مماتي.. معقولة؟! فلأكمل...

صوت : شتمتني في كتابك وقلت إن عقل بهاء الدين

قراقوش		قراقوش مخرمة، فاشوش؛ قد أتلفت الأمة، ووضعت كتاب "الفاشوش في حكم قراقوش عسى الله أن يريح منه المسلمين" وأنا أعلم أنك ترحل الآن وتسافر وتغادر الزمان والمكان؛ لكن بموافقتي وعفوي عنك، وأعلم أن كنت تختبئ في دار الأزعر جعفر. الآن أراحنا الله منك. ولتعلم أني ما رحمت عشرات الألوف ومئات الألوف من المصريين والفرنج؛ لكني رحمتك حتى تعرف قدري وتكتب مرة تنصفني.. قراقوش.

ابن مماتي	:	جعفر باعني لقراقوش.. كيف؟ أفهم! جاء الزمان الذي يترك فيه المصري بلاده ويرحل بعيداً عنها ويهرب من حكامها الظالمين الذين هم ليسوا مصريين.. آه يا بلدي..

:	(إظلام على ابن مماتي.. فيد أوت على أفراح السوق والأهالي)

:	(نرجس جانباً في أول مستوى للمسرح مع جعفر)

جعفر	:	والله وأصبحت زوجتي.

نرجس	:	أقول لك لا أريد أن تنظر هكذا أو هكذا للنساء.

جعفر	:	انا أنظر للنساء؟!

نرجس	:	أنا أعرف أن لامار كانت تحبك وكنت تحبها.

جعفر : كان زمان يا قمر، ونحن صغار، لكن لما كبرت وعقلت رأيت القمر أمامى.. أتركه؟ معقولة؟! هاتي بوسة يا بنت.

نرجس : بنت تبتك.. وأنا سيدتك.

جعفر : سيدتي وتاج رأسي.

عبود : (يدخل) هيا يا جعفر خذ زوجتك واذهبا للدار.

جعفر : أي دار يابا؟

عبود : داري.

جعفر : لا داري أنا.

نرجس : أنت لك دار يا أبو دار؟ أنا لن أخرج من دار أبي إلا على دار بني آدمين.

جعفر : ولِمَ هذا الغلط يا بنت الناس؟! لقد كنا مثل السمن على العسل.

نرجس : سمن على عسل سمن على بصل؛ أنا أريد داراً جديدة وأثاثاً جديداً. ليس لأن أبي وافق على زواجنا وكتب كتابي؛ تظن أن المسألة هينة؟ اذهب ورتب أمورك فعلاً.

نرجس : أمورك؟ إيه أمور يا أبو أمور؟ أنا أريد داراً مثل دور البنات.

عبود : حسنٌ .. ما رأيكما أن تقيما في داري.

نرجس : لا ينفع يا أبي.

جعفر : ينفع يا عم عبود.

نرجس : وأنت يا أبي.. أين تذهب؟

عبود : أنا سأخذ أمك ونقيم في دار جدتك عند باب زويلة.

جعفر : أفضل .. التغيير أفضل.. باب زويلة جميلة.

عبود : اتعرفين يا بنتى ماذا أتمنى؟

نرجس : ماذا يا أبي؟

عبود : أن تأتى لنا بطفل صغير أسعد به قبل موتي.

جعفر : هيا يا نرجس بسرعة نصعد إلى دار أبيك، بسرعة.

نرجس : لماذا يا جعفر.. ماذا حدث؟

جعفر : لكي نحضر لأبيك الطفل الذي يحبه.

نرجس : اخرس يا قليل الأدب.

جعفر : يا بنت أنتِ زوجتي.

نرجس : قلت لك اخرس.

جعفر : خرست.

عبود : سأذهب إلى الدكان (يتحرك بعيداً)

جعفر : أتعرفين.. أنا أتمنى عندما ننجب طفلاً.. ماذا أود أن أسميه؟

نرجس : ماذا نسميه يا جعفر؟

جعفر : نسميه قراقوش.

نرجس : ماذا تقول؟ (بدهشة) قراقوش!

جعفر : نعم.. أسميه قراقوش.

نرجس : ألم تجد غير هذا الاسم؟

جعفر : هذا هو الاسم الذي يكبر.. أريد أن أخصيه وأبيعه للمماليك؛ حتى يكبر ويصبح وزيراً، ويصير سلطاناً للبلاد.

نرجس : أجننت يا جعفر؟

جعفر : لا لم أجن بعد.. إنها الحقيقة حولنا تقول ذلك.

المنادي : (يدخل المنادي) يا أهل مصر المحروسة.. البقاء لله.. البقاء لله (يلتف الناس حوله) مات التقي، الورع، حبيب الفقهاء، عف اللسان، وافر الحلم، شديد التواضع، المتقشف، وافر الجود والبذل. مات ولم يترك في داره لا درهماً، ولا ديناراًن ولا مالاً ، ولا عقاراً. وجدوا في خزينته الخاصة ديناراً واحداً وسبعة وأربعين درهما! مات طاهر اليدن وحامى مال المسلمين. مات البطل الإسلامي العظيم صلاح الدين الأيوبي. مات الزعيم والقائد والمعلم صلاح الدين الأيوبي.. وتولى الحكم السلطان العادل..

عبود : لا حول ولا قوة إلا بالله. مات بطل المسلمين إلى رحمة الله يا صلاح الدين...

جعفر : قراقوش هكذا مات مع صلاح الدين.. قراقوش سينتهى يا نرجس، قراقوش انتهى، لا تسمى الولد قراقوش.. اسميه صلاح الدين.

نرجس : حسنا يا جعفر.. نسميه صلاح الدين الأيوبي.

جعفر : هم يبكي وهم يضحك.

المنادي : وتولى حكم البلاد السلطان العادل الذي عين أتابك مصر الجديد، رئيس وزراء ومسئول عن أمن : أبو سعيد بهاء الدين قراقوش الأسدي.

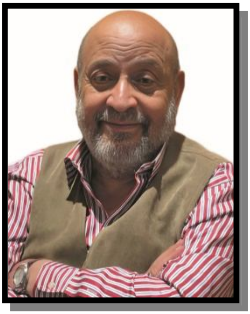
جعفر : قراقوش مرة أخرى!قراقوش ثانى... لا ..لا.

نرجس : لا.. لا.. لماذا تفعل هذا فينا يا صلاح الدين؟!

جعفر : نحن نحبك يا صلاح الدين.. أتترك لنا قراقوش مرة أخرى.. ماذا أقول لك؟ رحمك الله يا زعيم.. أسمي الولد قراقوش.

ســـتار

ببليوجرافيا الكاتب السيد حافظ
وأهم أعماله في المسرح والرواية



- من مواليد محافظة الإسكندرية جمهورية مصر العربية ١٩٤٨
- خريج جامعة الإسكندرية قسم فلسفة واجتماع عام ١٩٧٦/ كلية التربية.
- أخصائى مسرح بالثقافة الجماهيرية بالإسكندرية من ١٩٧٤/١٩٧٦.
- حاصل على الجائزة الأولى في التأليف المسرحى بمصر عام ١٩٧٠.
- مدير تحرير مجلة (الشاشة) (دبى مؤسسة الصدي ٢٠٠٦–٢٠٠٧).
- مدير تحرير مجلة (المغامر) (دبى مؤسسة الصدي ٢٠٠٦–٢٠٠٧).
- مستشار إعلامى دبى مؤسسة الصدى (٢٠٠٦–٢٠٠٧).
- مدير مكتب مجلة أفكار بالقاهرة (الكويت).
- مدير مركز الوطن العربى للنشر والإعلام (رؤيا) لمدة خمسة سنوات.
- حصل على جائزة أحسن مؤلف لعمل مسرحى موجه للأطفال في الكويت عن سرحية سندريلا عام ١٩٨٠.
- حصل على جائزة التميز من اتحاد كتاب مصر ٢٠١٥.
- حصل على جائزة علاء الجابر في المسرح كرائد من رواد مسرح الطفل ٢٠٢٣ بالقاهرة
- كتب عنه أكثر من ٨٠ رسالة جامعية بين مشروع تخرج أو ماجستير أو دكتوراه.

- **دراسات أجنبية خارج الوطن العربى (أمريكا وأوروبا وأسيا) منها :**

- "القضية الفلسطينية والمرأة في مسرح السيد حافظ" الرسالة المقدمة في إيرلندا تناولت موضوع القضية الفلسطينية والمرأة في مسرح السيد حافظ. الباحثة بريدجت ويلز قدمت هذا البحث كجزء من دراستها للماجستير. ركزت الرسالة على كيفية تصوير السيد حافظ للقضية الفلسطينية ودور المرأة في سياق هذه القضية ضمن أعماله المسرحية. (جامعة إيرلندا)
- "الأدب والحرب في مسرح السيد حافظ" كتبها الباحث حميد اسكندر مشهور. رسالة الدكتوراه التى قدمت في الهند - جامعة شانداجار
- بحث ماجستير حول مسرحية "الشاطر حسن" جامعة ميسوري - الولايات المتحدة

عرض له في مسرح الطفل

- مسرحية سندريلا (الكويت - سلطنة عمان - البحرين)	١٩٨٣ إخراج / منصور المنصور.
- مسرحية الشاطر حسن (الكويت - دبى - أبوظبى)	١٩٨٣ إخراج / أحمد عبد الحليم.
- مسرحية سندس (الكويت - البحرين - قطر)	١٩٨٥ إخراج / محمود الألفى.
- مسرحية على بابا (الكويت - دبى)	١٩٨٥ إخراج/ أحمد عبد الحليم.
- مسرحية اولاد جحا (الكويت - البحرين)	١٩٨٦ إخراج / محمود الألفى.
- مسرحية حذاء سندريلا (الكويت - بغداد)	١٩٨٧ إخراج / دخيل الدخيل.
- مسرحية بيبى والعجوز (الكويت - بغداد)	١٩٨٨ إخراج / حسين مسلم.
- مسرحية فرسان بنى هلال (الكويت)	١٩٨٩ إخراج / محمد سالم.
- عنتر بن شداد (الكويت)	١٩٨٩ إخراج/أحمد عبد الحليم
- مسرحية اولاد جحا (مصر)	١٩٨٩ إخراج / المؤلف.
- مسرحية سندس	١٩٨٩ إخراج / خمسة مخرجين.
- مسرحية حكاية لولو وكوكو	١٩٩٠ إخراج / المؤلف.
- مسرحية قميص السعادة – القاهرة	١٩٩٣ إخراج / محمد عبد المعطى
فرقة تحت ١٨ القطاع الاستعراضى بطولة	١٩٩٦ إخراج / حسام عطا
وجدى العربى - عبد الرحمن أبو زهرة عائشة الكيلانى -	علاء عوض
- مسرحية حب الرمان وخيزران (القاهرة)	
- فرقة تحت ١٨ القطاع الاستعراضى.. بطولة :	مى عبد النبى - لمياء الأمير - محمد عبد المعطى. أحمد الحجار
- مسرحية (سفروتة في الغابة)	١٩٩٨ إخراج د. محمد عبد المعطى

من إنتاج المؤلف .. وتم عرض المسرحية في (مهرجان قرطاج المسرحى بتونس) بطولة / وفاء الحكيم. محمد عبد المعطى

<u>كتب العديد من الروايات منها :</u>

١- مسافرون بلاهوية ١٩٩٧
٢- نسكافيه ٢٠١٠

…روع السباعية الروائية)

٣- قهوة سادة ٢٠١١
٤- كابتشينو ٢٠١٢
٥- ليالى دبى (جزأين : شاي أخضر - شاي بالياسمين) ٢٠١٤
٦- كل من عليها خان ٢٠١٥
٧- حتى يطمئن قلبى ٢٠١٦
٨- ما أنا بكاتب (تشظى منها روايتان : وهمت به – شط إسكندرية يا شط الهوى) ٢٠١٧
٩- لو لم أعشقها ٢٠١٩
١٠- نوروموسى الحبل السري للروح ٢٠١٨
١١- نيروزي والبنت وجد ٢٠١٨
١٢- شهر زاد تحب القهوة سادة ٢٠١٨
١٣- كرس على البحر ٢٠١٨
١٤- هل ما زلت تشرب السيجار ٢٠١٨
١٥- الحاكم بأمر الله وشمس ٢٠١٨
١٦- وتحممت بعطرها ٢٠١٩
١٧- حكاية البنت لاماروقراقوش ٢٠١٩
١٨- كل هذا الحب ٢٠١٩
١٩- نسيت أحلامى في باريس ٢٠١٩

(مشروع آخر – ثلاثية يقظة يوم – ما بعدها)

٢٠- أنا وفاطمة ومارك ٢٠١٢ – رواية رقمية تفاعلية ط ٢٠٢٠
٢١- أنا ومارك ويوسف ٢٠١١ - يوميات رجل يضاجع الوطن والتاريخ – ط ٢٠٢١
٢٢- زينب ومارك وأنا ٢٠١٤ - طبعة ٢٠٢٢

(مشروع آخر جديد – تنويعات تقنية على محور واحد)

٢٣- الدولاب – مثلث الحب – تنويعات تقنية على محور واحد – ط ٢٠٢٢

٢٤- الفلاح عبد المطيع في ثلاث رؤى – تنويعات تقنية على محور واحد – ط ٢٠٢٢

٢٥- سنابل وأحلام – تنويعات تقنية على محور واحد – قصة – فيلم – تليفزيون - ط ٢٠٢٢

٢٦- الصرخة الأخيرة – حكاية لامار – تنوعيات تقنية على محور واحد – رواية – حلقات إذاعية – مسرح – رواية تجريبية - الطبعة الأولى ٢٠٢٥.

روع جديد مع الذكاء طلنصاعي)

٢٧- يوميات رجل مهزوم – عما يشبه الشعر – رواية شعرية مكثفة – الطبعة الأولى ٢٠٢٥.

٢٨- يوميات رجل غير مهزوم - عما يشبه الشعر – رواية شعرية مكثفة – الطبعة الأولى ٢٠٢٥.

٢٩- يوميا رجل متشائل - عما يشبه الشعر – رواية شعرية مكثفة – تحت الطبع

ـــــ مشاريع السيد حافظ الفنية للمسرح ـــــ

مشروع المسرح الكوميدي:

١. الغجرية والسنكوح
٢. وسام من الرئيس
٣. رحلات ابن بسبوسة
٤. أنا ما ليش حل
٥. عريس الغفلة
٦. حكاية الفلاح عبد المطيع
٧. حكاية مدينة الزعفران
٨. الحوش
٩. الراجل اللى لعبها صح
١٠. امسكوا سالم حشيشة
١١. ملك الزبالة
١٢. حرب الملوخية
١٣. الرقص على النار
١٤. عوانس ٢٠٠٠
١٥. بيت الحبايب
١٦. خطفونى ولاد الإيه

كتب مشروعاً مسرحياً للقضية الفلسطينية وحرب أكتوبر والاستنزاف والقضية المصرية الوطنية ضد الانجليز، تضمن:

١. رجال في معتقل
٢. يا زمن الكلمة الكدب الكلمة الخوف الحانة الشاحبة العين
٣. واللّه زمان يا مصر
٤. الأقصى في القدس يحترق
٥. أحبك يا مصر
٦. حدث كما حدث ولكن لم يحدث أي حدث.
٧. الحانة الشاحبة العين تنتظر الطفل العجوز الغاضب.
٨. مصطفى كامل.
٩. العزف في الظهيرة.
١٠- عبداللّه النديم.

كتب لمسرح الطفل مشروعا به مسرحيات

١) سندريلا
٢) الشاطر حسن
٣) أبو زيد الهلالى
٤) سندريلا والأمير
٥) سندس
٦) على بابا
٧) أولاد جحا
٨) بيبى والعجوز
٩) سندباد سواح في البلاد
١٠) قطر الندى
١١) عنتر بن شداد
١٢) فستق وبندق
١٣) الفارة يويو والقطة نونو
١٤) أحلام بابا نويل

١٥) حمدان ومشمشة
١٦) سفروته في الغابة
١٧) حب الرمان وخيزران
١٨) الوحش العجيب
١٩) نوسة والعم عزوز
٢٠) الساحر حمدان.

قدم مشروعا للمسرح التجريبى به

١) كبرياء التفاهة في بلاد اللا معنى.
٢) حدث كما حدث ولكن لم يحدث أي حدث.
٣) هم كما هم ولكن ليسوا هم.
٤) علمونا أن نموت وأن نحيا
٥) الطبول الخرساء في الأودية الزرقاء.
٦) حبيبتى أنا مسافر والقطار أنت والرحلة الإنسان.
٧) حبيبتى أميرة السينما
٨) إشاعة.
٩) أجازه بابا
١٠) الميراث

ـــــ سيمفونية المواقف ٥ مسرحيات تجريبية فصل واحد وهى : ـــــ

١١) إيقاع في رحم الكلمات العذرية
١٢) نغم في الحلم الفوضوي.
١٣) تقسيمات مختزنة للشمس
١٤) سقوط حضارة لوط
١٥) الخادمة والعجوز(٦ مسرحيات تجريبية)
١٦) المفتاح
١٧) الخلاص يا زمن الكلمة الكدب الكلمة الخوف.
١٨) سيزيف القرن العشرين.

ـــــــ الأشجار تنحنى أحيانا (مسرحيات تجريبية) وهى : ـــــــ

١٩) رجل ونبى وخوذة.

٢٠) امرأة وزير وقافلة

٢١) طفل وقوقع وقزح.

٢٢) لهو الأطفال في الأشياء شىء

٢٣) تكاثف الغثاثة على الخلق موتا

٢٤) خطوة الفرسان في عصر اللا جدوى.. كلمة

٢٥) محبوبتى محبوبتى قمر الخصوبة في شرنقة حبنا ميلادا

٢٦) تعثر الفارغات في درب الحقيقة.. بحث

٢٧) يا له من عالم مظلم بارد متخبط

٢٨) الحانة الشاحبة العين تنتظر الطفل العجوز الغاضب

٢٩) معزوفة للعدل.. الغائب.

كتب ٣١ مسرحية بين دقيقة ونصف دقيقة في مجموعة "صراع الألوان. وهى :

١. صراع الألوان
٢. وطن
٣. العلم
٤. حياة مواطن
٥. المرحوم
٦. رداء الأبيض والأسود
٧. طوق الوطن
٨. لا والموت شرفا
٩. مسرحية الثورة
١٠. مسرحيات قصيرة جدا
١١. الإعلام
١٢. الخروج من دورة مياه
١٣. أغنيات قشور الليمون في ميدان التحرير

١٤. تمثال في الميدان
١٥. ذات صباح
١٦. ليلة ٢٨ يناير ٢٠١١
١٧. حوار الجياد المجهدة
١٨. الدراما إشارة دخان في مسرح مظلم
١٩. القبض على ثائر التحرير
٢٠. الثورة – نجم الإنترنت
٢١. المحطة
٢٢. عربة الله
٢٣. سوف تصعد
٢٤. حديث عن رجل
٢٥. الإنسان
٢٦. الأقصى في القدس يحترق
٢٧. من الذي يدق الباب.
٢٨. لا أستطيع أن أسكت
٢٩. أرض اللامحدود
٣٠. رجل مهم وغير مهم
٣١. العزف في الظهيرة

مزامير السيد حافظ المسرحية : وهى :

٣٢. لعلنا نفلح
٣٣. لعلنا ننجح
٣٤. - لعلنا نفكر
٣٥. مزامير من لغة الصمت (حياة)
٣٦. مزامير من لغة الصمت (انتظار)
٣٧. نعم .. لا
٣٨. محاضرة
٣٩. أنا
٤٠. ذات مساء

٤١. بنفسج
٤٢. الكلمة للأرض أرض الكلمة
٤٣. روما ونيرون
٤٤. سوف نصعد
٤٥. قصيدة
٤٦. النار وعصفور الجنة من الأم.. إلى الفتى الطائر
٤٧. ذات ليل
٤٨. حياة
٤٩. ذات صباح
٥٠. حكاية مدينة الزعفران
٥١. ظهور واختفاء ابو ذر الغفاري.
٥٢. يوسف بن تاشفين
٥٣. قرية المرفوض في مدبنة الرفض ترفض رفض الأشياء
٥٤. القطار المسافر الى القاهرة على رصيف رقم ٣
٥٥. أغنيات قشور الليمون تلفت أنظار حفل كونسير في متحف الفنون الجميلة في شارع منشأ بمحرم بك بالإسكندرية
٥٦. بوابة الميناء
٥٧. المنشار
٥٨. التحقيق
٥٩. المسافر ٢٠١٨
٦٠. الجراد ٢٠١٨

قدم مشروعًا للمسرح النسوي يحتوي على (٥) مسرحيات للنساء
تحت عنوان إكسبريسو ومعها

١) امرأتان
٢) اكسبريسو
٣) ليلة ليلاء
٤) ليلة الخميس
٥) ليلة اختفاء الحاكم بأمر الله
٦) ليلة اختفاء إخناتون
٧) ليلة اختفاء فرعون موسى

ـــــــ كما كتب السيد حافظ للمسرح ثلاث مسرحيات مونودراما. وهى : ـــــــ

١- اكسبريسو

٢- الخادمة والعجوز

٣- أجازة بابا

أخرج للمسرح

- مسافر ليل (لصلاح عبد الصبور) عام ١٩٧٠ من بطولة ٢٥ طفل وطفلة (أصغرهم ٦ سنوات وأكبرهم ١٢ سنة) عرض غنائى موسيقى (ألحان حمدى رؤوف وكورال ٤٠ طفل وطفلة) المسافر ٦ شخصيات والراكب ٦ شخصيات عشري السترة ١٠ شخصيات.
- (الحبل) إيوجين أونيل ١٩٦٨ بطولة مهدي يوسف (المؤلف الشهير الحالى) – معهد إعداد الفنيين التجاريين.
- الزوبعة لمحمود دياب ، كلية التربية عام ١٩٧٣.
- الخروج من ساحل المتوسط قصيدة محمود درويش عرض بطولة ١٢٠ ممثل وممثلة من الشباب.
- آه يا وطن ١٩٧٣ قصائد سيد حجاب ، مجدي نجيب ، عبد الرحمن الأبنودي - فؤاد حداد.
- حديقة الحيوان لإدوارد أولبى ترجمة على شلش بطولة "أحمد آدم" نجم الكوميديا حاليا ، صفاء غراب قصاص معروف حاليًا.
- كوكو ولولو ، تأليف الكاتب ١٩٨٩ إنتاج خاص.
- أولاد جحا ، تأليف الكاتب ١٩٨٩ إنتاج قصر ثقافة مصطفى كامل.
- نال جائزة أحسن مخرج في مراكز الشباب عام ١٩٧٠ عن مسرحية (جوازسفر) إعداد / عن أشعار محمود درويش وسميح القاسم.

أسس جماعات تجريبية للمسرح

- فرقة الصعاليك – فرقة ألف باء مسرح – جماعة الاجتياز – وكان ضمن هذه المجموعة الفنان / فاروق حسنى وزير الثقافة السابق ، ود / مصطفى عبد المعطى وكيل وزارة الثقافة السابق. والفنان مسعد خميس وعلى الجندي ومحمد نوار وقد أخرج يوسف عبد الحميد مسرحية كبرياء التفاهة في بلاد اللامعنى بطولة مسعد خميس ونازك ناز ومسرحية سيزيف بطولة على الجندي.. ومسرحية إيقاع في رحم الكلمات العذرية بطولة محمد أنور.
- جماعة المسرح الطليعى التى قدمت مسرحية (آه يا وطن) لمدة ١١٠ يوم وكانت أول فرقة للهواة في تاريخ مصر تقدم عرضًا متواصلاً دون أجازة – عام ١٩٧٣.

أعماله في فرق الأقاليم والمحافظات

م	المكان	المسرحية	المخرج	سنة العرض
١	بيت ثقافة أبو تشت	رحلات ابن بسبوسة	فريد عبد الحميد	١٩٩٤
٢	بيت ثقافة السنبلاوين	رحلات ابن بسبوسة	رجائى فتحى	١٩٩٥
٣	قصر شبرا الخيمة	ملك الزبالين	محمد الخولى	١٩٩٦
٤	ميت غمر	ملك الزبالين	على عزب	١٩٩٦
٥	العائم	ملك الزبالين	محمد الخولى	١٩٩٦
٦	القليوبية	ملك الزبالين	ماهر سليم	١٩٩٦
٧	أبو حمص	قراقوش والأراجوز	سيد هنداوي	١٩٩٧
٨	العريش	النديم	عبد الستار الخضري	١٩٩٧
٩	غزل المحلة	خطفونى ولاد الإيه	مجدي مجاهد	١٩٩٧
١٠	بلبيس	رحلات ابن بسبوسة	إبراهيم شكري	١٩٩٧
١١	المسرح العائم	قراقوش والأراجوز	محمد الخولى	١٩٩٧
١٢	بيت منشية ناصر	عاشق القاهرة	أحمد عبد الباقى	١٩٩٨
١٣	قصر	حكم قراقوش	أسامة شفيق	١٩٩٨
١٤	بيت النصر	ملك الزبالين	فوزي شنودة	١٩٩٩
١٥	أبو حمص	ملك الزبالين	عادل شاهين	٢٠٠١
١٦	الجيزة	حرب الملوخية	أشرف فاروق	٢٠٠٢
١٧	أبنوب	حرب الملوخية	عادل بركات	٢٠٠٢
١٨	الغنايم	وسام من الرئيس	محمد المصري	٢٠٠٤
١٩	زفتى	وسام من الرئيس	السيد الحسينى	٢٠٠٤
٢٠	ميت غمر	ملك الزبالة	على سرحان	
٢١	قصر ثقافة فاقوس	ملك الزبالة	السيد عونى	٢٠١٠
٢٢	قصر ثقافة بهتيم	ملك الزبالين	اميرة شوقى	

أشهر ما أخرج السيد حافظ من مسرحيات للمسرح

١) بنطلون روميو تأليف أبو السعود الأبيارى
٢) الغربان - تأليفه
٣) مسافر بلا متاع لجان انوى.
٤) الخواجة لامبو مات لعبد الرحمن الأبنودي
٥) شرق المتوسط لمحمود درويش
٦) الزوبعة لمحمود دياب

٧) الحبل لجان أنوى
٨) حديقة الحيوان لإدوارد أولبى بطولة أحمد آدم
٩) هم كما هم وليسوا هم الصعاليك تأليفه وبطولة مهدي يوسف المؤلف الشهير حالياً مؤلف يوميات ونيس
١٠) ليالى الحصاد لمحمود دياب
١١) أحبك يا مصر تأليفه
١٢) سندس تأليفه
١٣) الخطوبة لتشيكوف
١٤) المخبأ تأليفى
١٥) واللّه زمان يا مصر تأليفه
١٦) أحبك يا مصر تأليفه
١٧) مصطفى كامل تأليفه
١٨) عبد اللّه النديم تأليفه
١٩) مسافر ليل لصلاح عبد الصبور كاملة من بطولة ٣٠ طفلاً ألحان حمدى رؤوف
٢٠) أولاد جحا تأليفه
٢١) ومن أشهر ممن ساعده في الإخراج لسنوات
الأستاذ عادل شاهين
الأستاذ محمد غباشى النجم المعروف الآن
المخرج ناجى أحمد ناجى
المخرج سيد شعبان
المخرج رمضان عبد الحفيظ

<u>أخرج مسرحياته المؤلفة للمسرح من مصر الأساتذة المخرجون</u>

- إبراهيم الدسوقى
- إبراهيم شكري
- أحمد الغندقلى
- أحمد عبد الجليل
- أحمد عبد الحليم
- أحمد عوف
- أسامة شفيق
- أشرف فاروق
- إميل شوقى
- إيمان الصيرفي
- جلاء الراشد
- جمال قاسم
- دكتور حسام عطا
- حسام العزازي
- رجائى فتحى
- رمضان عبد الحفيظ
- سمير حسنى
- سمير زاهر
- السيد الحسينى
- سيد هنداوي
- سيد الدمرداش
- صلاح السايح
- صلاح صالح
- طارق حسن
- عادل بركات
- عادل شاهين
- عباس أحمد
- عبد الرحمن الشافعى
- عبد الستار الخضري
- عبد العزيز عبد الظاهر
- على سرحان
- على عزب
- فاروق زكى
- فريد عبد الحميد
- فوزي شنودة
- ماهر سليم
- مجدى عبيد
- مجدى مجاهد
- محمد الخولى
- محمد المصري
- محمد حسونة المغربى
- محمد سالم
- د. محمد عبد المعطى
- محمد متولى
- محمود الألفى
- مرسى إبراهيم
- مصطفى البندراوي
- مصطفى محمود
- يوسف عبد الحميد

بالإضافة الى مئات المخرجين في المسرح المدرسى بجميع المراحل التعليمية ومراكز الشباب المختلفة بالجمهورية.

أخرج مسرحياته من العراق الأساتذة

د وليم يلدا مسرحية الطبول الخرساء في الأودية الزرقاء

دكتور سعدي يونس مسرحية حكاية الفلاح عبد المطيع

دكتور عباس التاجر العراق بابل مسرحية حكاية مدينة الزعفران

دكتور بشار عليوى مسرحية اختفاء أبى ذر الغفاري

المخرج هشام عبد الرحمن (إعداد وإخراج) مسرحية (سيمفونية العصافير) الفلسطينى المقيم في بغداد معدة عن مسرحية (حبيبتى أنا مسافر والقطار أنت والرحلة الإنسان) للكاتب المصري السيد حافظ مع مجموعة من أشعار معين بسيسو ومحمود درويش عرضت في معهد الفنون الجميلة في بغداد عام ١٩٨٧ على خشبة المسرح الدوار في المعهد وهى ضمن أطروحات الطلبة للتخرج في المعهد وكانت الممثلة زهرة بدن تمثل أحد أدوار المسرحية الرئيسة فيها.

من الكويت أخرج مسرحياته

منصور المنصور (مسرحية سندريلا)

دخيل الدخيل (مسرحية سندريلا والأمير الجزء الثانى)

د. حسين مسلم (مسرحية بيبى والعجوز)

عبد الله عبد الرسول (مسرحية مدينة الزعفران وحكاية الفلاح عبد المطيع)

أشهر من أخرج له في الإمارات

جاسم عبيد الساحر حمدان

أشهر من أخرج له من تونس

الطيب السهلى المخرج التونسى أخرج مسرحية الفلاح عبد المطيع مرة في فرقة جزائرية باسم " الليلة نحكى " ونالت جائزة افضل عرض ٢٠١٠ ومرة في تونس لفرقة تونسية تونس باسم "ثورة الصبار"

كتب ودراسات مسرحية قدمت عن أعماله في مسرح الطفل :

- كتاب بحث رسالة الحكاية الشعبية في مسرح الطفل في الكويت - دراسة في مسرح السيد حافظ للباحثة آمال الغريب -المعهد العالى للفنون المسرحية ١٩٨٤- الناشر مركز الوطن العربى ١٩٨٧.
- كتاب بحث رسالة في الشخصية التراثية وظيفتها الفنية والفكرية في مسرح السيد حافظ - سميرة أوبلهى - مكناس المغرب ١٩٨٦-الناشر مركز الوطن العربى ١٩٨٨.
- الشخصية التراثية الشعبية في مسرح الطفل عن السيد حافظ - نموذجًا على بابا - نزيهة بن طالب (الناشر - العربى للتوزيع).
- مسرح الطفل عن السيد حافظ – نموذجًا " مسرحية الشاطر حسن " فاطمه حاجى - المغرب ١٩٩١.
- مسرح الطفل عند السيد حافظ نموذجًا مسرحية " قميص السعادة " نعيمة عبد اللاوي ١٩٩٦-١٩٩٧. (المغرب).
- مسرح الطفل عند السيد حافظ نموذجا مسرحية "سندريلا والأمير .وقميص السعادة" د. عبد العزيز خلوفة - جامعة محمد بن الله - فاس – المغرب ٢٠٠٢-٢٠٠٣.
- دور مسرح الطفل في ترسيخ بعض القيم الأخلاقية عن طريق الحكاية الشعبية نموذج " سندريلا " للسيد حافظ. سناء جلال أحمد على – جامعة المنوفية – قسم الإعلام التربوي –جمهورية مصر العربية ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣.
- مسرح الطفل - دكتور على عاشور الجعفر –الكويت
- مسرح الطفل في الكويت –د. نرمين الحوطى –الكويت
- خصوصية التأليف لمسرح الطفل في الوطن العربى (نموذجاً السيد حافظ) –م.م. حيدر على الأسدى –العراق.
- مفهوم الثورة في مسرح الطفل في أعمال السيد حافظ – د. رشا دياب كلية التربية النوعية –جامعة طنطا –جمهورية مصر العربية.

كتب ودراسات مسرحية عن أعماله في المسرح التجريبى والمسرح والتراث العربى :

- بحث في اللغة الشعرية في مسرح السيد حافظ - موسكو - تحت إشراف المستشرق فلاديمير شاجال.
- كتاب إشكالية التأهيل في المسرح العربى - صليحة حسنى - بحث - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - المغرب. الناشر مركز الوطن العربى ١٩٨٧.
- كتاب الفلاح في المسرح العربى - نموذجًا حكاية الفلاح عبد المطيع - للسيد حافظ – خديجة الفلاح - جامعة محمد الأول - المغرب الناشر مركز الوطن العربى ١٩٨٨.
- كتاب البطل الثوري في مسرح السيد حافظ - نموذجا ظهور واختفاء أبى ذر الغفاري - منصورية مباركى - وجدة - المغرب. الناشر مركز الوطن العربى ١٩٨٩.
- كتاب القضية الفلسطينية في مسرح السيد حافظ - نموذجًا ٦ رجال في معتقل شنايف الحبيب - المغرب. الناشر مركز الوطن العربى ١٩٩٠.
- مفهوم الإرشادات المسرحية ومسألة التجريب في المسرح العربى.
- السيد حافظ نموذجًا من خلال مسرحية " طفل وقوقع وقزح " حقون حميد - المغرب ١٩٩٢.
- التجريب في مسرح السيد حافظ الحانة الشاحبة العين تنتظر الطفل العجوز الغاضب - نموذجا - عائشة عابد - جامعة محمد الأول - ١٩٩١.
- التجريب والعبث في المسرح العربى من خلال مسرحية سيزيف للالسيد حافظ – حليمة حقوقى ١٩٩٢.
- التجريب في مسرح السيد حافظ نموذجًا ١ " حبيبتى أنا مسافر و القطار أنت والرحلة الإنسان " ١٩٩٢-١٩٩٣ بنيونس الهواري. (المغرب)
- المسرح السياسى عند السيد حافظ من خلال مسرحية " ملك الزبالة أو الزبالين " رزوق أحمد – جامعة محمد الأول - وجدة - المغرب - ١٩٩٦.
- إشكالية التجريب في مسرح السيد حافظ أطروحة لنيل دبلوم الدراسات العليا بنيونس الهواري ١٩٩٩-٢٠٠٠ (المغرب).
- المسرح التجريبى عند السيد حافظ نموذجًا مسرحية " سيزيف " سميرة لمسايح ٢٠٠٢-٢٠٠٣ (المغرب).
- التراث والمسرح مسرحية " حلاوة زمان " السيد حافظ - نموذجًا - فاطمة زكاوي ٢٠٠٢-٢٠٠٣.
- السيد حافظ والمسرح التجريبى د. ليلى بن عائشة – الجزائر.

المسلسلات التليفزيونية:

مبارك	(١٥ حلقة) إخراج / كاظم القلاف.
العطاء	سهرة (الكويت) إخراج / عبد العزيز منصور.
الحب الكبير	سهرة (الكويت) إخراج / حسين الصالح.
الغريب	سهرة ٣ أجزاء (الكويت) إخراج / يوسف حمودة.
صغيرات على الحب	مسلسل ١٥ حلقة (تليفزيون الكويت) بطولة: حياة الفهد - إخراج / محمد عيسى.
صدى الأيام	سهرة (تليفزيون الكويت) إخراج / كنعان حمد - بطولة: منصور المنصور - هدى حمادة.
الدرب الجديد	سهرة تليفزيونية بطولة: جلال الشرقاوي. ياسر جلال. طارق دسوقى. إخراج / سيد عبيدو. (التليفزيون المصري).
منين أجيب ناس	مسلسل ١٥ حلقة بطولة معالى زايد. محمد وفيق. حنان شوقى. محمود الجندي. إخراج كريم ضياء الدين (التليفزيون المصري).
أنا وبناتى في الزحام	مسلسل ١٥ حلقة بطولة زيزي البدراوي. أحمد خليل. سيد عبد الكريم. أحمد سلامة إخراج محمد عبد السلام (التليفزيون المصري).
علاء الدين والأميرة ياسمين	مسلسل أطفال _ يقع المسلسل في ٢٦ حلقة بطولة / نوال أبو الفتوح. أحمد عبد الوارث. ضياء المرغنى. هشام عبد الله. ناصر سيف. هالة فاخر إخراج / أيمن عبيس (إنتاج التليفزيون المصري).
عصفور تحت المطر	مسلسل في ٣١ حلقة بطولة / أحمد عبد العزيز. تيسير فهمى. أحمد ماهر. وجدي العربى. سيد عبد الكريم. عزة بهاء. تهانى راشد. غسان مطر. هشام عبد الله. ضياء المرغنى. مخلص البحيري ومن إخراج / محمود بكري (إنتاج التليفزيون المصري).
همام وبنت السلطان	مسلسل أطفال _ يقع المسلسل في ٢٨ حلقة بطولة / هالة فاخر. علا رامى. وجدي العربى. غسان مطر. عايدة عبد العزيز. حنان سليمان .. ومن إخراج / أحمد مجدي (ومن إنتاج التليفزيون المصري).
وبحلم بيك يا وطن	مسلسل أطفال - يقع المسلسل في ٣٠ حلقة - بطوله احمد سلامه ونوال أبو الفتوح ومحمد وفيق وممدوح وافي وإخراج محمد دنيا.

المسلسلات الإذاعية :

مسلسل البيت الكبير	٩٠ حلقة / إذاعة قطر مدة الحلقة ١٥ق
مسلسل غرباء في الحياة	البحرين / إذاعة ٣٠ حلقة.
٥ مسلسلات إذاعة – الكويت	المسلسل ٣٠ حلقة .
٩٠ حلقة برنامج كتاب خليجى	إذاعة قطر .
٣٠ حلقة إغاثة الأمة	إعداد وسيناريو - انتاج إذاعة قطر
٣٠ حلقة مسلسل جنون وفنون التاريخ	إذاعة أبو ظبى - إخراج / حبيب غلوم
٣٠ حلقة مسلسل علاء الدين والأميرة ياسمين	إذاعة الكويت إخراج / أحمد مساعد بطولة محمود يس
٣٠ حلقة مسلسل سندباد	إذاعة الكويت. إخراج أحمد مساعد
٣٠ همام وبنت السلطان	إذاعة البحرين - إخراج/ إبراهيم عيسى

قائمة كتب الدراسات النقدية والرسائل الجامعية
عن أعمال الكاتب السيد حافظ

١- دينامية الفعل الدرامى في مسرح السيد حافظ – د. مصطفى رمضانى (مغربى) و٦ باحثين معه.
٢- التشظى وتداخل الأنواع الأدبية (تجربة السيد حافظ في المسرواية) "جزءان" إعداد : د. نجاة صادق الجشعمى.
٣- المسرح التجريبى بين المراوغة اضطراب المعرفة د. نجاة صادق الجشعمى – العراق.
٤- السيد حافظ في عيون الباحثين والنقاد الجزائريين د. نجاة صادق الجشعمى – العراق.
٥- المشاكس د. نجاة صادق الجشعمى – العراق
٦- التأثيث المكانى في رواية ليالى دبى شاى بالياسمين – د. محمد زعترى - الجزائر.
٧- أعمال السيد حافظ المسرحية من الفهم والتفسير إلى صناعة الوعى إعداد الدكتور: مفتاح خلوف – الجزائر – ط ٢٠٢٠م.
٨- الحب الملكى – سحر التنهيد والعشق – مقتطفات من سباعية السيد حافظ الروائية – د.نجاة صادق الجشعمى – العراق ٢٠٢٠م
٩- السيد حافظ والذاكرة المسرحية في حوارات – إعداد الكاتب : أحمد حافظ - مصر - ط٢٠٢٠م
١٠- امبراطورية المسرح – دراسات نقدية في مسرح السيد حافظ - د.ناديه سعدونى ، الجزائر ط ٢٠٢٠م.
١١- الهجنة الأجانسية في أعمال السيد حافظ الإبداعية - د. نادية سعدونى – الجزائر – ط ٢٠٢٠م.
١٢- معارك المسرح " دراسات في النقد المسرحى لنصوص السيد حافظ " د. إبراهيم بوخالفة – الجزائر – ط٢٠٢٠م
١٣- ثنائية المخاتلة بين النص الغائب والصورة الذهنية في مسرح السيد حافظ - إعداد : "أسمهان سعودى و سناء نويوية " اشراف د . محمد زعيتري – الجزائر - ط ٢٠٢٠م.
١٤- التجريب في المسرح العربى مسرح السيد حافظ نموذجًا – إعداد : عبد الحق قرطيط – إشراف الدكتور / يونس لوليدي – المغرب – ط ٢٠٢٠ م
١٥- صور المرأة وأبعاد توظيفها في مسرحيات السيد حافظ – إعداد عفاف صغيرة ونادية زوالى – إشراف الدكتور / مفتاح خلوف – الجزائر – ط ٢٠٢٠م.
١٦- التشاكل الأجناسى في سباعية السيد حافظ – د. أمل درويش – القاهرة - مصر.
١٧- إستراتيجية النص وتفاعل المتلقى في الخطاب الأدبى رواية "كابتشينو " للسيد حافظ – د. ربيعة حنيش – الجزائر.
١٨- عمالقة على المقهى مع السيد حافظ – الكاتب والناقد أحمد حافظ – ط ٢٠٢١.
١٩- التجريب وجماليات البناء السردي في الرواية العربية - ضمن مشروع ورشة النقد للسرد الروائى

"السباعية" الجزء السادس - نموذجًا رواية "ما أنا بكاتب" اعداد : د. نجاة صادق الجشعمى - ط ٢٠٢١

٢٠- معمارية البناء وجماليات السرد ما بين الزمانكية وعولمة النقد – ضمن مشروع ورشة النقد للسرد الروائى "السباعية" الجزء السادس - نموذجًا رواية "ما أنا بكاتب" - ط ٢٠٢١.
٢١- العنونة ما بين الصورة والزمانكية في الرواية – ضمن مشروع ورشة النقد للسرد الروائى "السباعية" الجزء السادس - نموذجًا رواية "ما أنا بكاتب" - ط ٢٠٢١.
٢٢- شرنعة العشق ما بين البراجماتية والدوجماطيقية - ضمن مشروع ورشة النقد للسرد الروائى "السباعية" الجزء السادس - نموذجًا رواية "ما أنا بكاتب". - ط ٢٠٢١.
٢٣- السرد الروائى ما بين خلخلة التأريخ وتجاوز الذاكرة - ضمن مشروع النقد للسرد الروائى "السباعية" الجزء الرابع - نموذجًا رواية "كل من عليها خان". - ط ٢٠٢١.
٢٤- التمرد على نمطية السرد في بنية الرواية - ضمن مشروع النقد للسرد الروائى "السباعية" الجزء الثانى - نموذجًا رواية "كابتشينو". - ط ٢٠٢١.
٢٥- تجليات التناص في رواية "أنا وفاطمة ومارك" – د. حنان حطاب – ط ٢٠٢١.
٢٦- فنيات الكتابة المسرحية " مسرحية امرأتان نموذجًا" للكاتب السيد حافظ– دراسة بقلم بسمة حرود ـ نورة حبيب ـ تقديم الدكتور محمد زعيتري – الجزائر - طبعة ٢٠٢١م.
٢٧- المرأة والبعد الاجتماعى والعقائدي في رواية "كل من عليها خان" للسيد حافظ - إعداد: حمريط زهيرة - خلفة إيمان – ط ٢٠٢٢
٢٨- تشكيل النّص غير الملفوظ فـى مسرحيات السّيد حافظ رسالة ماجستير بقلم زهـرة هبوب وصفية زلوف - إشراف البروفسور مفتاح خلوف – جامعة محمد بوضياف – الجزائر – ط ٢٠٢٢
٢٩- السيد حافظ في عيون نقاد وأدباء فلسطين - مجموعة نقاد من فلسطين
(د. إبراهيم طه أ. عبد الله الشيتى أ. حسن عبد الهادي د. نادر القنة
أ. وليد أبو بكر أ. عبد القادر كراجة أ. ناصر العودة أ. سليمان الشيخ
أ. ماجد الشيخ)
٣٠- البناء الفنى للحكاية الشعبية على بابا والأربعين حرامى بين الموروث الشعبى أ. يوسف عبد الرحمن إسماعيل
٣١- إعادة كتابة التاريخ في مسرح الطفل العربى. مسرحية. أبوزيد الهلالى. للسيد حافظ إعداد : سعاد مدانى - نصيرة بن زموري
٣٢- السيرة الشعبية في مسرح الطفل - السيد حافظ نموذجا - د. طارق الحصري.
٣٣- البعد السياسى التحريضى في نصوص السيد حافظ المسرحية دراسة بقلم ايمان خـالد مـهـدي عمران – ط ٢٠٢٢
٣٤- البناء الفنى في الرواية المسرحة نموذجًا رواية كل من عليها خان للسيد حافظ دراسة بقلم أ. فضيلة طايبى و أ. آسيا خيتوس – ط ٢٠٢٢
٣٥- بناء البطل التراجيدي في مسرح السيد حافظ – إشراف: د. عزوز ختيم إعداد الطالبين بن

حافظ عائشة ـ بوزيدي زكريا - جامعة محمد بوضياف – الجزائر ط ٢٠٢١.

٣٦- بلاغة التعبير عن فكر الكاتب السيد حافظ السياسى في إبداعه الروائى – رسالة ماجستير – مى جمال الشربينى – مصر - ط ٢٠٢٠م

٣٧- هندسة الشخصيات في رواية ليالى دبى للكاتب السيد حافظ - فاطمة صغيري

٣٨- الحاكم بأمر الله ما بين بن باكثير والسيد حافظ وسالم بن حميش - ا.د. محمد عبازه

٣٩- البنية السردية في الرواية العربية الحديثة رواية "ما أنا بكاتب" للسيد حافظ رسالة ماستر - الجزائر بقلم بلقليل دلال - بن صوشة كنزة – ط ٢٠٢٢

٤٠- السيد حافظ في عيون كتاب وفنانين ونقاد العراق - إعداد. نجاة صادق الجشعمى

د. خلود جبار عبيد | د. نزار شبيب العبادي | م.م. حيدر على الأسدي

أ. سحر الجابري | د. ستار عايد العتابى | م.م. زينب نوري لعيوس

أ. صالح البدري | د. خلود محمود عبود | أ. أحمد سعدون البزونى

أ. يوسف عبود جويعد

٤١- "السيد حافظ في عيون كتاب ونقاد وأدباء الكويت" إعداد : د. نجاة صادق الجشعمى

د. محمد المنصور | د. نرمين يوسف الحوطى | د. محمد مبارك الصوري | أ. آمال الغريب

أ. عبد الله عبد الرسول | أ. عماد منصور المنصور | أ. صالح الغريب | أ. عبد المحسن الشمري

أ. أحمد الرقعى | أ. فيصل السعد | أ. خليل الوادي

٤٢- حضور الفاطميين في مسرحيات السيد حافظ - د. نزار شبيب كريم العبادي

٤٣- السرد الروائى ما بين خلخلة التأريخ وتجاوز الذاكرة - د. نجاة صادق الجشعمى

أ.د. هاجر مباركى | د. وفاء كمالو | د. سعيدة خلف

د. داليا بدوي | أ. شيماء أحمد رُميح | أ. رضوى جابر شعباناً.

حسن الجوخ | أ. بسنت حسين | أ. مى جمال الشربينى

أ. طايبى فضيلة | أ. خيتوس آسيا

٤٤- الشخصيات ما بين المرئى واللامرئى والثابت والمتغير في السرد الروائى - السيد حافظ نموذجا إعداد : د. نجاة صادق الجشعمى

أ.د. فايزة محمد سعد | أ.د. سيد على إسماعيل | د. عايدي على جمعة

د. كاميليا عبد الفتاح | أ. إيمان الزيات | أ. رضوى جابر

أ. أحمد حنفى | أمل سالم

٤٥- التجريب وانحرافات السرد في الرواية - السيد حافظ نموذجا إعداد : د. نجاة صادق الجشعمى

د. نجاة صادق الجشعمى | أ.د. هاجر مباركى | د. أفكار أحمد زكى

د. سعيدة خلف | د. وفاء كمالو | د. كامليا عبد الفتاح

د. محمد مخيمر | د. داليا بدوي | د. رائدة العامري

أ. إيمان الزيات	أ. احمد محمد الشريف	أ. سحر الجابري
أ. بسنت حسين	أ. فاديا سلوم	أ. رضوى جابر

٤٦- التجريب ومكونات البنى السردية في الرواية - السيد حافظ نموذجا - إعداد : نجاة الجشعمى.
٤٧- العنونه ما بين الصورة و الزمانكية في الرواية - السيد حافظ نموذجا - د. نجاة صادق الجشعمى
٤٨- تجليات التناص في الخطاب السردي. رواية أنا وفاطمة مارك للسيد حافظ نموذجا - إعداد : (سميحة بايفوح -والزهرة خنوش - وراضية كبور)
٤٩- الحب ما بين الاصطلاح والرمزية - روايات السيد حافظ نموذجا - د. نجاة صادق الجشعمى
٥٠- تجليات الحداثة في الخطاب السردى المعاصر كل من عليها خان للكاتب السيد حافظ نموذجا – د. فايزة محمد سعد
٥١- صورة المجتمع في نصوص مسرح الطفل المستلهمة من التراث عند السيد حافظ - د. هدى سعيد عبد العليم
٥٢- المسرح والتراث والتاريخ تجربة السيد حافظ - سميرة أوبلهى
٥٣- صورة المرأة وأبعاد توظيفها في مسرحيات السيد حافظ "نماذج مختارة" – إعداد : عفاف صغيري ونادية زوالى
٥٤- ثورة الإبداع في المسرح والسرد نموذجًا الكاتب السيد حافظ - د. وفاء كمالو
٥٥- جمالية الكتابة المسرحية و السردية عند السيد حافظ - د. كمال الدين عيد
٥٦- مملكة السرد - دراسات نقدية في سرديات السيد حافظ - د. إبراهيم بوخالفة
٥٧- الهجنة الأجناسية في أعمال السيّد حافظ الإبداعية - د. نادية سعدونى
٥٨- مفهوم الثورة في مسرح الطفل في أعمال السيد حافظ - رشا دياب
٥٩- خصوصية التأليف في مسرح الطفل في الوطن العربى -السيد حافظ نموذجا إعداد : د. حيدر على الأسدي
٦٠- التأثيث المكانى في رواية ليالى دبى شاي بالياسمين للكاتب السيد حافظ - إعداد : سليم ميرة - خالد ربعى
٦١- تمثيل العالم حفريات في الأدب الروائى للكاتب السيد حافظ - د. إبراهيم أبو خالفة – الجزائر
٦٢- السيد حافظ في عيون نقاد المغرب - الجزء الأول - إعداد : نجاة صادق الجشعمى

أ.د. مصطفى رمضانى	أ.د عبد الرحمن بن زيدان	د. شنايف الحبيب
أ. محمد السعيدى	أ. نصيرة يعقوبى	أ. عبد السلام بوسنينه
أ.د. عبد الكريم برشيد	أ. الهوارى بن يونس	أ. نعيمة عبد لاوى
أ. محمد المحراوى	أ. ثوريا ماجدولين	أ. سعاد درير

٦٣- السيد حافظ في عيون نقاد المغرب - الجزء الثانى - إعداد د. نجاة صادق الجشعمى

أ. صفاء درويش	أ.د. عبد العزيز خلوفه	أ. نزيهة بن طالب

د. نادية فضمى أ. فاطمة حاجى أ. سميرة أوبلهى
أ. سميرة لمسايح أ. يمينة الراوي أ. سعاد درير
أ. زروق أحمد أ. أحمد مرزاق أ. حميد حقون
أ. فاطمة زكاوى أ. حليمة حقونى)

٦٤- انحطاط العالم والسرد العربى السيد حافظ في عيون الباحثين والنقاد الجزائريين

أ. د. ابراهيم بوخالفة أ. ليلى بن عائشة أ. هاجر مباركى
د. نادية سعدونى أ. وافية بولفعة أ. عائشة حمادو
أ. نصيرة علاك أ. كلثوم باجى أ. هيدتش اسماعيل
أ. عبد النّاصر بن بناجى أ. عبد القادر سرير عبد اللّه

٦٥- تمظهر التجديد في بنية السرد في القصة القصيرة- السيد حافظ نموذجا – إعداد د. نجاة صادق الجشعمى

أ.د. إبراهيم بوخالفة الجزائر د. وفاء كمالو مصر أ.د. السعيد الورقى مصر
د. ليلى بن عائشة الجزائر د. هاجر مباركى الجزائر د. إبراهيم طه فلسطين
د. منيرة مصباح أمريكا د. عبد العزيز خلوفة الجزائر د. نادية سعدونى الجزائر
د. أمال شوقى مصر د. عائشة حمادو الجزائر د. ماهر عبد المحسن مصر
د. وافيه بو لفعه الجزائر د. نصيرة علاك الجزائر أ. فيصل صوفى اليمن
أ. إيمان الزيات مصر أ. شوقى بدر يوسف مصر أ. يوسف عبد المسيح العراق
أ. سعيد فرحات لبنان أ. شاهيناز الفقى مصر أ. عبد اللّه هاشم مصر
أ. شفيق العمروسى مصر أ. سمير عبدالفتاح مصر أ. محمود قاسم مصر
أ. السيد الهبيان مصر أ. أحمد محمد الشريف مصر) أ. عبد اللّه الشيتى فلسطين

٦٦- التنوع الدلالى في مسرح الطفل - السيد حافظ نموذجا - إعداد د. نجاة صادق الجشعمى

أ.د جميلة مصطفى الزقاي الجزائر د. ليلى بن عائشة –الجزائر د. وفاء كمالو –مصر
د. منيرة مصباح - أمريكا د. لبلبة فتحى –مصر أ. ايمان حسين –مصر
د. خلود محمود عبود –العراق د. نرمين يوسف الحوطى أ. نزيهة بن طالب – المغربأ.
فاطمة حاجى –المغرب أ. يمينة الراوى –المغرب أ. أمال الغريب –الكويت
أ. نعيمة عبد لاوى –المغرب أ. ايمان الزيات –مصر أ. بدور ذات –مصر
أ. عواطف الزين –الكويت

٦٧- رؤية النقد لعلامات النص المسرحى في مسرح الطفل في الوطن العربى - السيد حافظ نموذجا.. إعداد د. نجاة صادق الجشعمى

٦٨- التشظى وتداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية - السيد حافظ نموذجا - الجزء الثانى إعداد : نجاة صادق الجشعمى

٦٩- التجريب في مسرح السيد حافظ - د. ليلى بن عائشة - الجزائر

٧٠- المسرح التجريبى بين المراوغة واضطراب المعرفة- السيد حافظ نموذجا إعداد د. نجاة صادق الجشعمى

٧١- إشكالية الحداثة والرؤي النقدية في المسرح التجريبى الجزء الثانى- السيد حافظ نموذجا إعداد د. نجاة صادق الجشعمى

أ.د. سعد أردش مصر أ. د. عبد الكريم برشيد المغرب أ.د جميلة مصطفى الزقاي الجزائر
أ. بنيونس الهواري الجزائر د. سميرة أوبلهى المغرب أ. فاطمة زكاوى المغرب
د. أحمد العشرى مصر أ. عادل النادى مصر د. مازن الماحى مصر
أ. أحمد غانم مصر أ. حليمة حقونى المغرب أ. عبد الغنى داود مصر
أ. نصيرة يعقوبى المغرب أ. محمود قاسم مصر أ. محمد يوسف مصر
أ. أحمد الشريف مصر د. ليلى بن عائشة الجزائر أ. جبارى عبد الرازق-الجزائر
أ. نادية فضمى المغرب أ. أحمد فضل شبلول مصر أ. شنايف الحبيب فلسطين
د. مصطفى عبد الغنى مصر أ. محمد صدقى مصر)

٧٢- إشكالية ملامح الحب ما بين التمجيد بالمقدس والاستلحاق بالمدنس- السيد حافظ نموذجا إعداد د. نجاة صادق الجشعمى

٧٣- انعكاس الثقافات تجانسها وتناقضاتها ما بين التجريب والحتمية في النص الروائى- السيد حافظ نموذجا - إعداد د. نجاة صادق الجشعمى

د. طالب عمران المعموري د. رشا غانم أ. سحر الجابري د. نجاة الجشعمى
د. سعيدة خلف د. مصطفى بوخال أ. محمد عطية محمود أ. سليم ميرة
أ. خالد ربعى د. وفاء كمالو أ. أحمد حنفى د. رياض موسى سكران
أ. أشرف دسوقى على د. داليا بدوي د. محمد مخيمر أ. فهمى إبراهيم
د. خالد البوهى د. أدهم مسعود القاق أ. فاديا سلوم

٧٤- جدلية الأنساق والدلالات الرمزية المضمرة في السرد الروائى - السيد حافظ نموذجا إعداد د. نجاة صادق الجشعمى

أ.د. كمال الدين عيد أ. فاديا سلوم د. جميلة رحمانى د. حنان حطاب
د. ستار عايد العتابى د. لبلبة فتحى خليفة د. وفاء كمالو
د. أمجد ريان د. إبراهيم بوخالفة أ. دينا نبيل عبد الرحمن
أ. عواطف الزين أ. فهمى إبراهيم أ. أحمد فضل شبلول
أ. معتز العجمى أ. أمين بكير أ. محمد الدسوقى
أ. سحر الجابري أ. بسنت حسين

٧٥- كتاب بحث رسالة الحكاية الشعبية في مسرح الطفل في الكويت - دراسة في مسرح السيد حافظ للباحثة آمال الغريب-المعهد العالى للفنون المسرحية ١٩٨٤- الناشر مركز الوطن العربى

٧٦- كتاب بحث رسالة في الشخصية التراثية وظيفتها الفنية والفكرية في مسرح السيد حافظ - سميرة أوبلهى - مكناس المغرب ١٩٨٦-الناشر مركز الوطن العربى ١٩٨٨.
٧٧- بحث في اللغة الشعرية في مسرح السيد حافظ- موسكو- تحت إشراف المستشرق فلاديمير شاجال.
٧٨- كتاب إشكالية التأهيل في المسرح العربى - صليحة حسنى - بحث - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - المغرب. الناشر مركز الوطن العربى ١٩٨٧.
٧٩- كتاب الفلاح في المسرح العربى - نموذجا حكاية الفلاح عبد المطيع - للسيد حافظ – خديجة الفلاح - جامعة محمد الأول - المغرب الناشر مركز الوطن العربى ١٩٨٨.
٨٠- كتاب البطل الثوري في مسرح السيد حافظ - نموذجا ظهور واختفاء أبو ذر الغفارى - منصورية مباركى - وجدة - المغرب . الناشر مركز الوطن العربى ١٩٨٩.
٨١- كتاب القضية الفلسطينية في مسرح السيد حافظ - نموذجا ٦ رجال في معتقل شنايف الحبيب - المغرب. الناشر مركز الوطن العربى ١٩٩٠.
٨٢- مفهوم الإرشادات المسرحية ومسألة التجريب في المسرح العربى. السيد حافظ نموذجا من خلال مسرحية " طفل وقوقع وقزح " حقون حميد - المغرب ١٩٩٢.
٨٣- التجريب في مسرح السيد حافظ الحانة الشاحبة العين تنظر الطفل العجوز الغاضب - نموذجا - عائشة عابد - جامعة محمد الأول -١٩٩١.
٨٤- الشخصية التراثية الشعبية في مسرح الطفل عن السيد حافظ - نموذجا على بابا - نزيهة بن طالب (الناشر - العربى للتوزيع).
٨٥- مسرح الطفل عن السيد حافظ–نموذجا "مسرحية الشاطر حسن" فاطمة حاجى - المغرب ١٩٩١.
٨٦- التجريب والعبث في المسرح العربى من خلال مسرحية سيزيف للسيد حافظ - حليمة حقوقى ١٩٩٢.
٨٧- التجريب في مسرح السيد حافظ نموذجا ١ " حبيبتى أنا مسافر و القطار انت و الرحلة الإنسان " ١٩٩٢-١٩٩٣ بنيونس الهواري. (المغرب)
٨٨- المسرح السياسى عند السيد حافظ من خلال مسرحية " ملك الزبالة أو الزبالين " رزوق أحمد – جامعة محمد الأول_وجدة_المغرب_١٩٩٦.
٨٩- مسرح الطفل عند السيد حافظ نموذجا مسرحية " قميص السعادة " نعيمة عبد اللاوي ١٩٩٦-١٩٩٧. (المغرب).
٩٠- إشكالية التجريب في مسرح السيد حافظ أطروحة لنيل دبلوم الدراسات العليا - بنيونس الهواري ١٩٩٩-٢٠٠٠ (المغرب).
٩١- مسرح الطفل عند السيد حافظ نموذجا مسرحية " سندريلا والأمير وقميص السعادة " د. عبد العزيز خلوفه. - جامعة محمد بن الله - فاس –المغرب ٢٠٠٢-٢٠٠٣.

٩٢- التراث والمسرح مسرحية " حلاوة زمان " للسيد حافظ - نموذجا - فاطمة زكاي ٢٠٠٢-٢٠٠٣ (المغرب).
٩٣- دور مسرح الطفل في ترسيخ بعض القيم الأخلاقية عن طريق الحكاية الشعبية نموذج " سندريلا " للسيد حافظ" سناء جلال أحمد على – جامعة المنوفية – قسم الإعلام التربوي –مصر ٢٠٠٢-٢٠٠٣.
٩٤- اللغة الشعرية في مسرح السيد حافظ - د. مفتاح خلوف
٩٥- الفضاء الدرامى وآلية إنتاج المعنى في مسرح السيد حافظ - علياء علاء رمضان عباس
٩٦- العتبات وبعثرة التيمات للسرد المهجن في المسرواية - السيد حافظ نموذجًا – إعداد د. نجاة صادق الجشعمى (دراسات نقدية لمجموعة من النقاد)
٩٧- مقامات التجريب وبنيات التشكيل في الرواية - السيد حافظ نموذجًا – إعداد د. نجاة صادق الجشعمى (دراسات نقدية لمجموعة من النقاد)
٩٨- الخطاب التاريخى المضمر في رواية حتى يطمئن قلبى – شهادة الماستر – جامعة بوضياف – المسيلة – كلية الآدب واللغات – للباحثتين حبيبة عرسلان – أسماء بن التومى – الجزائر.
٩٩- بنية الخطاب الروائى - دراسة لنص رواية قهوة سادة للسيد حافظ - رسالة ماستر – ٢٠٢٣ - إعداد سميرة معشاشة - جامعة محمد لامين دباغين - سطيف ٢ - كلية الآداب واللغات - قسم اللغة والأدب العربى. الجزائر.
١٠٠- التحليل العملى في النص الروائى ،دراسة لنص رواية نسكافيه – شهادة ماستر - ٢٠٢٣ - إعداد عبد الرحيم خضار - جامعة محمد لامين دباغين - سطيف ٢ - كلية الآداب واللغات - قسم اللغة والأدب العربى. الجزائر.
١٠١- التجريب في الرواية العربية ، رواية لو لم أعشقها للسيد حافظ أنموذجا - رسالة ماستر - ٢٠٢٣ - إعداد بشيري فاطنة - جامعة زيان عاشور بالجلفة - كلية الآداب واللغات والفنون - قسم اللغة وآدابها. الجزائر.
١٠٢- تداولية الخطاب المسرحى للسيد حافظ ، مسرحية يوسف بن تاشفين أنموذجا - تمهيدي رسالة ماستر - ٢٠٢٣ - أعداد ماحى عفاف - المركز الجامعى نور البشير - البيض ، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية – قسم الآداب واللغات - الجزائر.
١٠٣- المسافة الجمالية في رواية حتى يطمئن قلبى ،رسالة ماستر - ٢٠٢٣ - إعداد : نهلة بركان ،سارة سكات - المركز الجامعى – تيبازة - معهد اللغة والأدب العربى - الجزائر.
١٠٤- مسرح السيد حافظ بين المسرح الطليعى والمسرح التجريبى - د. محمد عزيز نظمى سالم - مركز الوطن العربى للنشر والإعلام (رويا) - القاهرة - ٢٠٢٣.
١٠٥- إبداع السيد حافظ بين عشق الوطن وعطر النساء وهاجس التاريخ - مصطفى بوخال - دار خيال - الجزائر – ٢٠٢٣.

١٠٦- اللغة الشعرية فى رواية كابتشينو ،رسالة ماستر - ٢٠١٩- إعداد : ورده عطابى واشراق العمرى إشراف الأستاذ الدكتور العبقرى مفتاح خلوف - جامعة محمد بو ضياف بالمسيلة. الجزائر.
١٠٧- الكاتب الروائى والمسرحى السيد حافظ في عيون كتاب و نقاد و أدباء مصر - ج ١ – ط ٢٠٢٣.
١٠٨- الكاتب الروائى والمسرحى السيد حافظ في عيون كتاب و نقاد و أدباء مصر – ج٢ – ط ٢٠٢٣.
١٠٩- الكاتب الروائى والمسرحى السيد حافظ في عيون كتاب و نقاد و أدباء مصر – ج٣ – ط ٢٠٢٣.
١١٠- الكاتب الروائى والمسرحى السيد حافظ في عيون كتاب و نقاد و أدباء مصر – ج٤ – ط ٢٠٢٣.
١١١- الكاتب الروائى والمسرحى السيد حافظ في عيون كتاب و نقاد و أدباء مصر – ج ٥ – ط ٢٠٢٣.
١١٢- الكاتب الروائى والمسرحى السيد حافظ في عيون كتاب و نقاد و أدباء مصر - ج ٦ - ط٢٠٢٣.
١١٣- مذكرات الكاتب السيد حافظ – الجزء الأول - د. ياسر جابر الجمَّال – ط ٢٠٢٣
١١٤- مذكرات الكاتب السيد حافظ – الجزء الثانى - د. ياسر جابر الجمَّال – ط ٢٠٢٣
١١٥- مذكرات الكاتب السيد حافظ – الجزء الثالث - د. ياسر جابر الجمَّال – ط ٢٠٢٣
١١٦- مذكرات الكاتب السيد حافظ – الجزء الرابع - د. ياسر جابر الجمَّال – ط ٢٠٢٣
١١٧- حكايات أحفادى (القصَّة القصيرة والقصة القصيرة جدا) – السيد حافظ – ط ٢٠٢٤
١١٨- تجليات النقد المعاصر في جماليات السرد الروائى - إعداد د. نجاة صادق الجشعمى (دراسات نقدية لمجموعة من النقاد)
١١٩- التداخل الحضاري وتجليات جماليات السرد في الفكر النقدي - إعداد د. نجاة صادق الجشعمى (دراسات نقدية لمجموعة من النقاد)
١٢٠- المسرح التجريبى عند السيد حافظ نموذجا مسرحية " سيزيف " سميرة لمسايح ٢٠٠٢-٢٠٠٣ (المغرب).
١٢١- الصراع الدرامى في مسرح السيد حافظ التجريبى – مسرحية بوابة الميناء - د. محمد السيد عبدالعاطى دحريجة – ٢٠٢٤ كلية الآداب - جامعة عين شمس – القاهرة – مصر
١٢٢- الخطاب السياسى في مسرحية بوابة الميناء للسيد حافظ – اعداد : ليندا زهير – اشراف د. محمد زعيترى – ط ٢٠٢٤ - الجزائر.
١٢٣- آليات التجريب في رواية لو لم أعشقها عند السيد حافظ - اعداد : الربيع سعدون - حسان بن الصيد – اشراف د. محمد بن صالح – ط ٢٠٢٤. جامعة محمد بوضياف – المسيلة - الجزائر - كلية اللآداب واللغات – قسم اللغة العربية.
١٢٤- خصوصية الكتابة الروائية لدى السيد حافظ مسافرون بلا هوية أنموذجًا – إعداد (أمينة بوسيف وسعاد بن حميدة - تحت إشراف : د. عطى الله الناصر) كلية الآداب واللغات – قسم اللغة العربية جامعة ابن خلدون تيارت – الجزائر (٢٠٢٠ – ٢٠٢١)
١٢٥- البنية الدرامية في مسرح الطفل مسرحية الأميرة حب الرمان وخيزران للسيد حافظ - إعداد زوليخة بساعد و هاجر عبدي – برئاسة اللجنة د. بوزيد رحمون - كلية الآداب واللغات – قسم

اللغة العربية - جامعة محمد بوضياف – المسيلة – الجزائر. (٢٠١٧-٢٠١٨)

١٢٦- سيمياء بناء الشخصية في رواية ليالى دبى "شاي بالياسمين" للسيد حافظ – إعداد : رانيا سحنون - بسمة زريق – مشرفًا على الرسالة : د. خلوف مفتاح – جامعة محمد بوضياف – المسيلة – الجزائر. (٢٠١٨-٢٠١٩)

١٢٧- تداخل الأجناس الأدبية في رواية (قهوة سادة) للسيد حافظ إعداد : غنية ولهى – سمية حملاوي – أ.د. بوزيد رحمون – أ.د. عزوز ختيم - جامعة محمد بوضياف – المسيلة – الجزائر. (٢٠١٨-٢٠١٩)

١٢٨- الحبكة الفنية و الدرامية في المسرحية العربية " الخادمة والعجوز " إعداد : إيمان جبارى ،أ.د. عليوي عمر رئيسا – أ.د. خلوف مفتاح مشرفا ومقررا – أ.د. مهدى عمار مناقشاً – جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر - كلية الآداب واللغات. (٢٠١٧-٢٠١٨)

١٢٩- هندسة الشخصيات في رواية "وهمت به" للسيد حافظ إعداد الطالبتين : آية سلينى - نُسيبة بربيش ، رئيساً : د.عليوي عمر مشرفًا : د.بوزيد رحمون ممتحنًا: د. شبلى خالد - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر - كلية الآداب واللغات. (٢٠٢٠ – ٢٠٢١)

١٣٠- تجليات التداخل النصى في مسرحية "حكاية الفلاح عبد المطيع" إعداد : كفيلة طاهري - بشرى خرفي – رئيس اللجنة د. سعاد طالب – مشرف ومقرر د. أسماء غجاتى – د. نورالهدي حلاب ممتحنا. (٢٠٢٠ – ٢٠٢١)

١٣١- جماليات الكتابة المسرحية الموجهة للطفل " مسرحية سندريلا والأمير " للسيد حافظ أنموذجًا – إعداد الطالبتين : مفيدة بودهوس - ريمة بلفريطس - جامعة جيجل قطب تاسوست - جيجل - كلية الآداب واللغات الأجنبية - قسم الأدب العربى ٢٠٢١ – ٢٠٢٢.

١٣٢- إيقاعات متفردة على هامش روايات الكاتب السيد حافظ – بقلم أ. منى عارف - ٢٠٢٤.

١٣٣- المهاجر إلى الغد - السيد حافظ "خمسون عاما من التجريب في المسرح والرواية" بقلم أحمد محمد الشريف ٢٠٢٤

١٣٤- التجريب في الرواية والمسرح عند السيد حافظ في عيون كتاب ونقاد سوريا بقلم : نواف يونس - د. أدهم مسعود القاق - د.عبير خالد يحيى - فاديا سلوم - داود أبو شقرة – ط ٢٠٢٤.

١٣٥- اللغة الشعرية في مسرح الطفل عند السيد حافظ - إعداد الطالبتين: صبرينة نصري - نجــود نصري ، رئيساً د. عزوز ختيم ، مشرفًا د. مفتاح خلوف ، ممتحنًا د . محمد زعيتري - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر - كلية الآداب واللغات. (٢٠١٨ – ٢٠١٩)

١٣٦- السيد حافظ أيقونة دراما الطفل دراسة بقلم : د. أحمد محمود أحمد سعيد – جامعة المنيا – مصر – ٢٠٢٤.

١٣٧- وتيرة السرد في رواية " كل من عليها خان " للسيد حافظ - إعدادالطالبتين : نجاة حملاوي – نرجس بن خليفة رئيساً د. خليفة عوشاش ، مشرفًا د. عمر عليوي ، ممتحنًا د. زكري بحوص - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر - كلية الآداب واللغات. (٢٠٢٢ – ٢٠٢٣)

١٣٨- جماليات الكتابة المسرحية الموجهة للطفل في مسرحية سندس للسيد حافظ – إعداد الطالبتين : أمال قندوز - فاطنة بوكركب ، رئيسًا : د. أحمد أمين بوضياف ، مشرفا : د. حالب نور الهدى ، ممتحنا : د. عمر عبد الكريم -

١٣٩- جماليات السرد في مسرحية الفلاح عبد المطيع للسيد حافظ – إعداد الطالبتين : إيمان خشاب - وسيلة بن زاوي – رئيسًا : أ.د. بوزيد رحمون – مشرفا : د. لعلجة هذلى – ممتحنا : د. عثمان مقيرش - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر - كلية الآداب واللغات. (٢٠٢٢ – ٢٠٢٣)

١٤٠- المرأة بين التسلط والقهر في مسرح الطفل - دراسة مقارنة – أنموذجًا - (سندريلا والأمير) للسيد حافظ ، (سندريلا والجناينى) لعامر على عامر ، (حلم سندريلا) لعلى خليفة ، إعداد : د. راندا حلمى السعيد - مدرس علوم المسرح - قسم العلوم الأساسية - كلية رياض الأطفال - جامعة دمنهور - جمهورية مصر العربية ط.٢٠٢٤.

١٤١- دلالة المفارقات الموضوعاتية في أعمال السيد حافظ الروائية – "وهمت يه " أنموذجًا – إعداد : د. نادية سعدونى – الجزائر. ط ٢٠٢٤

دراسات أجنبية خارج الوطن العربى (أمريكا وأوروبا وأسيا)

١- "القضية الفلسطينية والمرأة في مسرح السيد حافظ" الرسالة المقدمة في إيرلندا تناولت موضوع القضية الفلسطينية والمرأة في مسرح السيد حافظ. الباحثة بريدجت ويلز قدمت هذا البحث كجزء من دراستها للماجستير. ركزت الرسالة على كيفية تصوير السيد حافظ للقضية الفلسطينية ودور المرأة في سياق هذه القضية ضمن أعماله المسرحية. (جامعة إيرلندا)

٢- "الأدب والحرب في مسرح السيد حافظ" كتبها الباحث حميد اسكندر مشهور. رسالة الدكتوراه التى قدمت في الهند - جامعة شانداجار تناول العلاقة بين الأدب وتجارب الحرب من خلال مسرحيات السيد حافظ، وكيف تعكس تلك الأعمال الآثار النفسية والاجتماعية للحرب على المجتمعات.

٣- بحث ماجستير حول مسرحية "الشاطر حسن" جامعة ميسوري - الولايات المتحدة

مشاركات

- شارك في مهرجان قرطاج (تونس)
- مهرجان بغداد (العراق)
- مهرجان مسرح الطفل – الأردن
- مهرجان أبو ظبى
- مهرجان القاهرة
- مهرجان الإسكندرية
- مهرجان مطروح
- مهرجان بيجاية (الجزائر)
- مهرجان مدينة وجدة المسرحى (المغرب)
- مهرجان مسرح الطفل (الكويت)
- مهرجان المونودراما الأول في البصرة – العراق.

التكريم والجوائز:

- حصل على جائزة أحسن مؤلف لعمل مسرحى موجه للأطفال في الكويت عن مسرحية سندريلا عام ١٩٨٠.
- حصل على جائزة التميز من اتحاد كتاب مصر ٢٠١٥
- حصل على جائزة علاء الجابر في المسرح كرائد من رواد مسرح الطفل ٢٠٢٣ بالقاهرة
- تكريم المهرجان القومى للمسرح المصري عام ٢٠١٨

العنوان : ١٢ ش طارق يحيى عبد الغنى – التعاون – الهرم – الجيزة
موبايل ٠٠٢٠١٢٨١١١١٨٧٥ – ٠١١١٦٤٠٩٥٦٨ – ٠١٠٦٥٣٣٠٢٩٩

E-mail : Justhappy_man2000@yahoo.com
hafez66@live.com

مدونة الكاتب:
http://sdhafez.blogspot.com
https://www.facebook.com/alsyd.hafz.7

صدر من سلسلة دراسات و بحوث
فى مسرح و روايات السيد حافظ

١- التحليل السردي في رواية شط اسكندرية يا شط الهوي – للسيد حافظ – إعداد : نسرين بوشناقة – آمنة خناش – د. بوزيد رحمون مشرفًا ومقرراً – كلية الآداب واللغات – قسم اللغة والأدب العربى - جامعة محمد بوضياف – بالمسيلة – الجزائر.

٢- سيمياء بناء الشخصية في رواية ليالى دبى "شاي بالياسمين" للسيد حافظ – إعداد : رانيا سحنون - بسمة زريق – مشرفًا على الرسالة : د. خلوف مفتاح – جامعة محمد بوضياف – المسيلة – الجزائر. (٢٠١٨-٢٠١٩)

٣- تداخل الأجناس الأدبية في رواية (قهوة سادة) للسيد حافظ إعداد : غنية ولهى – سمية حملاوي – أ.د. بوزيد رحمون – أ.د. عزوز ختيم - جامعة محمد بوضياف – المسيلة – الجزائر. (٢٠١٨-٢٠١٩)

٤- الحبكة الفنية و الدرامية في المسرحية العربية " الخادمة والعجوز " =إعداد : إيمان جبارى – أ.د. عليوي عمر رئيسا – أ.د. خلوف مفتاح مشرفا ومقررا – أ.د. مهدى عمار مناقشاً – جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر - كلية الآداب واللغات. (٢٠١٧-٢٠١٨)

٥- توظيف التراث في مسرحيات السيد حافظ – إعداد : وحيدة بلقفصى - إيمان عبد اللاوي – د. بوشلالق حكيمة - اشراف د . خلوف مفتاح – ممتحنا د. محمد زعيترى - كلية الآداب واللغات - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة -الجزائر.

٦- هندسة الشخصيات في رواية "وهمت به" للسيد حافظ إعداد الطالبتين : آية سلينى - نُسيبة بربيش رئيساً : د.عليوي عمر مشرفًا : د.بوزيد رحمون ممتحنًا : د. شبلى خالد - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر - كلية الآداب واللغات. (٢٠٢٠ – ٢٠٢١)

٧- تجليات التداخل النصى في مسرحية "حكاية الفلاح عبد المطيع" إعداد : كفيلة طاهري - بشرى خرفي – رئيس اللجنة د. سعاد طالب – مشرف ومقرر د. أسماء غجاتى – د. نورالهدي حلاب ممتحنا. (٢٠٢٠ – ٢٠٢١)

٨- جماليات الكتابة المسرحية الموجهة للطفل " مسرحية سندريلا والأمير " للسيد حافظ أنموذجًا – إعداد الطالبتين : مفيدة بودهوس - ريمة بلفريطس - جامعة جيجل قطب تاسوست - جيجل - كلية الآداب واللغات الأجنبية - قسم الأدب العربى ٢٠٢١ – ٢٠٢٢.

٩- المهاجر إلى الغد - السيد حافظ خمسون عاما من التجريب في المسرح والرواية – بقلم أحمد محمد الشريف – القاهرة ٢٠٢٤.
١٠- إيقاعات متفردة على هامش روايات الكاتب السيد حافظ – بقلم : منى عارف – ط٢٠٢٤.
١١- التجريب في الرواية والمسرح عند السيد حافظ في عيون كتاب ونقاد سوريا - بقلم: نواف يونس - د. أدهم مسعود القاق - د.عبير خالد يحيى - فاديا سلوم - داود أبو شقرة – ط ٢٠٢٤.
١٢- اللغة الشعرية في مسرح الطفل عند السيد حافظ - إعداد الطالبتين : صبرينة نصري - نجـود نصري ، رئيساً د. عزوز ختيم ، مشرفًا د. مفتاح خلوف ، ممتحنًا د. محمد زعيتري - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر - كلية الآداب واللغات (٢٠١٨ – ٢٠١٩) ط ٢٠٢٤.
١٣- السيد حافظ أيقونة دراما الطفل دراسة بقلم : د. أحمد محمود أحمد سعيد – جامعة المنيا –جمهورية مصر العربية – ٢٠٢٤.
١٤- وتيرة السرد في رواية " كل من عليها خان " للسيد حافظ - إعدادالطالبتين : نجاة حملاوي – نرجس بن خليفة رئيسًا د. خليفة عوشاش ، مشرفًا د. عمر عليوي ، ممتحنًا د. زكري بحوص - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر - كلية الآداب واللغات. (٢٠٢٢ – ٢٠٢٣)
١٥- جماليات الكتابة المسرحية الموجهة للطفل في مسرحية سندس للسيد حافظ – إعداد الطالبتين : أمال قندوز - فاطنة بوكركب ، رئيساً : د. أحمد أمين بوضياف ، مشرفا : د. حالب نور الهدى ،ممتحنا : د. عمر عبد الكريم - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر - كلية الآداب واللغات. (٢٠٢٣ – ٢٠٢٤)
١٦- جماليات السرد في مسرحية الفلاح عبد المطيع للسيد حافظ – إعداد الطالبتين : إيمان خشاب - وسيلة بن زاوي – رئيساً : أ.د. بوزيد رحمون – مشرفا : د. لعلجة هذلى – ممتحنا : د. عثمان مقيرش - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر - كلية الآداب واللغات. (٢٠٢٢ – ٢٠٢٣)
١٧- المرأة بين التسلط والقهر في مسرح الطفل - دراسة مقارنة – أنموذجًا - (سندريلا والأمير) للسيد حافظ ، (سندريلا والجناينى) لعامر على عامر ، (حلم سندريلا) لعلى خليفة ، إعداد : د. راندا حلمى السعيد - مدرس علوم المسرح - قسم العلوم الأساسية - كلية رياض الأطفال - جامعة دمنهور - جمهورية مصر العربية ط.٢٠٢٤.

١٨- دلالة المفارقات الموضوعاتية في أعمال السيد حافظ الروائية – "وهمت يه " أنموذجًا – إعداد : د. نادية سعدونى – الجزائر. ط ٢٠٢٤.

١٩- الأبعاد الفنية والجمالية في المسرح التجريبى "نموذجًا السيد حافظ" - بنيونس الهواري – المغرب – ٢٠٢٤.

٢٠- إستراتيجية النص وتفاعل المتلقى في الخطاب الأدبى رواية "كابتشينو " للسيد حافظ – د. ربيعة حنيش – الجزائر.

٢١- إشكالية الحداثة والرؤى النقدية في المسرح التجريبى.. السيد حافظ نموذجا – د. نجاة صادق الجشعمى - دراسات نقدية – ٢٠١٨.

٢٢- إشكالية ملامح الحب ما بين التمجيد بالمقدس والاستلحاق بالمدنس – رؤى نقدية - ٢٠٢١.

٢٣- إشكالية وتمازج ملامح العشق المقدس والمدنس – نموذجًا – رواية "لو لم أعشقها"

٢٤- إعادة كتابة التاريخ في مسرح الطفل العربى مسرحية "أبوزيد الهلالى" للسيد حافظ نموذجا - إعداد : سعاد مدانى نصيرة بن زموري - مسرحية "أبوزيد الهلالى " نموذجًا - دراسات نقدية.

٢٥- الكاتب الروائى والمسرحى السيد حافظ في عيون كتاب ونقاد وأدباء مصر - الجزء الأول - كتاب وأدباء ونقاد مصر - دراسات نقدية.

٢٦- الكاتب الروائى والمسرحى السيد حافظ في عيون كتاب ونقاد وأدباء مصر - الجزء الثانى - كتاب وأدباء ونقاد مصر - دراسات نقدية.

٢٧- الكاتب الروائى والمسرحى السيد حافظ في عيون كتاب ونقاد وأدباء مصر - الجزء الثالث - كتاب وأدباء ونقاد مصر - دراسات نقدية.

٢٨- الكاتب الروائى والمسرحى السيد حافظ في عيون كتاب ونقاد وأدباء مصر - الجزء الرابع - كتاب وأدباء ونقاد مصر - دراسات نقدية.

٢٩- الكاتب الروائى والمسرحى السيد حافظ في عيون كتاب ونقاد وأدباء مصر - الجزء الخامس - كتاب وأدباء ونقاد مصر - دراسات نقدية.

٣٠- الكاتب الروائى والمسرحى السيد حافظ في عيون كتاب ونقاد وأدباء مصر - الجزء السادس - كتاب وأدباء ونقاد مصر - دراسات نقدية.

٣١- أعمال السيد حافظ المسرحية من الفهم والتفسير إلى صناعة الوعى إعداد الدكتور: مفتاح خلوف – الجزائر – ط ٢٠٢٠م.

٣٢- امبراطورية المسرح – دراسات نقدية في مسرح السيد حافظ - د.ناديه سعدونى ، الجزائر ط ٢٠٢٠م.
٣٣- انحطاط العالم والسرد العربى السيد حافظ في عيون الباحثين والنقاد الجزائريين - أعداد وتقديم : أ. د. ابراهيم بوخالفة.
٣٤- انعكاس الثقافات تجانسها وتناقضاتها ما بين التجريب والحتمية في النص الروائى - السيد حافظ نموذجا - إعداد : د. نجاة صادق الجشعمى.
٣٥- البعد السياسى التحريضى في نصوص السيد حافظ المسرحية دراسة بقلم: ايمان خالد مهدي عمران –جامعة بابل –كلية الفنون الجميلة –العراق - ط ٢٠٢٢.
٣٦- بلاغة التعبير عن فكر الكاتب السيد حافظ السياسى في إبداعه الروائى –رسالة ماجستير –مى جمال الشربينى –مصر - ط ٢٠٢٠م.
٣٧- بناء البطل التراجيدي في مسرح السيد حافظ –إشراف : د. عزوز ختيم إعداد الطالبين بن حافظ عائشة ـ بوزيدي زكريا - جامعة محمد بوضياف–الجزائر ط ٢٠٢١.
٣٨- البناء الفنى في الرواية الممسرحة نموذجًا رواية كل من عليها خان للسيد حافظ دراسة بقلم أ. فضيلة طايبى و أ. آسيا خيتوس –ط ٢٠٢٢
٣٩- البنية السردية في الرواية العربية الحديثة رواية "ما أنا بكاتب" للسيد حافظ رسالة ماستر - الجزائر بقلم بلقليل دلال - بن صوشة كنزة –ط ٢٠٢٢
٤٠- التأثيث المكانى في رواية ليالى دبى شاي بالياسمين للكاتب السيد حافظ - إعداد : سليم ميرة - خالد ربعى –جامعة محمد بوضياف–المسيلة - الجزائر.
٤١- التجريب في المسرح العربى مسرح السيد حافظ نموذجًا - عبد الحق قرطيط - اشراف د. يونس لوليدي – جامعة سيدى محمد بن عبد اللّه – كلية الاداب والعلوم الإنسانية –فاس –المغرب - ط ٢٠٢٠م.
٤٢- التجريب في مسرح السيد حافظ - د. ليلى بن عائشة –الجزائر.
٤٣- التجريب وانحرافات السرد في الرواية - السيد حافظ نموذجا إعداد: د. نجاة صادق الجشعمى.
٤٤- التجريب وجماليات البناء السردي في الرواية العربية - ضمن مشروع ورشة النقد للسرد الروائى "السباعية" الجزء السادس - نموذجًا رواية "ما أنا بكاتب" اعداد : د. نجاة صادق الجشعمى - ط ٢٠٢١.
٤٥- التجريب ومكونات البنى السردية في الرواية- السيد حافظ نموذجا- إعداد: نجاة

الجشعمى.

٤٦- تجليات التناص في الخطاب السردي. رواية أنا وفاطمة مارك للسيد حافظ نموذجا - إعداد : (سميحة بايفوح -والزهرة خنوش- وراضية كبور)

٤٧- تجليات الحداثة في الخطاب السردى المعاصر كل من عليها خان للكاتب السيد حافظ نموذجا – د. فايزة محمد سعد.

٤٨- تجليات النقد المعاصر في جماليات السرد الروائى - إعداد د. نجاة صادق الجشعمى (دراسات نقدية لمجموعة من النقاد)

٤٩- التداخل الحضاري وتجليات جماليات السرد في الفكر النقدي - إعداد د. نجاة صادق الجشعمى (دراسات نقدية لمجموعة من النقاد)

٥٠- التشاكل الأجناسى في سباعية السيد حافظ –د. أمل درويش –القاهرة - مصر.

٥١- التشظى وتداخل الأنواع الأدبية (تجربة السيد حافظ في المسرواية) "الجزء الأول" إعداد : د. نجاة صادق الجشعمى.

٥٢- التشظى وتداخل الأنواع الأدبية (تجربة السيد حافظ في المسرواية) "الجزء الثانى" إعداد : د. نجاة صادق الجشعمى.

٥٣- تشكيل النّص غير الملفوظ فى مسرحيات السّيد حافظ رسالة ماجستير بقلم زهرة هبوب وصفية زلوف - إشراف البروفسور مفتاح خلوف – جامعة محمد بوضياف –الجزائر –ط٢٠٢٢.

٥٤- تمثيلات التجريب فى المسرح العربى المعاصر – السيد حافظ أنموذجًا – د. عبد الستار عبد ثابت - عميد كلية الفنون الجميلة – جامعة البصرة –العراق.

٥٥- تمثيل العالم حفريات في الأدب الروائى للكاتب السيد حافظ - د. إبراهيم أبو خالفة – الجزائر.

٥٦- تمظهر التجديد في بنية السرد في القصة القصيرة - السيد حافظ نموذجا – إعداد د. نجاة صادق الجشعمى –الطبعة الأولى.

٥٧- تمظهر التجديد في بنية السرد في القصة القصيرة - السيد حافظ نموذجا – إعداد د. نجاة صادق الجشعمى –الطبعة الثانية.

٥٨- التنوع الدلالى في مسرح الطفل - السيد حافظ نموذجا - الجزء الأول - إعداد د. نجاة صادق الجشعمى - أ.د جميلة مصطفى الزقاي –الجزائر.

٥٩- مسرح الطفل في الكويت بين التنوع الدلالى والترايخ والإخراج –الجزء الثانى –اعداد : د. نجاة صادق الجشعمى – تقديم د. فايزة سعد - القاهرة.

٦٠- التجريب والتأسيس فى مسرح السيد حافظ - أ.د. عبد الكريم برشيد –المغرب.

٦١- ثنائية المخاتلة بين النص الغائب والصورة الذهنية في مسرح السيد حافظ - إعداد : "أسمهان سعودى و سناء نويوية " اشراف د . محمد زعيتري – الجزائر - ط ٢٠٢٠م.
٦٢- ثورة الإبداع في المسرح والسرد نموذجًا الكاتب السيد حافظ - د. وفاء كمالو – مصر.
٦٣- جدلية الأنساق والدلالات الرمزية المضمرة في السرد الروائى - السيد حافظ نموذجا - إعداد د. نجاة صادق الجشعمى - مصر.
٦٤- جمالية الكتابة المسرحية و السردية عند السيد حافظ - د. كمال الدين عيد – مصر.
٦٥- الحاكم بأمر الله بين الرواية والمسرح – دراسة مقارنة بين السيد حافظ وبنسالم حميش واحمد على باكثير والبشير القهوجى - د. مصطفى الخطيب – مصر.
٦٦- الحب ما بين الاصطلاح والرمزية – رواية لو لم أعشقها – دراسات نسوية – تقديم د. محمد زعيترى – إعداد / د. نجاة صادق الجشعمى – مصر.
٦٧- حضور الفاطميين في مسرحيات السيد حافظ – تأليف / نزار شبيب كريم العبادي – مؤسسة دار الصادق الثقافية – العراق.
٦٨- خصوصية التأليف في مسرح الطفل في الوطن العربى-السيد حافظ نموذجا إعداد: د. حيدر على الأسدي – العراق.
٦٩- السيد حافظ بين سرد السيرة ومذكرات السرد - دراسة في الموقف والدلالة - كيف تصبح كاتبًا مشهورًا - تحقيق وتصدير ودراسة د. ياسر جابر الجمَّال - أستاذ الأدب والنقد – مصر.
٧٠- الخطاب التاريخى المضمر في رواية حتى يطمئن قلبى – شهادة الماستر – جامعة بوضياف – المسيلة – كلية الآدب واللغات – للباحثتين حبيبة عرسلان – أسماء بن التومى – الجزائر.
٧١- السرد الروائى بين خلخلة التأريخ وتجاوز الذاكرة – رواية " كل من عليها خان أنموضجا - " للسيد حافظ - د. نجاة صادق الجشعمى – العراق.
٧٢- السيد حافظ في عيون كتاب وفنانين ونقاد العراق-دراسات نقدية - إعداد. نجاة صادق الجشعمى – العراق.
٧٣- "السيد حافظ في عيون كتاب ونقاد وأدباء الكويت"دراسات نقدية - بقلم نقاد المسرح في الكويت.
٧٤- السيد حافظ في عيون نقاد المغرب- الجزء الأول- دراسات نقدية - إعداد : نجاة صادق الجشعمى.
٧٥- السيد حافظ في عيون نقاد المغرب- الجزء الثانى – دراسات نقدية - إعداد : نجاة صادق الجشعمى.
٧٦- السيد حافظ فى عيون كتاب ونقاد وأدباء فلسطين - بقلم نقاد وأدباء فلسطين .

٧٧- الشخصيات مابين المرئى واللامرئى والثابت والمتغير في السرد الروائى – رواية كل من عليها خان " للسيد حافظ نموذجا – إعداد د. نجاة صادق الجشعمى .

٧٨- شرنعة العشق ما بين البراجماتية والدوجماطيقية - رواية " لو لم أعشقها" للسيد حافظ - إعداد / د. نجاة صادق الجشعمى.

٧٩- الصراع الدرامى في مسرح السيد حافظ التجريبى – مسرحية بوابة الميناء - د. محمد السيد عبدالعاطى د حريجة – ٢٠٢٤ كلية الآداب- جامعة عين شمس – القاهرة – مصر.

٨٠- صورة المجتمع في نصوص مسرح الطفل المستلهمة من التراث عند السيد حافظ - د. هدى سعيد عبد العليم – مدرس بكلية التربية النوعيه – جامعة كفر الشيخ – مصر.

٨١- صورة المرأة وأبعاد توظيفها في مسرحيات السيد حافظ "نماذج مختارة" اعداد : عفاف صغيري ونادية زوالى - تحت إشراف د. مفتاح خلوف - كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربى - جامعة محمد بوضياف - المسيلة – الجزائر.

٨٢- العتبات وبعثرة التيمات للسرد المهجن في المسرواية – نموذجًا رواية " ليالى دبى - شاى أخضر شاى بالياسمين " للكاتب السيد حافظ - د/ نجاة صادق الجشعمى.

٨٣- العنونه مابين الصورة والزمانكية في الرواية – رواية "ما أنا بكاتب" نموذجًا – د. نجاة صادق الجشعمى.

٨٤- غرائبية العتبات النصية في مسرواية حتى يطمئن قلبى - للكاتب السيد حافظ - مقاربة سيميائية – إعداد د. مروة محمد أبواليزيد - قسم اللغة العربية (الأدب والنقد الحديث) كلية الآداب ، جامعة المنوفية - جمهورية مصر العربية.

٨٥- الفضاء الدرامى وآلية إنتاج المعنى في مسرح السيد حافظ - دراسة فنية – إعداد الباحثة / عليا علاء رمضان عباس – اشراف أ.د. ضيف عبد المنعم الفرجانى – كلية الآداب – جامعة المنيا – جمهورية مصر العربية.

٨٦- فنيات الكتابة المسرحية عند السيد حافظفى مسرحية امرأتان – بقلم بسمة حرود – نورة حبيب – إعداد الدكتورمحمد زعيتري – جامعة محمد بوضياف – المسيلة – الجزائر.

٨٧- الكتابة المسرحية للأطفال بين الواقع والتجريب – أعمال السيد حافظ أنموذجًا – د. الويزة جبابلية – أستاذ الأدب المقارن والأداب العالمية – جامعة العربى التبسى – تبسة – الجزائر.

٨٨- مذكرات السيد حافظ بين توثيق الحقيقة والحقيقة الموازية – تحقيق وتصدير ودراسة د. ياسر جابر الجمال – أستاذ الأدب والنقد – الجزء الثانى .

٨٩- مذكرات السيد حافظ ومأساة المثقفين – دراسة في حفريات الثقافة – تحقيق وتصدير

ودراسة د. ياسر جابر الجمال - أستاذ الأدب والنقد – الجزء الثالث.

٩٠- المرأة والبعد الاجتماعى والعقائدي في رواية "كل من عليها خان " للسيد حافظ – اعداد زهيرة حمريط – ايمان خلفة – اشراف د. محمد زعيتري – جامعة محمد بوضياف – المسيلة – الجزائر.

٩١- المسرح التجريبى بين المراوغة واضطراب المعرفة - دراسة – نقد – تحليل – د. نجاة صادق الجشعمى.

٩٢- مسرح السيد حافظ بين المسرح التجريبى والمسرح الطليعى – متابعة ومدخل جمالى للدراسات النقدية – د. محمد عزيز نظمى سالم.

٩٣- المسرح والتراث والتاريخ – تجربة السيد حافظ – الناقدة المغربية سميرة أوبلهى – تقديم أ.د. عبد الرحمن بن زيدان.

٩٤- معمارية البناء وجماليات السرد ما بين الزمانكية وعولمة النقد "رواية ما أنا بكاتب" للسيد حافظ نموذجا – د. نجاة صادق الجشعمى.

٩٥- مفهوم الثورة في مسرح الطفل في أعمال السيد حافظ – رشا دياب.

٩٦- مقامات التجريب وبنيات التشكيل في الرواية – دراسات نقدية – د. نجاة صادق الجشعمى.

٩٧- مملكة السرد – دراسات نقدية في سرديات السيد حافظ – د. إبراهيم بوخالفة - الجزائر.

٩٨- نظرية التداخلات الأجناسية في رواية "كل من عليها حان " للسيد حافظ – اعداد روباش عليمة – اشراف د. خلوف مفتاح – جامعة محمد بوضياف – المسيلة – الجزائر.

٩٩- الهجنة الأجناسية في أعمال السيد حافظ الإبداعية – د. نادية سعدونى – الجزائر.

١٠٠- هندسة الشخصيات في رواية ليالى دبى للكاتب الروائى السيد حافظ أنموذجًا – الباحثة فاطمة صغيري – اشراف أ.د. مفتاح خلوف – جامعة محمد بوضياف – كلية الآداب واللغات – الجزائر.

١٠١- القضايا السياسية في المسرح السكندري المعاصر – نموذجًا مسرحية "الحانة الشاحبة العين تنتظر الطفل العاجوز الغاضب) (والله زمان يا مصر) بقلم هدي جمال الدين رملى عنانى – قسم اللغة العربية – بقسم المسرح – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية.

١٠٢- الخطاب السياسى في مسرحية "بوابة الميناء" للسيد حافظ – اعداد ليندة زهير – اشراف د. محمد زعييتري . جامعة محمد بوضياف – المسيلة – الجزائر.

١٠٣- آليات التجريب في رواية " لو لم أعشقها " عند السيد حافظ – اعداد الربيع سعدون - حسان بن الصيد – اشراف أ.د. محمد بن صالح - الجزائر.

١٠٤- خصوصية الكتاب الرواية لدى السيد حافظ "مسافرون بلا هوية " أنموذجًا – إعداد أمينة بوسيف – سعاد بن حميدة – إشراف د. عطى الله الناصر.

١٠٥- البنية الدرامية في مسرح الطفل مسرحية " الأميرة حب الرمان وخيزران" للسيد حافظ – اعداد زوليخة بساعد – هاجر عبدي – رئيسا د. بوزيد رحمون.

١٠٦- شخصية الساحر في مسرح الطفل – عند ألفريد فرج وسمير عبد الباقى والسيد حافظ – (دراسة فنية) – د. على خليفة – كلية الآداب –جامعة العريش - الكلية الجامعية بتربة – جامعة الطائف .

١٠٧- دينامية الفعل الدرامى في مسرح السيد حافظ – اعداد وتقديم د. مصطفى رمضانى.

١٠٨- إبداع السيد حافظ بين عشق الوطن وعطر النساء وهاجس التاريخ – قراءات في الرواية والمسرح – مصطفى بوخال. دار خيال للنشر والتوزيع .

١٠٩- شعرية الكتابة المسرحية عند السيد حافظ – (قراءة سوسيوثقافية) تأليف الدكتور : مفتاح خلوف – أستاذ النقد المسرحى والدراما – دار المجدد للنشر والتوزيع – الجزائر.

١١٠- اللغة الشعرية في رواية " كابتشينو" للسيد حافظ – إعداد وردة عطابى – إشراق عماري – اشراف د. مفتاح خلوف – جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر – كلية الاداب واللغات – قسم اللغة والآدب العربى – ٢٠١٨-٢٠١٩م.

١١١- مسرحة التراث في التجارب المسرحية العربية - قراءة في مسرح السيد حافظ – إعداد ريمة بن عيسى – اشراف أ.د. ليلى بن عائشة - جامعة محمد لمين دباغين – سطيف ٢ – الجزائر – ٢٠٢٥.

١١٢- طرائق السرد وتداخل الأجناس الأدبية في روايات السيد حافظ – الباحثة / ريم يحيى عبد العظيم حسانين – أشراف / أ.د محمد عبد الله حسين – جامعة المنيا – كلية دار العلوم - جمهورية مصر العربية – ٢٠٢٤.

١١٣- حوار الكاتب السيد حافظ مع الذكاء الاصطناعى – الطبعة الأولى ٢٠٢٥.

١١٤- مداخل أوليّة إلى عوالم السيد حافظ السرديّة – د. أمل درويش ٢٠٢٤.

الفهرس